الهولوكوست



حقيقتها
والاستغلال الصهيوني لها

ندى الشقيفي

باحث للدراسات
Baheth for Studies



الهولوكوست:
حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها



الطبعة الأولى
2011

بيروت - لبنان

www.bahethcenter.net

تلفاكس: 01/843882

information@bahethcenter.net

هاتف: 01/842882

isdarat@bahethcenter.net

النسخة الإلكترونية

www.ArabiceBook.com

الهولوكوست:
حقيقتها والاستغلال الصهيوني لها

ندى الشقيفي


إصدار باحث للدراسات


فهرس المحتويات

مقدّمة 7

الفصل الأول: نشأة الصهيونية وأهدافها

أوّلاً: تعريف الصهيونية........ 11

ثانياً: برنامج الحركة الصهيونية وأهدافها........ 11

ثالثاً: زعماء الحركة الصهيونية........ 15

رابعاً: العوامل الممهّدة والدافعة لقيام الصهيونية........ 21

خامساً: أبرز الاتجاهات والتيّارات الصهيونية........ 26

الفصل الثاني: الصهيونية ومعاداة السامية

أوّلاً: بين السامية ومعاداة السامية........ 33

ثانياً: بين الصهيونية ومعاداة السامية........ 36

ثالثاً: معادٍ للسامية من قلب السامية........ 38

رابعاً: أباطيل صهيونية بالجملة........ 41

خامساً: اليهود من شعوبٍ وقوميّاتٍ مختلفة........ 44

سادساً: لماذا كره الأوروبيون اليهود وطردوهم منها؟........ 53

سابعاً: جرائم القرابين البشرية تطرد اليهود من أوروبا........ 59

الفصل الثالث: الثقافة العنصرية للمحتلّ الصهيوني

أوّلاً: مصادر التربية الإسرائيلية العنصرية........ 71

ثانياً: النّظم التعليمية الإسرائيلية وأهدافها........ 74

ثالثاً: العرب والفلسطينيون في كتب التاريخ الإسرائيلية........ 80

رابعاً: صياغة أدب الأطفال: بين النازية والصهيونية........ 81

خامساً: عنصرية التعليم اليهودي وعسكرته........ 87
سادساً: السينما الإسرائيلية: بين معاداة السامية والهولوكوست........ 95
سابعاً: العنصرية في المسرح الإسرائيلي........ 101

الفصل الرابع: الهولوكوست: بين الوقائع والأسطورة الصهيونية

مقدّمة........ 107
أوّلاً: تعريف الهولوكوست........ 110
ثانياً: هتلر والهولوكوست........ 111
ثالثاً: أسطورة المحرقة ومصادرها........ 112
رابعاً: أوجه التشابه بين النازية والصهيونية........ 131
خامساً: لماذا لا يسمح الغرب بمناقشة "المحرقة"؟........ 140
سادساً: المؤتمر الإيراني لمناقشة "الهولوكوست"........ 143

الفصل الخامس: توظيف الهولوكوست ومحرقة غزّة

أوّلاً: التخليد والذاكرة الجماعية اليهودية........ 153
ثانياً: "الحجيج" اليهودي إلى بولندا........ 155
ثالثاً: إسرائيل تلعب دور الضحية........ 165
رابعاً: وشهد شاهدٌ من أهله........ 167
خامساً: إستخدام الفوسفور الأبيض ضدّ المدنيين........ 168

الخاتمة

ملاحق: وثائق ذات صلة

ملحق رقم (1): مؤتمر بازل (سويسرا) 1897: قيام الحركة الصهيونية........ 179
ملحق رقم (2): وعد بلفور (المشؤوم)........ 180
ملحق رقم (3): معنى علم الكيان الإسرائيلي........ 182
ملحق رقم (4): مقتطفات من رسالة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد إلى أنجيلا ميركل (المستشارة الألمانية)........ 183

مقدمة

منذ اللحظة التي أطلق فيها "غوبلز"، وزير الدعاية الألمانية في عهد هتلر، مقولته الشهيرة: (Lie lie، bisdie anderen glauben، man)، وهي تعني (إكذب، إكذب حتى يصدّقك الآخرون)، عمل اليهود بكلّ طاقاتهم للاستفادة القصوى من هذه المقولة، لتتحوّل "المحرقة" أو أسطورة أفران الغاز المزعومة إلى حقيقةٍ ثابتةٍ في أدمغة ومشاعر اليهود وغير اليهود، لا تقبل الأخذ والردّ حولها. وإذا حاول أحدهم أن يتجرّأ ويكذّب هذه الأسطورة، بالحقائق التاريخية الدامغة، فإنه يصنّف بالمعادي للسامية، ثمّ يكون مصيره لاحقاً: إمّا العزل والطرد من عمله، وإمّا القتل، أو المحاكمة بتهمٍ خرافيةٍ تشابه الأسطورة نفسها.

وقد تمكّن اليهود الصهاينة من تقديم أنفسهم للعالم على أنهم ضحايا النازية من دون الآخرين؛ وهذا لا يعني أنهم ضلّلوا الغرب فجعلوه يصدّق الكارثة المزعومة؛ وإنما نجحوا في إقناع النّخب الغربية بضرورة تسويق أكاذيبهم. واقتنع الغرب بذلك من باب تقاطع مصالحه الاستعمارية مع المشروع الصهيوني فحسب.

تقول الأسطورة اليهودية إن هتلر دفع خلال سنوات حكمه، وإبّان الحرب العالمية الثانية، بستّة ملايين يهودي (بادئ الأمر كان العدد 9 ملايين، ثمّ بقدرة قادرٍ سقط إلى 6 ملايين) إلى أفران الغاز ليصنع من جثثهم الذائبة مساحيق للتنظيف والشمع والصابون، وأن معسكرات

الاعتقال النازية قد شهدت أفظع ما يمكن أن تشهده الإنسانية من جرائم. لا أحد يستطيع نفي أن الكثير من الجرائم قد حدثت إبّان الحكم الهتلري النازي وأثناء الحرب العالمية الثانية، وأن الملايين قد دفعوا قسراً إلى معسكرات الاعتقال النازية؛ غير أن تلك الملايين لم تكن من اليهود الذين شكّلوا الأقلّية فقط. فالأكثرية الساحقة كانت من الغجر ومن شعوبٍ وقومياتٍ وإثنياتٍ مختلفة؛ وذلك ضمن حملة التطهير العرقيّ التي أطلقتها السلطة الهتلرية، باعتبار أن العرق الألماني الآري هو المتفوّق على جميع الأعراق البشرية.

وإذا كانت السلطة النازية قد انتهجت سياساتٍ إجرامية خلال الحرب العالمية الثانية بحقّ الشعوب الأخرى غير الآرية، إلاّ أن قادة وزعماء الحركة الصهيونية انتهجوا -وما زالوا- سياساتٍ إجرامية لا تقلّ وحشية عن تلك النازية؛ إن لم نقل أشدّ بحقّ العرب؛ لاسيّما الفلسطينيين منهم، منذ حملة التهجير الأولى ضدّهم في العام 1948 وحتى الآن.

في الصفحات التالية، سنضيء على الحركة الصهيونية العنصرية: أفكارها، معتقداتها، العوامل التي مهّدت لقيامها، وأبرز اتجاهاتها وتيّاراتها ومؤسّسيها، ثمّ نتحدّث عن مقولة معاداة السامية ومسألة الهولوكوست وقضايا أخرى ترتبط بشكلٍ مباشرٍ بطبيعة الفكر الصهيوني وثقافته الإجرامية، والتوظيف الصهيوني الخبيث لما يسمّى المحرقة في سبيل تحقيق أهداف الصهيونية، السياسية والاقتصادية والمعنوية، والتي لم تعد خافية على أحد؛ بل صار الصهاينة أنفسهم يجاهرون بها، في ظلّ دعم أميركي وغربي مطلق لسياساتهم وخططهم الإجرامية والتوسعية، التي تمّت قولبتها في إطار تاريخي وسياسي وأخلاقي مزيّف!

الفصل الأول

أوّلاً: تعريف الصهيونية

صهيون هي كلمة كنعانية الأصل تعني الجبل المشمس أو الحصن. وتعود تسمية صهيون في فلسطين إلى ربوةٍ تطلّ على مدينة القدس، سمّاها الكنعانيون صهيون، واتخذها اليبوسيون، وهم من أصلٍ كنعاني، موقعاً وحصناً يسكنه الحاكم. وكان أوّل من أقام فيها الشيخ سالم اليبوسي حوالي العام 2005 ق.م؛ وهو ملك ذلك الموقع منذ ذلك الحين، وسمّي باسمه أورسالم؛ وهو القدس اليوم. والتقف اليهود هذه التسمية لاكتساب شرعيةٍ كاذبةٍ من خلال وجود اسمٍ يربطهم بالأرض[1].

والصهيونية هي حركةٌ سياسيةٌ تتغذّى من الفكر الصهيوني الذي يجمع بين عقائد التوراة والخرافات الملفّقة من قِبل الحاخامات اليهود في التلمود. وتستمدّ الصهيونية قوّتها من ارتباط الفكر اليهودي بعقائد دينيةٍ وعِرقيةٍ وعنصرية، لا تتغيّر أو لا تنسجم مع تطوّر المراحل ومتطلّباتها الإنسانية، إضافة إلى أطماع سياسيةٍ وعدوانيةٍ تتقولب في إطار توطين أكبر عددٍ من "اليهود" في العالم في الأراضي العربية وإبادة وتشريد السكّان الأصليين لهذه الأراضي.

ثانياً: برنامج الحركة الصهيونية وأهدافها

الصهيونية كلمة أخذها المفكّر اليهودي "ناثام برنباوم" من حكماء صهيون لتدلّ على الحركة

(1) كتاب النبوءة والسياسة، ص8، غريس هالسل، ترجمة محمد السماك، دار الشروق 2002.

الهادفة إلى تجميع "الشعب اليهودي" في أرض فلسطين، وتوحيدهم اعتماداً على تزوير التاريخ واستغلال الدّين. وقد يصعب العثور في تاريخ الأمم والشعوب على حركةٍ مماثلةٍ للصهيونية، من حيث عوامل تكوينها السلبية المبدأ والصنع. والعوامل هذه متنوّعة بتنوّع الوسيلة والهدف الصهيونيّين؛ ومنها معاداة السامية، الهولوكوست، شعب الله المختار، أرض الميعاد ... إلخ.

وقد دعمت الدول الاستعمارية الغربية هذه الحركة العنصرية منذ نشأتها الأولى، لأسبابٍ عديدة، منها: التخلّص من نفوذ اليهود الاقتصادي والسياسي الذي كان في أوجه في أوروبا، والقضاء على تجمّعات اليهود السكنية (الغيتو) داخل المجتمعات الأوروبية. كذلك التخلّص من جرائمهم ودسائسهم ومكائدهم التي أثارت نقمة مواطني الدول التي عاشوا فيها.

وحين عُقِد مؤتمر بازل الصهيوني الأوّل، في سويسرا عام 1897، كانت أبرز قضاياه بعث اليهودية في أوروبا الغربية؛ كتعليم اللغة العبرية ليهود أوروبا، والتي كانت شبه ميّتة ومحصورة في دور العبادة والصلاة، وتوجيه أنظار اليهود نحو فلسطين أو أيّ مكانٍ آخر قد يؤمّن لليهود مستقبلاً أفضل!

وقد تركّز عمل قادة الصهيونية في تلك الأونة على استثارة المشاعر اليهودية ليهود أوروبا، لاسيّما تلك الدينية، فعقِدت الندوات التي تحدّثت عن قدومٍ قريبٍ للماسيح المخلّص، الذي سيأتي كي يخلّص شعبه من الاضطهاد، ويعود بهم إلى أرض "الأجداد"، ويحكم العالم من جبل صهيون. وقد استُغِلّ هذا المعتقد الديني بشكلٍ فاقعٍ من قِبل الحركة الصهيونية ليتحوّل إلى برنامجٍ سياسيٍ هدفه الأساس تجميعي استيطاني، وإن تنوّعت اتجاهاته يميناً أو يساراً، إلحاداً أو تديّناً. وبقيت المقولة الأساسية التي تستند إليها كلّ هذه القيادات، هي مقولة الشعب اليهودي "المختار" أو الإيمان بأن الأقلّيات اليهودية في العالم ليست أقلّياتٍ دينية، ذات انتماءاتٍ عِرقية وقومية مختلفة، وإنما تشكّل أمّة متكاملة موحّدة، لا همّ أينما وجدت في الشتات أو المنفى بعيدة عن "وطنها الحقيقي ... أرض الميعاد".

المنظمة الصهيونية العالمية

منذ صدور قرار تأسيسها في مؤتمر بازل، عام 1897، عملت المنظمة الصهيونية على خلق كيانٍ يجمع اليهود. وهذا ما تمّ تحقيقه عام 1948 في فلسطين.

وقد نجح مؤسس الصهيونية ثيودور هرتزل في الترويج لفكرة "العودة" إلى فلسطين وتأسيس وطنٍ قوميٍ لليهود هناك. وبذلك يكون الهدف الأوّل المعلن في برنامج الحركة الصهيونية قد تحقّق!

ينصّ برنامج الصهيونية على "أن هدف الصهيونية هو إقامة وطنٍ قوميٍ لليهود في فلسطين يضمنه القانون العامّ". ومن أجل الاستمرار في تنفيذ أهدافها المعلنة وغير المعلنة، أنشأت الحركة الصهيونية مؤسساتٍ وأجهزة داخلية؛ منها رئيس المنظمة، ونائب الرئيس، ومكتب التوجيه المركزي، واللجنة التنفيذية، والمجلس العامّ، والمؤتمر الصهيوني الذي هو السلطة التشريعية العليا في الحركة الصهيونية. أمّا الأجهزة المحلّية، فقد تُرك أمر تقدير شكلها النهائي للظروف السائدة في ذلك البلد.

وقد فتحت المنظمة باب العضوية فيها لكلّ من يؤمن بالأفكار الصهيونية، ويعمل على الإسراع بتحقيق تطلّعات الشعب اليهودي. وصل عدد أعضاء هذه الحركة في عام 1903 إلى 600 عضو. أمّا عدد الجمعيات، فوصل إلى 1572 جمعية موزّعة على بلدانٍ مختلفة؛ ثمّ ازداد هذا العدد بعد ترؤس "حاييم وايزمن" لهذه الحركة، فأصبح عدد الأعضاء في عام 1939، 1.5 مليون عضو.

برز داخل المنظمة الصهيونية اتجاهان، أحدهما يقوده ثيودور هرتزل، مؤسّس الصهيونية، الذي كان يؤمن بأن "خلاص" اليهود لا يتمّ عبر عمليةٍ متقطّعة لإقامة المستعمرات، وإنما عبر عملٍ سياسيٍ متكاملٍ محميٍ على الصعيد العالمي. وقد كرّس لذلك جهوداً كبيرة للحصول على موافقة الدول، خاصّة تركيا كونها بلد الخلافة الإسلامية.

أما الاتجاه الأخر، فاعتبر أنه يجب تهجير عددٍ كبيرٍ من اليهود إلى فلسطين وزيادة المستعمرات.

وترأس هذا الاتجاه "ديفيد بن غوريون" و"حاييم وايزمان". غير أن المنظمة الصهيونية كانت قد تأثرت بأجواء الحرب العالمية الأولى، فدبّت الفوضى الإدارية في صفوفها، وانقطعت مكاتبها المركزية عن الوحدات المحلّية؛ وكانت على وشك الانهيار؛ غير أن وايزمان أعاد إبراز أهدافها إلى الواجهة، والتي تحدّدت بـ:

1- ضرورة انتصار الحلفاء.
2- إقامة انتداب بريطاني في فلسطين.
3- يُسهّل هذا الانتداب دخول مليون يهودي إلى فلسطين.

وقد أدّت جهود المنظمة برئاسة "حاييم وايزمان" إلى الحصول على وعد بلفور عام 1917. ثمّ التفتت إلى ترتيب أوضاعها وإنشاء صندوق يُعنى بنشاط الهجرة والاستيطان والوكالة اليهودية الموسّعة.

بعد ذلك، عادت الفوضى لتدبّ في المنظمة الصهيونية، خاصّة بعد نشوء الكيان الغاصب؛ حيث رأى البعض عدم جدوى استمرار هذه المنظمة مع ضرورة انصهارها في مؤسسات "الدولة"، في مقابل البعض الأخر الذي رأى أهمية استمرار المنظمة الصهيونية في عملها من أجل خدمة "إسرائيل" في الخارج. وقد كانت الغلبة لأصحاب الرأي الأوّل، الذين زاد تأثيرهم بعد انتخاب "ناحوم غولدمان" رئيساً للمنظمة عام 1949.

أهداف المنظمة الصهيونية:

في المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين، الذي عُقِد في عام 1986، صدر "برنامج أورشليم" الذي نصّ على أن أهداف الصهيونية هي:

1- توحيد الشعب اليهودي وتركيزه في أرض "إسرائيل"
2- جمع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي عن طريق الهجرة في شتّى بقاع الأرض.
3- المحافظة على أصالة الشعب بتزويده قِيم وثقافة اليهودية وبتعليمه اللغة العبرية.

ونشير هنا إلى أن الدين اليهودي يجرّم العودة إلى "أرض الميعاد" بالطريقة التي حدثت،

ويعتبر أن مجرّد محاولة العودة هو كفر، لأن عودة اليهود يجب أن تتمّ على يد مبعوثٍ من عند الله هو الماشيح؛ أي بناءً على إرادةٍ إلهية، وليس بواسطة المنظمة الصهيونية. ومن هنا كانت معارضة بعض المنظمات اليهودية المتديّنة لـ"العودة" إلى فلسطين، كجماعة (ناطوري كارتا) اليهودية.

أسس الحركة الصهيونية:

تؤمن الحركة الصهيونية بأسسٍ رئيسيةٍ هي:

1- وجود إلهٍ واحد.

2- اليهود هم شعب الله المختار

3- العودة إلى وطن اللبن والعسل.

4- عودة الماشيح المخلّص لينقذ اليهود.

وتختلف الصهيونية السياسية عن الصهيونية الدينية. فالمتديّنون اليهود يعتبرون أنه يجب أخذ العبرة من الماضي، ويفسّرون بالتوراة على أن الإسرائيليين القدماء أضاعوا الأرض المقدّسة بسبب ارتكابهم المعاصي ضدّ الأخرين، وبسبب تخلّيهم عن الإله الواحد. وهم يعتبرون أن الربّ وعدهم بالأرض، لكن مقابل تنفيذ شروط خُلقية ومبدئية "للعهد"؛ وهم لا يرون مثلاً في "عذابات الهولوكوست" سبباً للعودة. فالعودة يجب أن تقترن بإرادةٍ إلهية؛ والعودة التي تمّت في فلسطين هي باطلة.

ثالثاً: زعماء الحركة الصهيونية

يهودا القلعي: (1798-1878)

ولد في سرابيفو- البوسنة عام 1798، وأصبح في عمرٍ مبكرٍ حاخام الطائفة اليهودية في يوغوسلافيا. في عام 1839، أصدر كتاباً في تعليم قواعد اللغة العبرية؛ ثمّ في عام 1840، نشر كتاباً آخر حثّ فيه اليهود على دفع عُشر مدخولهم لمساعدة يهود القدس.

في عام 1843، أعدّ القلعي سلسلة من الكتيّبات والمقالات ركّز فيها على أهمّية الطلب من شعوب العالم للسماح لليهود بالعودة إلى "وطنهم"؛ وطالب اليهود أيضاً بدفع عُشر مداخيلهم من أجل العودة. تقدّم القلعي باقتراحٍ لتأسيس جمعيةٍ لإنشاء خطوطٍ حديدية، والطلب من السلطان العثماني مقابل ذلك إعطاء اليهود "أرضهم" في فلسطين لقاء إيجارٍ سنوي؛ ثمّ قام برحلتين إلى أوروبا الغربية وفلسطين لإقناع اليهود بضرورة تجمّعهم في أرض إسرائيل لإنشاء وطنٍ لليهود. كما أسّس جمعية للاستيطان في فلسطين لم تستمرّ طويلاً، وكان مصيرها كمثل الجمعية الاستيطانية التي أسّسها في فلسطين لدى زيارته الأولى عام 1871. توفّي يهودا القلعي عن عمر ثمانين عاماً في مدينة القدس عام 1878، حيث عاش سنواته الأربع الأخيرة.

تسفي هيرش كاليشر (1795-1874)

توافقت آراء "كاليشر" إلى حدٍ كبيرٍ مع أفكار "يهود القلعي"، واشتهر في بروسيا حاخاماً لليهودية في مدينة "ثورن" التي مات فيها عام 1874. درّس "كاليشر" العلوم الدينية والفلسفية وعدداً من الموضوعات غير الدينية. نشر أفكاره في كتابٍ مجلّدٍ من جزأين أسماه "عقيدة صادقة"، ثمّ في كتاب "البحث عن صهيون" وهو أكثر كتبه شهرة؛ كما أنه أوّل كتابٍ يصدر بالعبرية في أوروبا الشرقية بشأن المستعمرات الزراعية في فلسطين. أمّا أهمّ النقاط التي ركّز عليها "كاليشر" في كتاباته، فهي:

أ- خلاص اليهود يجب أن يتمّ بوسائل طبيعيةٍ عبر اليهود أنفسهم، دون انتظار مجيء المسيح المخلّص.

ب- ضرورة الإسراع في الاستيطان داخل فلسطين، دون أيّ تأخير.

ت- إحياء التضحيات في الأرض المقدّسة مباحٌ وضروري.

وكانت لـ"كاليشر" جهود "جبّارة" في سبيل إنشاء جمعياتٍ استيطانية. وسنة 1864 أصبح مسؤولاً عن إنشاء "اللجنة المركزية لاستيطان فلسطين" في برلين.

موشي هس: (1812-1875)

ولد في بون في ألمانيا. تلقّى تربية دينية منذ صغره، وتحوّل في شبابه إلى دراسة الفلسفة. عاش متنقّلاً بين ألمانيا وسويسرا وبلجيكا وفرنسا، ونشر كتابه الأوّل في التاريخ والفلسفة سنة 1837 وكان عمره خمسة وعشرون عاماً. وبعد أربعة أعوام، اقترح هس توحيد ألمانيا وفرنسا وإنكلترا.

كان هس صديقاً لـ "كارل ماركس" الاشتراكي، فتعلّق بالاشتراكية لفترة، ثمّ انفصل عن ماركس لإصراره على "الاشتراكية الروحية". في عام 1852، انصرف هس إلى دراسة العلوم الطبيعية وعلم الوراثة؛ وفي عام 1862، أصدر كتابه "روما والقدس" الذي أودع فيه آراءه الصهيونية، حيث طالب بتأسيس مستعمرات يهودية من السويس إلى القدس ومن ضفّتي نهر الأردن إلى ساحل البحر المتوسط، تكون تمهيداً للدولة اليهودية.

اشتهر فكر هس بنزعته الاستعلائية العنصرية والاستعمارية الفاضحة، وكان مؤمناً أن اليهود المعاصرين اختيروا ليكونوا "مجرى حيّاً" للمواصلات بين القارّات الثلاث".

كما واشتهر هس بتعصّبه الأعمى اتجاه المسيحية والإسلام وإنكار القيم الإنسانية لهاتين الديانتين. وهو تحدّث عن الشعوب العربية بأنها "مجموعة قبائل متوحشّة"!

ليون بنسكر (1821-1891)

ولد في العام 1821، في بولونيا، ودرس في مدرسة لوالده في أوديسّا. كان ينتمي إلى أسرة متعلّمة. درس الحقوق ثمّ الطبّ في جامعة موسكو، وعاد إلى أوديسّا ليعمل طبيباً فيها منذ العام 1849.

آمن بنسكر في بدايات حياته بضرورة الاندماج داخل المجتمعات الأوروبية، لاسيّما الرّوسية، فكان أوّل من شجّع على التكلّم بالرّوسية وتذوّق الأدب الرّوسي، حيث أسّس مجلّة تُعنى بذلك.

خدم "بنسكر" في حرب القرم كطبيب حربي، ثمّ حدثت بعض الاضطرابات في أوديسّا أدّت إلى إقفال مجلّته، فانصرف إلى ممارسة الطبّ فقط. إلاّ أن الأحداث التي أعقبت مقتل القيصر عام 1881 جعلته يجول العالم لمقابلة الشخصيات اليهودية لإقناعهم بفكرة هجرة اليهود إلى بلدٍ ما، غير أن الأكثرية رفضت اقتراحه.

هذا الرّفض لم يُثنِ "بنسكر" عن تصوّره، فأصدر كتاباً اشتهر به تحت عنوان (التحرّر الذاتي)، وهو باللغة الألمانية. وقد اعتبر الصهاينة لاحقاً أن كتاب "بنسكر" شكّل حجر الأساس للفكر الصهيوني الحديث.

ثيودور هرتزل (1860-1904)

ولد هرتزل في مدينة بودابست بالمجر عام 1860، لأسرةٍ يهوديةٍ ثرية، حيث كان والده مديراً لإحدى المصارف في النمسا.

إلتحق في بداية تعليمه بإحدى المدارس اليهودية، غير أنه لم يُكمل تعليمه فيها، فالتحق بمدرسةٍ ثانية فنّية ثمّ بالكلّية الإنجيلية. أكمل تحصيله الجامعي في جامعة فيينّا، حيث حصل على دكتوراه في القانون الروماني.

عمل هرتزل في محكمةٍ نمساوية لمدّة عام، ثمّ تفرّغ للكتابة في القضية اليهودية التي وهب حياته لها. كما عمل مراسلاً لإحدى الصحف، وكتب عن ضرورة وجود دولةٍ عصريةٍ لليهود تحلّ كافّة مشاكلهم.

اعتُبر كتابه الشهير "دولة اليهود: محاولة لحلٍ عصري للمسألة اليهودية" من أهمّ الكتب التي صدرت في تلك الحقبة.

دعا هرتزل إلى عقد مؤتمرٍ يضمّ ممثّلين لليهودية الأوروبية بمدينة بازل في سويسرا، عام 1897. وأثناء المؤتمر، تمّ انتخاب هرتزل رئيساً للمؤتمر؛ ثمّ لاحقاً، رئيساً للمنظمة الصهيونية التي أعلن المؤتمر عن تكوينها. وقد ظلّ هرتزل يترأس المنظمة حتى وفاته عام 1904.

إتصل هرتزل بالسلطان العثماني عبد الحميد لمدّة ستّة أعوام من أجل الحصول على وعدٍ منه بفلسطين. وكان الإغراء بالمال وسيلته لذلك. لكنّ السلطان عبد الحميد رفض فعلياً التنازل عن أيّ شبرٍ في فلسطين. وهكذا تحوّل هرتزل إلى لندن من أجل تحقيق مطلبه.

في بلدة أولاخ بالمجر مات هرتزل عام 1904، ونقِل رفاته إلى فلسطين عام 1949. أثناء عهده، لم تُنجز الصهيونية أيّ عملٍ سياسي؛ غير أن المؤسسات الصهيونية التي كان ظهوره العامل الأوّل في إقامتها أفرزت تنظيماتٍ مستقلّة، تطوّرت وتشعّبت بشكلٍ يصعب معه تصوّر قيام أيّ نشاطٍ صهيوني بدونها.

حاييم وايزمن (1874-1952)

ولِد "حاييم وايزمن" في بلدة "موتول" في ولاية "بنك"، إحدى ولايات روسيا البيضاء، عام 1874. كان والده يعمل تاجراً للأخشاب وهو من وجهاء "موتول" المتديّنين.

في معبد البلدة، بدأ "وايزمن" حياته الدراسية، حيث درس الدّين والتاريخ اليهوديّين، إضافة إلى اللغة الروسية ولغة "البيديش" التي كان يتحدّث بها يهود روسيا. سافر إلى "بنك" لتلقّي العلوم العليا وتخصّص في الكيمياء، ثمّ أكمل دراسته في مدرسة "البوليتكينكوم" الألمانية التي كانت تُعتبر أشهر معاهد تدريس الكيمياء في أوروبا آنذاك. وحصل منها على درجه الدكتوراة مع مرتبة الشرف عام 1899. وفي سنة 1901، اختارته جامعة جنيف للعمل كمحاضرٍ مساعد، ثمّ أصبح في عام 1904 أستاذاً بجامعة مانشستر في بريطانيا.

ظهرت اهتمامات "وايزمن" بالسياسة في وقتٍ مبكّر، حيث رفض اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبية كي لا يفقدوا هويتهم.

في عام 1901، كلّفه المؤتمر الصهيوني الثاني بحمل اليهود على شراء أسهم البنك اليهودي الدولي وبنك الاستعمار اليهودي. وبزغ نجمه داخل المؤتمر، وأخيراً عضواً في الحركة الصهيونية.

لم يقبل "وايزمان" فكرة اختيار أوغندا مكاناً بديلاً لليهود لإقامة دولتهم بدل فلسطين، وكان له دورٌ أساسيٌ في استصدار وعد بلفور عام 1917.

في عام 1920، انتخبه المؤتمر الصهيوني رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية. وبقي في هذا المنصب حتى عام 1946.

أثناء إقامة "وايزمان" في الولايات المتحدة عام 1947، عرضت بريطانيا القضية الفلسطينية على الأمم المتحدة، فركّز "وايزمان" جهده لمتابعة مشروع تقسيم فلسطين كما عُرض حينها. ثمّ اتفق مع "ترومان"، رئيس الولايات المتحدة الأميركية حينها، على خطّة التقسيم التي ستعمل الولايات المتحدة بثقلها على إقرارها في أروقة الأمم المتحدة؛ واتفق معه أيضاً على أن تكون صحراء النقب تابعة لإسرائيل بعد أن أثبتت الأبحاث العلمية وجود المياه الجوفية فيها، وعلى أن يكون لإسرائيل منفذٌ على البحر الأحمر.

في 1947/11/29، صدر قرار التقسيم بموافقة 33 صوتاً، وقبله اليهود فوراً، لأنه أعطاهم ما يحلمون به؛ بينما رفض العرب هذا القرار. وتحايلت الولايات المتحدة على الوضع تجنّباً لأيّ إجراءٍ عربي يمسّ مصالحها. ونعني هنا استخدام النفط كقوّة ضغط؛ فقرّرت في العام 1948 إعادة النظر في الموضوع، وعرضه على الجمعية العامّة للأمم المتحدة لاتخاذ قرارٍ بوضع فلسطين تحت الوصاية الدولية عند انتهاء الانتداب يوم 15 مايو/أيار 1948. إلاّ أن ردّ "وايزمان" كان حازماً، حين قال جملته الشهيرة "إنني لا أقيم وزناً لخرافة القوّة العربية العسكرية. ولا بدّ لليهود من إعلان استقلالهم في اليوم التالي لإنهاء الانتداب. هذه هي الخطوة العملية للخروج من هذا الموقف".

وفعلاً، في 14 مايو 1948، أعلن "بن غوريون" قيام الدولة اليهودية، والتي حصلت على الاعتراف الفوريّ بها من قِبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي. وفي عام 1949، انتخب "وايزمان" أوّل رئيس لـ"دولة إسرائيل". وفي العام نفسه ألّف كتابه "التجربة والخطأ" حيث تضمّن سيرته الذاتية. توفّي "وايزمان" عن عمرٍ يناهز 78 سنة في العام 1952.

زئيف فلاديمير جابوتنسكي (1880-1940)

في روسيا، ولعائلة تنتمي إلى الطبقة الوسطى، ولد "جابوتنسكي" في عام 1880. أنهى علومه الجامعية في جامعة فيينّا، ثمّ انتقل إلى تركيا حث تولّى مسؤولية الصحافة الصهيونية، وعمل على المشاركة في تأسيس الصندوق القومي اليهودي والفيلق اليهودي.

عام 1925، أسّس جابوتنسكي في باريس "اتحاد الصهيونيين الاتحاديين"؛ وهو صاحب نظرية "الجدار الحديدي" التي تقوم على تكبيد العدوّ خسائر كبيرة من أجل تحويلهم من خصوم متطرّفين إلى معتدلين على استعداد للمساومة.

طالب بتوسيع "إسرائيل" على حساب الأردن وصحراء سوريا، وأيّد المجازر التي قامت بها المنظمات الصهيونية ضدّ العرب، لاسيما منها منظمة "الإتسل".

رابعاً: العوامل الممهّدة والدافعة لقيام الصهيونية

هناك عدّة عوامل جذرية أدّت إلى قيام الحركة الصهيونية، التي ما كان ممكناً لها العيش من دونها. وهذه العوامل هي:

الجذر الديني:

يظهر الجذر الديني في كلمة الصهيونية كمصطلح للدلالة على أهمّية الجسر الديني التاريخي بين صهيون الأمس؛ أي بين أرض التوراة في القرن العاشر ق. م، وبين الحركة السياسية في نهاية القرن التاسع عشر. وقد وردت كلمة صهيون في التوراة 152 مرّة وفي العهد الجديد 7 مرّات.

يقول المفكّر "هربرت بارنس" في شرحه لطبيعة الصهيونية أن اليهود نُفوا لأنهم ارتكبوا الخطيئة؛ وهم عندما يكفّرون عن خطاياهم يعودون إلى أرض الميعاد. وقد استغلّ زعماء الحركة الصهيونية هذه المقولة ليوجّهوا أنظار اليهود نحو فلسطين، ويصرفوا اهتمامهم عن أيّ أرض أخرى. كذلك غذّت الصهيونية العالمية الجذر الديني بمجموعة ظواهر، حيث كانت تدّعي بين

الفينة والأخرى ظهور معجزاتٍ على يد نبي قد يكون الماشيح، فتنتشر موجةٌ دينيةٌ وحماسةٌ كبيرةٌ بين بسطاء اليهود الذين كانوا غالباً ما يصدّقون هذه الترّهات.

يقول الكاتب اليهودي المشهور "ناثان وينستوك"، في كتابه "الصهيونية في إسرائيل"، (باريس- فرنسا) ص 315:"لو ألغينا مفاهيم الشعب المختار والأرض الموعودة فلسطين، لانهارت الصهيونية من أساسها ولما قامت دولة إسرائيل أيضاً".

وقد استغِلّ الجذر الديني في السياسة الاستيطانية الصهيونية بشكلٍ باهر. فعلى الرّغم من تبجّح "إسرائيل" بعلمانيتها، إلاّ أن تصريحات قادتها تصبّ في مجرى استخدام الدّين وسيلة الدولة الأولى في مجمل سياساتها. وفي هذا نذكر ما قاله "ييغال آلون" بعد عام من حرب يونيو/ حزيران 1967، مبرّراً احتلال الجولان لأسبابٍ دينيةٍ بقوله: "مرتفعات الجولان جزءٌ من إسرائيل التاريخية لا أقلّ من الخليل ونابلس ... ألم يجلس يفتاح قاضياً فيها!".

أمّا "موشيه دايان"، فكان أكثر تحديداً في إبراز أهمّية الحافز الديني وراء الصهيونية و"إسرائيل"، حينما قال بعد حرب 1967، مخاطباً جمهور من اليهود "لا عودة إلى حدود 1948. على الناس في الخارج أن يدركوا أنه مع الأهمّية الاستراتيجية لإسرائيل باحتلال سيناء ومرتفعات الجولان، ومضائق تيران، فإن سلسلة الجبال غربيّ نهر الأردن تقع في قلب التاريخ اليهودي ..."؛ ويتابع ... ما دام عندكم كتاب التوراة، وما دمتم شعب التوراة، فيجب أن تكون لكم أرض التوراة"!

الجذر العاطفي: الهوية

ويقال الجذر التاريخي. استُغِلّ الجذر العاطفي لليهود تجاه الأرض المقدّسة من قِبل الحركة الصهيونية التي عملت على نبش العواطف وتوجيهها نفسياً وفكرياً نحو حلٍ مشتركٍ ببناء وطنٍ خاصٍ لليهود. ومع بروز القوميات وانتشارها في أوروبا، برز سؤالٌ حول إمكانية مساهمة اليهود في بناء حضارةٍ قوميةٍ في أوروبا أو يكونوا مواطنين فيها، فجاء جواب قادة الصهيونية بالنّعم المشروطة باختيار اليهود لمكانٍ يُكسِبهم الشرعية التاريخية؛ وهكذا تحوّلت الأنظار إلى

فلسطين. أما مناحيم بيغن، فقد أعلن في جريدة دافار الإسرائيلية، عقب حرب 1967، بأن "أرض فلسطين هي إرثٌ ربّانيٌّ للشعب المختار".

الجذر الاستعماري:

اعتُبر الاستعمار الأوروبي مُلهِم الحركة الصهيونية وعاملاً أساسياً في استمرارها. فلا صهيونية من دون استعمارٍ أوروبي؛ ولا نجاح لاستعمارٍ صهيوني دون استيطان. من هنا لم يكن التوجّه الاستعماري في انطلاق الحركة الصهيونية تحالفاً مرحلياً، بل كان استراتيجياً وثابتاً. وفيما كان الاستعمار ينهش قلب القارّة السوداء أفريقيا، كانت الاقتراحات تتوالى على الحركة الصهيونية في اختيار أرضٍ لقيام كيانها عليها وتحويلها إلى وطنٍ أم؛ حيث عرض عليها موزمبيق وأوغندا والأرجنتين وفلسطين. فاختارت الصهيونية فلسطين لسهولة الوصول إلى إمكانية تحقيق فكرتها بالاعتماد على التاريخ المزوّر والتلمود الموضوع بأيدي الحاخامات.

التناقضات في الحركة الصهيونية

1- اعتُبر اختيار فلسطين أرضاً لليهود، التناقض الرئيس الأوّل في وجود الحركة الصهيونية. إذ هي في الأساس حركة انبعاثٍ وتوحيدٍ لليهود؛ وأيضاً هي حركةٌ عدوانيةٌ إفنائيةٌ لشعب فلسطين الأصيل. فمن جهة، هي تنادي بالإنسانية والحضارة والديموقراطية والمثل العليا أمام الأجيال اليهودية، بينما هي في أصل وجودها حركةٌ لا إنسانيةٌ تملك أعلى مواصفات العنصرية البغيضة؛ وما من حركةٍ استعماريةٍ عبر التاريخ وصلت مع الشعوب المستعمرة إلى ما وصلت إليه الصهيونية في فلسفتها وقوانينها؛ وكذلك في وسائل القتل والتهجير والتنكيل وسنّ قوانين أقلّ ما يُقال فيها أنها تنعدم مع أيّ حسٍ إنساني أو أخلاقي.

2- لقد زيّفت الصهيونية العالمية حقبة مهمّة جداً من التاريخ الإنساني، وأغفلت العديد من المراحل التي سبقت، لاسيّما المرحلة العربية الإسلامية وقبلها المرحلة المسيحية. إن تاريخ الأرض المقدّسة في الفكر الصهيوني يبدأ بالعهد الإسرائيلي القديم وينتهي بإسرائيل صهيونية حديثة. ولا أهمّية مطلقاً لأيّة مرحلةٍ تاريخيةٍ قبل ذلك.

فليس الكنعانيون بُناة الحضارة الأولى، ولا العرب الذين آلت إليهم الحضارات مذكورين في تاريخ اليهود.

3- تحالف الصهيونية مع كبرى الدول الاستعمارية شكّل التناقض الثالث لوجودها. فهي -كما ورد في قرارات المؤتمر القومي الصهيوني في بازل بسويسرا- حركة وطنية ذاتية تحرّرية. أما في حقيقة الأمر، فهي حركةٌ استيطانيةٌ استعماريةٌ طفيلية، وجِدت عبر استعمار الفلسطينيين وتشريدهم من ديارهم.

4- إن الديموقراطية التي تتبجّح بها الحركة الصهيونية والعنصرية التي تمارسها تشكّلان تناقضاً صارخاً في وجود هذه الحركة.

يقول "يوسف لابيد" الكاتب الإسرائيلي المعاصر: "إن الغاية من الدستور هي، بشكل عام، ضمان المساواة والعدل. لن يكون بوسع الدستور الإسرائيلي فعل ذلك. سوف يتعيّن على الدستور الإسرائيلي تخليد اللامساواة. عليه أن يضمن أن إسرائيل ستكون دولة يهودية؛. وطنٌ لشعبٍ واحدٍ لا لشعبين. سوف ينصّ على حقّ كلّ يهوديٍ في حمل السلاح. لن يكون بوسعه منح هذا الحقّ للعرب. وبطبيعة الحال، لن يحمل الدستور طابع المساواة".

5- يظهر التناقض الأخير في اعتبار الصهيونية نفسها تمثّل كلّ اليهود في العالم؛ غير أن الواقع يشير إلى عكس ذلك. وهذا ما جعل الصهيونية أحزاباً مختلفة، وخلق لها أعداء من بين اليهود أنفسهم.

العوامل الدافعة لنشوء الصهيونية

هناك عوامل عدّة دفعت الصهيونية للقيام على الشكل الذي قامت عليه:

1- المسألة الشرقية:

في منتصف القرن التاسع عشر، تبدّلت موازين القوى لصالح الدول الأوروبية على حساب الدولة العثمانية التي كانت قد اجتاحت دولاً كبرى ووصلت إلى مدينة فيينّا. وفي مقابل صعود

الدول الأوروبية وتعاظم شأنها، كانت الدولة العثمانية تلفظ أنفاسها على عتبة الاستعمار الأوروبي حيث أطلق عليها "رجل أوروبا المريض".

في هذه الأثناء، لفتت فلسطين أنظار الدول الكبرى كونها أرض الديانات السماوية الأساسية وسارعت الدول الأوروبية والولايات المتحدة إلى إنشاء قنصلياتٍ لها في القدس. أما الموضوع الأساس الذي كان يُبحث ضمن هذه القنصليات، فهو مصير الإرث العثماني.

في تلك المرحلة، كانت مشاريع ومقترحات المفكّرين اليهود وغير اليهود توجّه الأنظار أكثر صوب فلسطين، وكثرت الإشاعات والأكاذيب كونها بلداً مهملاً غير مسكونٍ بالكامل. وقد ساعد في إنجاح هذه الإشاعة الحركة الصهيونية العالمية.

2- معاداة السامية!

هذا المصطلح أخذ بالانتشار في أوروبا منذ الرّبع الأخير من القرن التاسع عشر، واستخدمه اليهود للتعبير عن الاضطهاد المزعوم الذي تعرّضوا له في حقباتٍ زمنيةٍ مختلفة. ولنفترض أن بعض الدول اضطهدت اليهود، فإن ذلك لم يكن بسبب الفوارق الدينية، وإنما بسبب ميّزات الشخصية اليهودية بحدّ ذاتها، حيث عرِف اليهود كجشعين محبّين للمال، ومبتعدين عن العمل الشاقّ، ومتعصّبين ليهوديتهم، منغلقين على أنفسهم، يخونون البلد الذي يحضنهم ولا يوالون له. كلّ ذلك شكّل عنصراً عدائياً من قِبل الشعوب الحاضنة لهؤلاء اليهود.

ثمّ تشعّب استخدام معاداة السامية ليطال الجوانب الاقتصادية أو الاجتماعية أو العرقية. أما الملفت، فهو أن اليهود هم أوّل الدّاعين إلى النظريات العرقية، وذلك بادّعائهم أن جنسهم هو الأفضل في العالم، وأنهم شعب الله المختار، وأن الأرض المقدّسة هي لهم وحدهم دون سائر البشر.

والأكيد في خِضمّ كلّ ما سبق، هو أن استفحال معاداة السامية لم يكن كما تصوّره الدعاية الصهيونية مرضاً عضالاً غير قابلٍ للشفاء إلاّ باقتلاع اليهود من الدول الأوروبية والتعويض عليهم بأرض فلسطين. كلّ ما في الأمر أن اضطهاد الآخر شمل شعوباً كثيرة من غير اليهود، وهذا أمرٌ

طبيعيّ في سياق تصارع القوى السياسية والاقتصادية في أيّ بلد. أمّا أن يُستثنى اليهود من هذه الصراعات، فذاك أمرٌ غير منطقي على الإطلاق. فإسبانيا الكاثوليكية مثلاً عندما اضطهدت اليهود، هي اضطهدت شعوباً أخرى أيضاً، ولم تستثن محاكم التفتيش فيها أحداً؛ بل هي طالت المسلمين بشكلٍ واسع، حيث ارتكبت المجازر بحقّهم. ورغم ذلك، لم يتبنّ المسلمون أياً من النظريات العرقية.

وفي عام 1917، ضعف الحديث عن "معاداة السامية"؛ والسبب أن اللورد بلفور كان قد وعد اليهود بالأرض المقدّسة وطناً لهم. وممّا أسهم في ذلك قوّة اليهود الاقتصادية والذاتية في أوروبا، والتي وصلت حينها إلى مدىً بعيدٍ ساهم في فرض الوعد لا في استجدائه.

3- فشل الاندماج

يعتبر الصهاينة أن فشل الإندماج في المجتمعات الأوروبية هو سببٌ رئيسٌ لقيام الصهيونية باعتبارها البديل. إلاّ أن ما يجب قوله في هذا المجال، هو أن الحلّ الصهيوني لا ينسجم مع الحلّ الاندماجي؛ فكلاهما يناقض الآخر. لذلك، شنّت الصهيونية حرباً شعواء على الاندماج اليهودي-الأوروبي. ولولا قيام الصهيونية كحركةٍ عنصريةٍ استعمارية، لكان بالإمكان دمج اليهود داخل المجتمعات التي يعيشون فيها، تماماً كما هو الوضع مع القسم الأكبر من يهود العالم الذين اختاروا البقاء في أوروبا وأمريكا خارج إسرائيل. وهذا بذاته مأزقٌ من مأزق الصهيونية؛ إذ أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي يعيش معظم أبنائها خارج أراضيهم، ولا يتكلّمون اللغة العبرية إلاّ أثناء الصلاة؛ إضافة إلى أنهم ظلّوا منتمين إلى حضارات الدول التي يعيشون فيها.

خامساً: أبرز الإتجاهات والتيّارات الصهيونية

1- الصهيونية الدينية، وأسسها هي:

- الإيمان بإله واحد.
- المسيح سيعود ليخلّص اليهود من رحلة الشتات.
- الإيمان بالعودة إلى "الوطن" الأصليّ.
- اليهود هم شعب الله المختار.

2- الصهيونية الثقافية الروحية: وتنبع فلسفتها القومية اليهودية من أولويّة التراث الثقافي والأخلاقي واللغة العبرية. ورغماً عن أنها تعطي أولويّة لتجميع اليهود في أرض واحدة، إلاّ أنها ترفض ادعاء الصهيونية السياسية بحجّة معاداة السامية للحصول على الأرض أو بذريعة الأوضاع السيّئة والمزرية التي تحيط باليهود على الصّعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وبدلاً عن ذلك، ترى الصهيونية الثقافية أن أعظم تهديدٍ لبقاء اليهود في العقد الأخير من القرن التاسع عشر خاصّة، يكمن في الضعف الداخلي للمجتمعات اليهودية وفقدانها لأيّ إحساسٍ بوحدتها في تداعي إمساكها بالقِيم والمثل العليا. وكان قد ظهر عددٌ من المفكّرين اليهود -قبل ظهور هرتزل- الذين أكّدوا أهمّية العامل الثقافي في بثّ روح القومية اليهودية. ومن أبرز هؤلاء "موشيه هس" و"بيريز سمولكنسكي".

وكان للتوجّه التراثي دوراً أيضاً في جمعية (أحبّاء صهيون). غير أن الفضل في تطوير مفاهيم الصهيونية الثقافية وتوجّهاتها يعود إلى "آحاد هاعام" الذي كان يشدّد على اللغة العبرية "والقِيم" اليهودية التاريخية، مستفيداً في ذلك من تجربة استقلال البلدان الأوروبية التي بدأت فكرياً بانفصال اللغات عن اللغة اللاتينية، الأمر الذي قوّى الشعور الوطني والقومي لدى الشعوب ودفعها للقيام بثوراتٍ تحرّرية.

وكان أحاد هاعام قد انتقد في مقاله "الطريق الخطأ"، سياسة الاستيطان في فلسطين، معتبراً أن "هذا الأسلوب لا يمكن أن ينجح ما لم توقف الصهيونية وسائلها بإغراء القادمين عن طريق الخداع والأوهام بطرح المكاسب الذاتية، وتتوجّه عِوضاً عن ذلك إلى إيقاظ وطنيتهم اليهودية الخفيّة وحبّهم لصهيون؛ لأنهم هكذا فقط يستمدّون قوّة معنوية لمواجهة صعوبات الحياة التي تجابههم في أرض الأجداد"[2].

الصهيونية العملية:

اعتبر الناشطون في الصهيونية العملية أن النشاط الدبلوماسي واللهاث وراء وعودٍ دوليةٍ هو

(2) مقال الطريق الخطأ 1889، احاد هاعام.

مضيعةً للوقت. لذلك، عارض هؤلاء هرتزل" مؤسّس الحركة الصهيونية وبرنامجه السياسي، وحصروا جهودهم في تنمية المستعمرات داخل فلسطين والعمل على تكثيف الهجرة حتى يفرض الأمر الواقع نفسه.

الصهيونية السياسية:

هذا المصطلح وجد كي يميّز بين ارتجالية جمعية (أحبّاء صهيون) التي كانت تعتمد على صدقات أغنياء اليهود وبين صهيونية "هرتزل" التي حوّلت المساواة اليهودية إلى مسألة سياسية وخلقت لليهود حركة منظّمة لها أهدافها ووسائلها.

ونستطيع القول إن "بنسكر" هو الذي وضع حجر الأساس في قيام الصهيونية السياسية التي أطلقها "هرتزل" عام 1897، إذ أنه أوجدها نظرياً بينما حوّلها هرتزل إلى واقع سياسي.

وإذا كان صحيحاً أن "هرتزل" أدرك إمكانية الاستفادة من المخطّطات الغربية في مسعاه لاستعمار فلسطين، نظراً لتفكّك السلطنة العثمانية والتسابق الإمبريالي للحصول على مستعمرات، وعلى فلسطين بالأخصّ، إلاّ أن الفرصة لم تسنح له إلاّ خلال الحرب العالمية الأولى حين اتضح أن العرب يتوجّهون نحو الاستقلال والتوحّد، الأمر الذي يهدّد مصالح الغرب الإمبريالي؛ فكان وعد بلفور و"الزواج" البريطاني-الصهيوني.

الصهيونية العمالية:

ويصفها البعض بالصهيونية الاشتراكية، نظراً لأن الصهاينة فيها يركّزون على الجانب الإقتصادي والاجتماعي في وضع اليهودي غير القادر على الاندماج، لا على الجانب الديني. أما أهمّ تيّارات هذه المدرسة، فهي مدرسة غوردون التي عزّزت فكرة اقتحام الأرض والعمل كوسيلةٍ للتخلّص من عقد المنفى ووسيلة عملية لغزو الأرض وصهر القومية اليهودية الجديدة.

وقد عمل روّاد هذه الصهيونية على إنشاء منظّماتٍ عمّاليةٍ عديدة، مثل عمّال صهيون والعامل الفتيّ والحارس الفتيّ. ثمّ تحوّلت هذه المنظّمات إلى أحزابٍ عمّاليةٍ رئيسيةٍ تمخّضت

عنها منظّمات اقتصادية سياسية، مثل الهستدروت والكيبوتز والهاغاناه والبالماخ، والتي شكّلت مجتمعة أدواتٍ رئيسية لعملية الغزو الصهيوني لفلسطين.

وإلى جانب الاتجاهات الصهيونية التي ذكرناها، برزت تيّاراتٌ أخرى للحركة الصهيونية منها: الصهيونية الإقليمية، الصهيونية التنقيحية، الصهيونية التوفيقية، صهيونية الدياسبورا، الصهيونية الراديكالية، الصهيونية العمومية (الكولونيالية).

وسائل الصهيونية لبناء وطن قومي:

عملت الحركة الصهيونية منذ نشوئها، وفي سبيل إكساب وجود اليهود حقاً دينياً وتاريخياً على أرض فلسطين، على تزوير التاريخ ووضع موسوعاتٍ وكتبٍ بلغاتٍ مختلفة، وكتابة القصص وإنتاج الأفلام السينمائية والتلفزيونية والمسرحية التي تفيد أن اليهود هم شعب الله المختار وأنهم غُرّبوا عن أرضهم، ثمّ عادوا إليها!

وقد استطاعت الصهيونية، بأساليبها المتعدّدة وسيطرتها على الأسواق المالية والتجارية وعلى الوسائل الإعلامية الهامّة في أنحاء كثيرةٍ من العالم، التأثير في الفكر الغربي الأوروبي، والمسيحي، عبر عمليات غسل الدماغ (Brain Washing) التي كانت تمارسها.

ويعتمد اليهود في "إثبات حقّهم" في الأرض العربية على نصٍ في التوراة يقول: "واجتاز إبرام (إبراهيم)[3] في الأرض إلى مكان شكيم (نابلس) إلى بلّوطة موزة، وكان الكنعانيون حينئذٍ في الأرض، وظهر الربّ لإبرام، قال لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له..."[4].

وعلى افتراض صحّة هذا النصّ، فهو يحمل معنىً واحداً، وهو قول الله تعالى لإبراهيم (ع) "لنسلك أعطي هذه الأرض". والمعروف أن إبراهيم (ع) هو أب إسماعيل جدّ العرب وإسحاق جدّ العبرانيين الأصليين.

---

(3) لمطالعة حياة سيّدنا إبراهيم (ع) بدقّة، راجع كتاب: «إبراهيم أبو الأنبياء»، لـ عبّاس محمود العقّاد، نهضة مصر- القاهرة (2001).

(4) العهد القديم- سفر التكوين 126: 9,6

ثبوت حق العرب بالقدس:

يبدأ تاريخ القدس قبل الميلاد بـ ثلاثة آلاف سنة على الأقلّ. ويذكر المؤرّخون أن اليبوسيين هم أوّل قوم بنوا مدينة القدس وأسموها يبوس نسبة إليهم. واليبوسيون هم فرعٌ من الكنعانيين العرب الذين سكنوا فلسطين منذ الألف الرابع ق. م؛ هم عربٌ من العمالقة سكّان الجزيرة العربية، هاجروا منها إلى البلاد المجاورة كغيرهم من المهاجرين العرب الذين تركوا موطنهم الأصليّ بسبب الجفاف والأحداث الأخرى. وتُثبت الشواهد التاريخية والأثرية أن مدينة يبوس اتخذت إسماً كنعانياً جديداً هو يورسالم أو أورسالم؛ ويعني مدينة الإله سالم، إله السلام عند اليبوسيين[5]. وقد وجِد هذا الإسم (أورسالم) على نقشٍ فرعوني قديمٍ يعود تاريخه إلى القرن التاسع ق. م. (فلسطين الدرّة المغتصبة، القسم الثاني، الغزالي).

كما ورد هذا الإسم، أيضاً، في لوحةٍ من لوحات "تلّ العمارنة"، وهي محفوظةٌ في المتحف المصري بالقاهرة، ويعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ق. م؛ أي قبل دخول العبرانيين (اليهود) إلى الأرض العربية الفلسطينية بفترةٍ طويلة.

وعندما جاء الفتح الإسلامي، أطلِق على المدينة إسم بيت المقدس لتكون مدينة مطهّرة لله عزّ وجلّ.

(5) بيت المقدس ص 81.

الفصل الثاني

أوّلاً: بين السامية ومعاداة السامية

يُعِدّ اليهود أنفسهم أصل الساميّة دون غيرهم من الشعوب، متنكّرين لساميّة العرب الذين هم عصبة هذا العِرق البشري.

ونظراً لأهمّية هذا الموضوع، وضرورة توضيح بعض الحقائق، وللإلمام ببعض الجوانب التي هي على صلةٍ بالبحث، نحاول تالياً الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هي حقيقة ما يزعمه اليهود من انتسابهم للساميّة؟
- هل هناك في الشعوب عِرقٌ نقيٌ خالص؟
- هل القدس وفلسطين حقٌ موروثٌ لليهود؟

تعريف السامية

السامي Semite هو ذلك الشخص المنحدِر من أصولٍ ترجع إلى سلالة سام بن نوح. ويُطلق مصطلح السامية على الديانات التي ارتبط ظهورها بشخصياتٍ تنتمي إلى العرق السامي؛ ولا يعني ذلك أن جميع أتباع هذه الديانات ساميون. ووفق هذا التعريف، ليس كلّ اليهود ساميين. وعلى الرّغم من أن العرب كعرقٍ يمثّلون الرّكن الأساس في العرق السامي، فإن الجماعات الصهيونية عملت على احتكار مصطلح السامية واعتباره خاصّاً باليهود فقط. وبالتالي، فإن

مصطلح العداء للسامية يعني وفق هذا التعريف العداء لليهود. وبمرور الوقت، بدأت الجماعات اليهودية المتصهينة توجّه للعرب تهمة العداء للسامية، رغم أن العرب ساميون.

ولم يقتصر الأمر على العرب. بل إن كلّ من يعارض السياسة الصهيونية صار يُصنّف تحت لائحة المعادين للسامية. والمعروف أن مصطلح اللاسامية هو ابتداعٌ صهيونيٌ تمّ تكريسه في إطار المشروع الاستيطاني للحركة الصهيونية؛ وكان هذا المصطلح يظهر بين الحين والآخر على شكل تهمة تُلقيها الصهيونية على من ينتقد أو يعارض سياستها وأهدافها الاستعمارية في قلب الوطن العربي، وأهدافها النفوذية في الغرب.

وكلمة اللاسامية هي كلمةٌ ضبابية، دخيلةٌ على معجم الأنساب، اخترعها عالم اللاهوت الألماني النمساوي "شلوتربر"، واستخدمها الصهاينة كفكرةٍ قويةٍ لتجميع اليهود في وطنٍ ليس لهم، ولتشكيل أمّةٍ وكيانٍ عنصريين مختلفين عن غيرهما. ولم يُتداول هذا المصطلح حتّى سنة 1873، حين استعمله الصحفي الألماني وليم مار في كتابٍ عنوانه (إنتصار اليهودية على الألمانية) Wilhem Marr، إحتجاجاً على تنامي قوّة اليهود في الغرب، واصفاً إيّاهم بأشخاص بلا مبدأ وبلا أصل. وعملياً، لم تذكر المصادر التاريخية العالمية كلمة السامية قبل القرن الثامن عشر الميلادي؛ فاللغات اللاتينية والهندية والفارسية واليونانية والصينية لا تذكر كلمة سام وحام في كلّ آدابها. وهذا يعني أن العرب واليهود ينضوون تحت اسمٍ محدَثٍ وهو السامية.

ومن المنطقي القول، إن اليهود هم الذين أسّسوا ما يسمّى معاداة السامية. فهم أوّل من زرع في المجتمعات البشرية مقولاتٍ عنصرية حول "شعب الله المختار" و"التفوّق العرقي"، وما إلى ذلك. إضافة إلى أنه يوجد الكثير من اليهود ومن أقطاب الحركة الصهيونية ممّن ليسوا من نسب سام وليسوا حتى يهوداً بلا مبدأ ولا أصل.

فريتشارد ماينرتز هاجن" مثلاً، وهو أحد الضبّاط السياسيين للجنرال اللّنبي، يعترف بأن صهيونيته تقوم على غريزته اللاسامية التي حدّدتها وأثّرت فيها الاتصالات الشخصية، وكان يقول: "إنني مشرّبٌ بعواطف لا سامية. وأتمنّى أن تنفصل الصهيونية عن القومية اليهودية،

ولكنّها لا تستطيع ذلك. إنني أفضّل قبولها على حالها على أن أرفضها لأسباب غير جوهرية. ويضيف: إن آرائي عن الصهيونية هي آراء صهيوني متحمّس. والأسباب التي أثارت في نفسي إعجاباً بالصهيونية كثيرةٌ ومتنوّعة، ولكنّها متعلّقة بشكلٍ رئيسي بوضع اليهود غير المُرضي في العالم، والميل العاطفي لإيجاد جنس بعد تشرّدٍ دام ألفي عام"!

لاسامية الصهيونية:

يعتبر الباحث الصهيوني "جاكوب كلاتزكن" أن "اللاسامية حليفة للإسرائيليين"، ويقول: "إن الشتات في حدّ ذاته لا يستحقّ البقاء، لكنّه قد يكون مفيداً كوسيلة".

بدوره، كتب الصهيوني الروسي "أهارون غوردون" حول ذلك: إن الدولة الصهيونية ستكون الوطن الأمّ ليهود العالم، وتكون الجماعات اليهودية في الشتات مستعمراتٍ لها"[1].

إن رفض الشتات هو في واقع الأمر رفضٌ ليهود العالم وعداءٌ لهم. ويطلق الصهاينة المستوطنون داخل فلسطين عباراتٍ مهينة بحقّ يهود الشتات، ويصفونهم بأنهم "لعنةٌ إلى الأبد"، أو "مجرّد غبارٍ إنساني"، و"دمارٌ وانحلالٌ وضعفٌ أبديّ". وهذه العبارات مهمّةٌ للفكرة الصهيونية؛ فإذا كان يهوديّ الشتات يعيش حياة طبيعية وسعيدة، فلماذا يحتاج إلى الهجرة إلى فلسطين؟ ولماذا أصلاً بقاء الصهيونية التي هدفها الأساس هو تجميع اليهود في أرضٍ واحدةٍ لتشكيل أمّة!

ويرى الصهيونيون أن وجود اليهود خارج "أرض الميعاد" قد أفقدهم أيّ أهمّية على المستوى الاجتماعي والثقافي والسياسي، وحوّلهم إلى كائناتٍ منفّرةٍ وغير طبيعية. وقد عبّر الكاتب الصهيوني "حاييم برينر" عن هذه الأفكار بكلماتٍ قاسيةٍ حين وصف اليهود بأنهم "شخصيات مريضة يحيون مثل الكلاب والنّمل"، وأنهم "عجّز وكلاب قذرة يجمعون المال ويتبعون قِيم السوق"، ودعاهم إلى الاعتراف بوضاعتهم وأن "يأتوا إلى أرض اللبن والعسل كي يصبح لهم قيمة".

أما الكاتب الإسرائيلي "إسرائيل سنجر"، فيصف يهود الشتات بأنهم "شعبٌ منحطٌ يحيا في القذارة. وهم يمثّلون حدبة واحدة".

(1) عبدالوهاب المسيري-الصهيونية ومعاداة السامية وجهان لعملة واحدة. صحيفة الاتحاد الإماراتية. 2005/5/7.

ويفنّد "يحزقيل كوفمان" أوصاف اليهود التي جاءت في الكتابات الصهيونية على الشكل التالي:

* فريشمان: حياة اليهود حياة كلاب تثير الاشمئزاز.
* برديشيفسكي: اليهود ليسوا أمّة، ليسوا شعباً، ليسوا آدميّن.
* شوادرون: اليهود عبيد وبقايا ... أحد أنواع القذارة ... ديدان وطفيليات بخسة بلا جذور.
* أ. د. غوردون: اليهود عبارة عن طفيليات ... أناس لا فائدة منهم أساساً[2].

هذا قليلٌ من كثير ممّا جاء على لسان مؤسّسي الحركة الصهيونية وكيانها الغاصب، الذين اعتبروا أن تحرير يهود الشتات يستوجب تبنّي سياسة "معاداة السامية" لدفعهم للهجرة من الأوطان التي يعيشون فيها إلى "إسرائيل". وضمن هذا المنطق، يقول مؤسّس الصهيونية ثيودور هرتزل "إن المعادين للسامية سيكونون أكثر أصدقاء يمكننا الاعتماد عليهم، وستكون الدول المعادية للسامية حليفة لنا".

ثانياً: بين الصهيونية ومعاداة السامية

يتطرّق الفرنسي المستشرق "روجيه غارودي" في كتابه "إسرائيل بين الهوية والصهيونية"، إلى قضية الصهيونية الدينية والسياسية، مضيئاً على أفكار "مارتن بوبر" الكاتب الصهيوني المتعصّب، ليقول عنه: "إنه يكشف عن الجذر العميق لهذا التحوير في الصهيونية السياسية الناشئة ليس عن الديانة اليهودية، بل عن النزعة القومية الأوروبية للقرن التاسع عشر. فالصهيونية بهذا المعنى تدخل في إطار الفلسفة الأوروبية العنصرية الاستعمارية"... ويتابع ... "غير أن الذي حدث أن الصهاينة استطاعوا إيجاد امتزاج بين الأدبيّات اليهودية القائمة على العودة وفكرة الميعاد وشعب الله المختار من جهة، وبين النزعة الاستعمارية من جهة ثانية؛ وبذلك تحوّلت فلسطين من مستعمرة إسرائيلية، تماماً كما كانت دولٌ عربيةٌ أخرى كثيرة من طرف بريطانيا وفرنسا وإسبانيا، إلى حقٍ شرعي وديني"[3].

---

(2) المصدر: مقالة معار الزوح ـ يحزقيل كوفمان.

(3) روجيه غارودي- إسرائيل بين اليهودية والصهيونية: توزيع دار الأمير للثقافة والعلوم (1999).

لاسامية مزاجية

لا تحلّ نقمة اليهود على الشعوب أو الأشخاص اللاساميين بشكلٍ مباشر، إلاّ إذا تعارض وجود هؤلاء مع المشروع الصهيوني. فاللورد بلفور، البريطاني الذي أسّس المشروع الصهيوني في فلسطين، لا ينتمي إلى السامية؛ وقد رضيت عنه الحركة الصهيونية لفترةٍ طويلةٍ من الزمن. ولم تكن لاساميّته مدعاة للدخول في دائرة الغضب الصهيوني إلاّ بعد العام 1905، عندما أصبح من أولويّات "بلفور" إقرار قانونٍ يحدّ من الهجرة من أوروبا الشرقية. فقد تعرّض بلفور لهجومٍ في المؤتمر الصهيوني السابع بسبب "لاساميّته المكشوفة" في سياسته المعادية للهجرة اليهودية، حيث اتّهمه المندوب الإنجليزي للمؤتمر م. شيرد بـ"اللاسامية" الصريحة ضدّ الشعب اليهودي، على الرّغم من أن بلفور هذا عمل سنواتٍ طويلةٍ لتحقيق الحلم "الإسرائيلي".

وليس بلفور وحده هو اللاسامي بنظر قادة الصهاينة ومزاجييّهم. فالفيلسوف "أويفين دونينغ" الذي وصف اليهود بأنهم أحطّ المخلوقات في كتابه (المسألة اليهودية مشكلة عرقية وأخلاقية وحضارية) اعتُبر معادياً للسامية؛ وصنّف كتابه، أسوأ الكتب المنشورة، لأنه اقترح عزل اليهود عن المجتمع وعدم مساواتهم بمواطني الدول التي يعيشون في كنفها، لأنهم "سارقين وغير منتجين ويتنكّرون لكلّ ما قدّم لهم"، حسب ما جاء في الكتاب.

وفي السياق نفسه، سُمّي المفكّرون الذين ساروا على خُطى "دونينغ"، ومنهم الألماني "هوستون ستيوارت شاميران" واليهودي الأميركي نورمان فنكلشتاين، الذي اتّهم في كتابه "صناعة الهولوكوست" اليهود باستعمال الهولوكوست لتبرير السياسة الإجرامية التي تتبنّاها "إسرائيل" بابتزاز الأموال من أوروبا باسم عائلات الضحايا.

وأيضاً، طال هذا الاتّهام (معاداة السامية) الكثير من المفكّرين والمؤرّخين، حتّى وصل الأمر إلى حدّ إيذائهم بطرقٍ وأساليب متنوّعة (يأتي الحديث لاحقاً عن هذا الموضوع). يقول مارتن لوثر في كتابه (نفاق اليهود) "إن هؤلاء الكلاب يسخرون منّا ويتهكّمون على ديننا"؛ "إن قلب اليهودي قاسٍ كالخشب ... كالحجر ... كالحديد ... كالشيطان نفسه". ويتابع ... "إنهم خفافيش ومصّاصو دماء، لا يستطيعون التعايش مع أنفسهم؛ وغير ذلك الكثير".

ويتابع: إن اليهود يجدّفون على اسم مخلّصنا تجديفاً لا ينقطع كلّ يوم. ولهذا السبب، يجب عليكم أيها النبلاء والسادة، أصحاب الشأن في السلطة الحكومية، ألاّ تتحمّلوا بعد اليوم هذا الأمر من اليهود. والعلاج هو طردهم من البلاد، فهم أعداؤنا بجبينٍ واضح". والسؤال الذي يحضر هنا: كان هل لوثر معادياً للسامية؟

أما بنيامين فرانكلين (أحد المؤسّسين الكبار لأمريكا)، فيقول في المؤتمر الدستوري عام 1789: "إذا استمرّ حال اليهود كما هو عليه في الولايات المتحدة، فإن الأمريكيين غير اليهود سيجدون أنفسهم ذات يوم خدماً وعبيداً لأبناء صهيون".

وفي كتاب "الحرب باسم الله"، كتب كارين آرمسترونغ: "حين يحتلّ اليهود مدينة من المدن، فإنهم يدمّرونها تدميراً كاملاً ويُباد سكّانها عن بكرة أبيهم؛ فكان الرّجال والنساء والأطفال وحتّى الحيوانات يُذبحون، والمدن تستحيل أنقاضاً".

ثالثاً: معاد للسامية من قلب السامية

يكشف المفكّر اليهودي "إسرائيل شاحاك" والكاتب الأمريكي اليهودي "نورتون ميرفينسكي" الذي يعمل أستاذاً للتاريخ بجامعة كوينكيتكت، عن حقيقة الإرهاب الضارب بجذوره في الفكر الصهيوني، وذلك في كتابٍ حقّق مبيعاتٍ ضخمة في أوروبا وأمريكا، وصدرت منه ترجمة عربية، وهو حمل عنوان "الأصولية اليهودية في إسرائيل". إن أهمّ الأفكار التي يعتنقها المسيطرون على الأوضاع السياسية في الكيان هي ضرورة بناء المعبد اليهودي على أنقاض المسجد الأقصى، أو على أقلّ تقديرٍ إغلاق الأقصى المبارك أمام المسلمين وفتحه للصلاة أمام اليهود.

ويضيف الكاتبان: إن الفكر المسيطر على قادة اليهود في "إسرائيل" يدعو إلى التخلّص من كلّ الأمم الأخرى غير اليهودية (كما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون)، وذلك للتخلّص من الشرور والشيطان.

ويوضح الكتاب، أن أكبر حزبين في "إسرائيل" (الليكود والعمل) يسعيان لتكريس حقيقةٍ

واحدة هي عقيدة شعب الله المختار، وهي السبب في أن اليهود يحتلّون منزلة سامية عن غير اليهود، وأن "دم غير اليهودي ليس له قيمة جوهرية؛ ويتمثّل ذلك الإيمان الأعمى في الجرائم والمذابح التي يرتكبها اليهود ضدّ غير اليهود ويعزون سببها للدّين في كلّ مرّة"[4].

أما الكاتب الإسرائيلي موشيه بيغليني فيقول في كتابه "الثقافة اليهودية": تلك الثقافة مليئةً بالتراث العنصري الذي يحضّ على كراهية الغير وشنّ العدوان عليهم... مضيفاً: إن التراث اليهودي مليءٌ بأقوال وفتاوى الحاخامات اليهود الذين ينادون بشنّ الحرب والقتل والدمار ضدّ غير اليهود، ويصفون كلّ ما هو غير يهودي بصفاتٍ لا إنسانية". ويصف بيغليني التراث اليهودي على مدار التاريخ بقوله: "إنه تراثٌ عنصري. واكتفى القائمون على هذا التراث بالعمل على تقوية مصطلحاتهم العنصرية والترويج لها مثلما فعل العديد من دعاة العنصرية من أبناء القوميّات الأخرى". وفجّر "بيغليني" مفاجأة أو صدمة عندما تحدّث في كتابه عن أن "من بين التراث اليهودي فتوى تقول إن جزاء الأفضل من غير اليهود يجب أن يكون القتل".

ويروي الكاتب قصّة أحد الحاخامات اليهود (المتوفّين)، ويُدعى "تسيفي يهودا كوك"، الذي طلب من تلامذته التعامل بالرأفة نوعاً ما مع غير اليهود، ليفاجأ في اليوم التالي بتلامذته يأتون له بدميةٍ على شكل مواطنٍ عربي، وأخذوا يمزّقون الدمية بطريقةٍ مهينة تعبيراً عمّا يؤمنون به. وقد تعرّض "بيغليني" لحملةٍ إعلاميةٍ عنيفةٍ بعد نشر كتابه، حيث كتب "بن درور يميني" في صحيفة "معاريف" مقالة هجومية وصف فيها "بيغليني" بالمعادي للسامية من قلب السامية".

وأضاف": إننا بينما نحاول محاكمة العرب بتهمة معاداة السامية، إذا بنّا نجد أحد اليهود يحاول النيّل منا، من داخلنا، دون أن يضع في حساباته أنه يفضحنا. ولهذا، يجب علينا أن نسارع إلى دحض مزاعم "بيغليني"، لأن العرب يسارعون إلى نشر مثل هذه الأقاويل؛ ويجب أن يُعامل (يقصد بيغليني) مثلما عومل اليهودي "دايفيد (برفيغ) عندما حاول نفي حدوث محرقة اليهود في أفران النازي الألماني"[5].

---

(4) راجع: النسخة المترجمة إلى اللغة العربية الأصولية اليهودية في إسرائيل - 1999.

(5) موقع: Spanishoord.mufipy.com/reviews/item/1

شعب الله المختار!

يزعم اليهود أنهم "شعب الله المختار". فهل هذا ادّعاءً صحيح؟ أم أنه أكذوبةً أخرى تُضاف إلى مجموعة الأكاذيب والأضاليل الصهيونية على مرّ التاريخ!؟ فيما يلي سنوضح ذلك. إن تفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوتٌ بزمان استخلافهم واختبارهم في حينه، لحمل الرسالة. لكن، بعد أن سقطوا في الاختبار وعتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياءهم، وجحدوا نعم الله عليهم، بيّن الله تعالى حكمه فيهم، حيث لعنهم "وضُربت عليهم الذلّة والمسكنة وباءوا بغضبٍ من الله، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون النبييّن بغير الحقّ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون"؛ وقد كُتبت عليهم الذلّة، وكان التشرّد مصيرهم وحقّ عليهم الوعيد[6].

لكن، من أين جاء انتماء هؤلاء إلى إسرائيل؟

يذكر علماء الإسلام، ومفسّرو الكتاب العزيز، أن هذا الانتماء جاء لجهة ادّعاء اليهود بانتمائهم لإسرائيل (النبي يعقوب)؛ وهذا هو اسمه الثاني. ومعنى إسرائيل هو عبدالله، لأن إسر في لغة الكنعاني هو العبد، وإيل هو الله. وقيل أن إسرائيل لقبٌ له، وهو إسمٌ عجميٌ غير منصرف[7].

ويدّعي اليهود أنهم ينتمون في نسبهم إلى إسرائيل (يعقوب (ع)). والسؤال هنا. هل اليهود الحاليون لديهم هذا الانتماء؟ كلا- إن الأكثرية التعدّدية للشعب تنتمي إلى أعراقٍ متنوّعةٍ ومختلفة، ليس لها صلة بـ"إسرائيل" نسباً وعقيدة؛ وهذا ما سنفنّده خلال البحث.

من أين جاء اسم اليهود؟

إن اليهود الذين كانوا في عهد موسى (ع) هم قومٌ من أصلٍ سامي. وقد سُمّوا كذلك باسم يهودا (أحد أبناء يعقوب (ع)). وتشير القرائن التاريخية إلى نفي صلة اليهود الحاليين بـ(إسرائيل- يعقوب)، نسباً وديناً؛ فالحاخامات اليهود قاموا على مرّ التاريخ بتزوير التوراة وإدخال أعراقٍ غير سامية، كالخزر، وأخرى من أعراقٍ أوروبية تشكّل الأكثرية التعدّدية عندهم في ديانتهم.

---

(6) تفسير الظلال جزء أول ص 69، المعجم الوسيط جزء ثاني ص 998، دار الفكر.

(7) تفسير فتح القدير، محمّد علي الشوكاني جزء أول ص 74، دار الفكر.

الأسطورة التوراتية

نسج مؤلّفو التوراة قصصاً كثيرة ملفّقة. ومن هذه القصص تلك التي ذكِرت حول (سام، حام، يافث وأرفكشاذ) أولاد نوح عليه السلام، والتي أراد بها اليهود قديماً وحديثاً تحقيق سيادتهم على العالم.

تفيد هذه القصّة الملفقّة، أو الأسطورة المزعومة، أن حاماً (ولد نوح (ع)) وهو أبو كنعان، جدّ الكنعانيين -أيضاً حسب الأسطورة- رأى والده (النبي نوح) في خيمته يسكر ويرقص عارياً؛ فأعلم إخوته بذلك. لكنّ سام -جدّ بني إسرائيل- غطّى غباوة أخيه وسوأة أبيه، وتصرّف بلياقةٍ وذكاء. ولمّا أفاق نوح من سكرته وعلم بالأمر، دعا على "حام" بأن يصير عبداً لإخوته وأن تصبح ذرّيته من بعده عبيداً لذرّية أبيهم[8].

وبناءً عليه، فأبناء حام (العرب) هم ملعونون، بينما أبناء سام الإسرائيلي أذكياء وشرفاء وكرماء، حسب الأسطورة الملفّقة.

وهكذا، عبر أسطورةٍ خرافية، أصبح وجوباً أن يكون العرب خدماً لبني إسرائيل، بينما المال والأرض لأبناء سام "الأطهار". وبذلك، تأسّس الفكر الصهيوني على مزاعم تتناقض مع أبسط حقائق الدين السماوي، وتخفي احتقاراً للأنبياء ومقاماتهم وسلوكهم. فهل يُعقل أن سيّدنا نوح(ع) الذي قضى تسع مئة وخمسين عاماً في دعوة الناس للإيمان بالله، يرقص ويسكر؟ هذه خرافةٌ تتناغم مع مجموع خرافات الحاخامات اليهود الذين أدخلوا إلى التوراة كلماتٍ غير محتشمةٍ ومؤذيةٍ عن الأنبياء عليهم السلام.

رابعاً: أباطيل صهيونية بالجملة

ومنها، أن المؤرّخين اليهود عندما يتحدّثون عن الشعوب السامية يضعون العرب والكنعانيين ضمن لائحة الساميين، في حين تذكر التوراة بأن العرب هم أبناء كنعان بن حام وليسوا بأولاد سام. فهل الكنعانيون من نسل سام أو من نسل حام؟

(8) العهد القديم: سفر التكوين، إصحاح 9، 20-27.

أضف إلى ذلك، أن اليهود هم بالأصل تجمّعٌ شتاتيّ قدم من مختلف الدول الأوروبية، وخاصّة من شرق أوروبا؛ وهم لا ينتمون للعبرانيين ولا لبني إسرائيل بأيّ شكل؛ بل إنهم من أصولٍ مغوليةٍ تترية، أي ليسوا من نسل سام. وبهذا يصبح -مثلاً- مصطلح "معاداة السامية"، باطلاً بحقّهم.

وأيضاً، نقرأ في التوراة: (ولد تارح أبرام وناحور وهاران، وولد هاران لوطاً، ومات هاران قبل تارح أبيه في أرض ميلاده في أور الكلدانيين)[9]

يعود تارح إلى أبناء سام بن نوح، في حين يكون أبناء إبرام إسماعيل وبعده إسحاق.

كذلك، جاء في التوراة على لسان الربّ: وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمّره وأكثّره كثيراً جداً، اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمّة كبيرة)[10].

إبراهيم هو من أحفاد سام، وإسماعيل هو إبن إبراهيم الذي باركه الربّ حسب التوراة، وجعل أمّته أمّة عظيمة. وكلّ فردٍ من أمّته هو سامي؛ وهم شعوب الجزيرة العربية الممتدّة حتى حدود الأناضول شمالاً، ومن المتوسط حتى حدود فارس شرقاً. هم أمّةٌ عظيمة، وهم ساميّون بشهادة التوراة، وطبقاً لعلم الأنساب.

إن أبناء إسحاق وأحفاده اتخذوا من ساحل فلسطين وما حول الأردن مكان عيشٍ لهم إلى جانب الفلسطينيين، ليعيشوا في حمايتهم وحماية المسلمين. فكيف يُقال أن أرض فلسطين كانت خالية عند إقامة الكيان الصهيوني؟ وأن أبناء يعقوب ما زالوا باقين فيها حتى الآن؟ مع العلم أن 4% فقط من هؤلاء اليهود تعود أصولهم إلى سام (ع).

وهنا نذكر مغالطة أخرى: يُرجع اليهود نسبهم إلى إبراهيم أبو الأنبياء والمرسلين. لذلك، فهم -حسب ما يزعمون - الأنقى جنساً وشرفاً وصدقاً وديناً، وهم "شعب الله المختار"؛ وما عداهم من الأمم هم (غوييم)؛ أي حيوانات عوجاء.

(9) سفر التكوين العهد القديم 11/ 9.

(10) سفر التكوين 17/ 12.

وهذا ما يناقض قول الله تعالى في الآية الكريمة (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً).

ويردّ علماء النفس محاولات اليهود المتكرّرة للحطّ من قدر الشعوب الأخرى إلى عيب نفسي سيكولوجي رهيب في شخصية اليهودي، الذي عاش في مجتمعات احتقرته وعاملته باستعلاء بسبب جشعه وطمعه وخيانته وضعفه وانزوائه، وليس لغير ذلك ... ويبدو من اللطيف في هذا المجال ذكر ما قاله "غوستاف لوبان" عن اليهود: كان بنو إسرائيل أخلاطاً من شعوب جامعة تشكّل مجموعة بدوية غير متجانسة، من قبائل سامية صغيرة تقوم حياتها على الغزو ونهب القرى الصغيرة حتّى تقضي عيشاً رغيداً لبضعة أيام ثمّ تعود إلى حياة التّيه والبؤس"[11].

حقيقة إنتماء اليهود للسامية

يقول المؤرّخ الإسلامي "فايد عاشور" في مقابلة له مع جريدة (الأهرام العربي) في 20 تموز 2003، "أن عدد سكّان الكرة الأرضية يزيد على ستّة مليارات من البشر، وعدد اليهود منهم لا يتجاوز ثمانية عشر مليون يهودي؛ حتّى لو أن أحد الكتّاب قال إنهم ثلاثون مليوناً، فنقول له:

لو كان الأمر كذلك، فإن من بين هؤلاء اليهود في العالم ما يقلّ عن مليون من الأصول العربية؛ أي الأصول السامية. ومعلومٌ أن اليهود العرب الذين هاجروا إلى فلسطين المحتلّة هم كالتالي:

من المغرب: 483 ألف يهودي، ثمّ أصبحوا 750 ألفاً.

- من ليبيا: 77 ألف يهودي.
- من العراق: 267 ألف يهودي.
- من السودان: 40 ألف يهودي.
- من اليمن: 165 ألف يهودي.
- من مصر: 120 ألف يهودي.

(11) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى. غوستاف لوبون نقلاً عن كتاب عبدالله التلّ- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية -المكتب الإسلامي للنشر (1979)، ص 22.

فهل هؤلاء كلّهم من الساميين؟ يجيب: بالطبع لا. "إن اليهود الذين جاؤوا من المغرب وتونس والجزائر وليبيا ينتسبون إلى حام بن نوح (ع) أو إلى "يافث" أخو "حام".

ومعروفٌ أن معظم اليهود في شمال أفريقيا (الفالاشا) جاؤوا بعد خروج العرب والمسلمين من بلاد الأندلس، ورحلوا إلى بلاد المغرب. ومعظم اليهود المغاربة ينتسبون إلى "يافث" بن نوح (ع) الذي كوّنت ذرّيته الأمم الأوروبية وبعدها الأميركية. أما يهود أوروبا وأمريكا، فهم هاجروا إلى تلك البلاد بحثاً عن الثراء؛ فكلّ يهود أمريكا هم من أصولٍ أوروبية أو من أصولٍ حامية، من خلال الأفارقة الذين جاء بهم الاستعمار الأوروبي من قارّة أفريقيا إلى أميركا من أجل العمل. وهذا يعني أن معظم يهود العالم من أصولٍ غير سامية، وإنما هم ينتسبون لـ حام ويافث أبناء نوح.

فيما من ينتسبون إلى سام هم يهود العرب الذين لم يصل عددهم بحالٍ إلى مليون يهودي. وإذا رأينا هذه النسبة، يكون هناك مليون يهودي سامي مقابل 29 مليون يهودي من أصولٍ لا علاقة لها بالسامية؛ أي أن ما نسبته 96% من يهود العالم غير ساميين[12].

وهكذا، يتّضح كيف استطاعت الحركة الصهيونية نشر مصطلحاتٍ عنصرية وعِرقية من أجل شرعنة اغتصاب فلسطين. وربط اليهود بتاريخ وجغرافيا ودين من صنع هذه الحركة لا يمتّ إلى الواقع بصلة. وفي هذا المجال، يقول مؤسّس الصهيونية ثيودور هرتزل "إن كلّ العالم يكره اليهود، وإن اليهود غير آمنين إلاّ بين بعضهم". وبذلك تكون السامية وليدة الصهيونية ومرتكزها الأساس لجعل اليهودي يشعر دائماً أنه مكروهٌ من العالم، وأن دولته هي الملجأ الوحيد له، ويجب أن تكون مسلّحة وقوية وعسكرية حتى تبقى وتستمرّ[13].

خامساً: اليهود من شعوبٍ وقوميّات مختلفة

يقول العالمان "وولي" و "أوجين بيتار" اللذان توصّلا إلى نتائج مذهلة بعد دراساتٍ جذريةٍ

(12) العابد عاشور، مؤرّخ إسلامي، مقابلة - جريدة الأهرام العربي في 20 تموز 2003م.

(13) كتاب الدولة والسياسة ص 132 - 134. الكاتب غريس هالسل، ترجمة محمّد السمّاك.

ومعمّقة، ومن مصادر عاليةٍ وعلميةٍ بيولوجيةٍ وغيرها، حول الأشكال والصفات اليهودية وغير اليهودية "إن يهود المغرب العربي أصولهم عربية، ثمّ تهوّدوا (فيما بعد) في ألمانيا؛ واليهود يشبهون الألمان شبهاً واضحاً. وفي البلاد السلافية، أصولهم تعود للمسيحيين الألمان، وليس لليهود المنتمين في الأصل لقوم موسى.

ويضيف العالمان: اليهود لا يختلفون عن مواطنيهم السلاف. إذ أن يهود ألمانيا هم سلاف جرمان وليسوا يهوداً في الأصل. وهذا ما كشفه يهود ألمانيا صراحة للحكومة النازية عندما شرعت باعتقال الناس من غير الألمان. فقد أكّد هؤلاء المتهوّدون للمحقّقين الألمان النازيين بأنهم ليسوا يهوداً في الأصل؛ بل اعتنقوا الديانة اليهودية لظروفٍ خارجةٍ عن إرادتهم، وخاصّة المعيشية منها. ليس هذا وحسب؛ بل هم أبرزوا وثائق رسمية تؤكّد على مسيحيتهم السابقة الألمانية. أما بالنسبة ليهود بافاريا، من السلاف أيضاً ومن حوض الرّاين ومن حوله، فهم لم يكونوا يهوداً في الأصل على الإطلاق؛ بل مسيحيون اعتنقوا الديانة اليهودية.

كذلك، يؤكّد "وولي" في كتابه "أجناس أوروبية" أن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً واسعاً ليس له نظير. أي أن يهود اليوم بعيدون كلّ البعد عن النبيّ موسى وعن قومه وعن بني إسرائيل. ويضيف: "إن المزاعم بأن اليهود جنسٌ نقيٌّ حديث خرافة. ويعتمد "وولي" على مقولة الفيلسوف "رينان" المشهورة عالمياً "بأن كلمة يهودي ليس لها معنى إنتروبولوجياً؛ لا في أوروبا ولا في حوض نهر الطونة".

وفي السياق، تأتي ملاحظات العالم "لمبروز" التي يقول فيها: "إن يهود اليوم في العالم هم أقرب إلى الجنس الآريّ منهم إلى الجنس السامي". كذلك، يقول العالم "أوجين بيتار" عن اليهود وميولهم الاجتماعية: هم عبارةً عن طائفةٍ دينيةٍ اجتماعيةٍ انضمّ إليها في جميع العصور أشخاص من شتّى الأجناس. وهؤلاء جاءووا من جميع الأفاق، ومن ضمنهم يهود الفلاشا من ذوي السّحن السوداء أو النحاسية؛ أي المختلفة عن شكل ولون وسحنة الأسباط الإثني عشر (أبناء يعقوب /إسرائيل) وعن نسلهم من بعدهم، والتي تماثل سحنة ولون وأشكال العرب. ومن بين الذين انضمّوا للطائفة اليهودية الاجتماعية الكثير من الألمان ذو السحنة الجرمانية،

ومنهم التاميل واليهود السود من الهند والخزر؛ وهؤلاء من الجنس التركي في الأصل. وهذا أيضاً ما يؤكّده العالم اليهودي "فريدريخ هيرش" صاحب كتاب "الجنس والحضارة" الذي تحدّث عن تكوّن الجنس اليهودي من أجناسٍ مختلفة. وفي الصفحة (33) من كتابه المذكور، يقول هيرش:

"لقد استطاع اليهود أثناء تاريخهم الطويل أن يمتصّوا مقداراً كبيراً من الدماء الأجنبية. وهذه حقيقة ما تراه فيهم من اختلافٍ في الصورة والأشكال ومشابهتهم بالشعوب التي يعيشون بينها. وقد كان اعتناق اليهودية بواسطة اليونان والرّومان والشعوب الأخرى أمرٌ كثير الحدوث، وعلى الأخصّ في القرن الأوّل والثاني قبل الميلاد. أمّا في العصور الوسطى، وعلى الرّغم من جميع المعطيات، فقد حدث مثل هذا التحوّل إلى الديانة اليهودية، خاصّة في البلاد السلافية. وهذا هو السبب في أننا نرى اليهود الرّوس والبولينيين يشبهون السلاف شبهاً "لا شكّ فيه؛ واليهود الألمان أقرب شبهاً بسائر الألمان منهم بإخوانهم في الدّين من أهل فلسطين".

كذلك تحدّث "أرنولد توينبي"، وهو مؤرّخٌ بريطانيٌ مشهور، في مقالٍ له نُشر في مجلّة "جويش فرونتيز" في شباط 1955، عن أن "المكابييّن أجبروا أدوم والجليل شمال فلسطين على اعتناق اليهودية بالقوّة"... وأضاف: "هم بالأصل عربٌ من الأموريين، ومن الآراميين؛ وبذلك مهّدوا بأن يكون هيرود والمسيح ابن مريم يهوديّين وليسا من الأمميّن؛ أي ليسوا أموريين أو أراميون؛ والأموريون والآراميين عربٌ في الأصل؛ والسيّد المسيح عليه السلام وكلّ سكّان محافظة بيت لحم كانوا في القديم عرب كنعانيين ويبوسيين.

بدوره، يقول أستاذ علم التاريخ العالم "غرينتيز" في كتابه عن تاريخ وحقيقة مملكة الخزر (أنها وثنية الأصل)، وعن الملك عباديا ملك الخزر (أنه كان وثنياً ثمّ تهوّد، وتهوّدت العائلة الملكية، ثمّ بقيّة الشعب الخزري).

وكانت مملكة الخزر تقع على بحر قزوين. أمّا أصول وجذور الخزر، فكانت منغولية وتركية وآسيوية وسولاف. وكان لهم ملك يُدعى شارلمان، وقبله أو بعده كان ملكٌ يدعى عفاديا. وكان

الخزر مشهورين بالبخل والمكر والخداع والخبث وتجارة الرّقيق والمخدّرات، مثلهم كمثل يهود القرون الوسطى وما بعد القرون الوسطى حتّى اليوم.

ومن المعروف أن الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد كان قد تحدّث عن يهود الخزر بشكلٍ موسّع في كلمته المشهورة خلال مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في كوبا عام 1979، حيث قال، "إن أصول معظم يهود العالم تعود للتجمّع الخزري. كانوا وثنيين في الأساس، ولا يمتّون بأيّة صلةٍ لإبراهيم ولا لنسله من بعده".

كذلك، تحدّث رئيس تحرير جريدة تشرين السورية "د. تركي صقر" عن أصول يهود العالم، بمن فيهم يهود فلسطين، وكيف تهوّدوا وتشتّتوا على أيدي الجيوش الروسية وانتشروا في كلّ أوروبا، وهاجر بعضهم إلى أمريكا وإسبانيا ثمّ سالونيك وتركيا، حيث تحوّلوا من اليهودية إلى الإسلام زوراً وخداعاً. وهم استقرّوا أخيراً في تركيا، حيث يُطلَق عليهم إسم "يهود الدونما" (المهتدون).

إن بنيامين نتنياهو، رئيس وزراء الكيان الحالي، ومعظم قادة "إسرائيل" من سياسيين وعسكريين، هم في أصولهم من يهود الخزر، ومن أولئك الذين تهوّدوا. ويوجد داخل "إسرائيل" اليوم حوالي 900 ألف يهودي من الخزر الذين قدموا من روسيا إلى فلسطين المحتلّة. وقد اعتبرهم أحد القادة الصهاينة "آرثر كوستولر" أنهم السبط الثالث عشر.

ويذكر العالم "غرينتيز" إن مملكة الخزر انتهت في القرن الثالث عشر الميلادي، وتشتّت أهلها حيث ذاب الكثير منهم في المجتمع الروسي؛ وقسمٌ منهم توجّه إلى أوروبا الشرقية. وإن أبناء آخر ملوك الخزر مع الكثير من شعبهم الخزري هربوا إلى إسبانيا، ومنهم من ذهب إلى أميركا؛ ومعظم يهود أميركا من الخزر.

ويتحدث "رولاند ديكسون"، الأستاذ الأمريكي الجنسية والمتخصّص في علم الأجناس من جامعة هارفرد، عن الأمر بقوله:" إن أمريكا تعلم حقّ العلم والمعرفة بأن أكثر من 99% من سكّان إسرائيل ليسوا من سلالات اليهود القدماء ... إن بلاد الأناضول وأرمينيا والقوقاز

وأواسط آسيا هي المهد الأصليّ للأكثرية العظمى لليهود المعاصرين في العالم، وإن هؤلاء ليسوا ساميّين إلاّ باللغة فقط".

وقد جاء أيضاً، في كتاب "رولاند ديكسون" (جنس الإنسان وتاريخه)، ما يلي: أمّا بالنسبة ليهود الفلاشا القادمين من أثيوبيا إلى فلسطين المحتلّة، فليسوا على الإطلاق، لا شكلاً ولا جنساً ولا عِرقاً ولا يمّتون بأيّة صلةٍ ليعقوب (إسرائيل) ولا لقوم موسى. وهذا ما تمّ إثباته في المختبرات الطبّية في تل أبيب والقدس، حيث تبين أن دماء الفلاشا ملوّثة وليست دماء يهودية أصيلة؛ علاوة على أنها مصابةٌ بالإيدز".

أمّا بالنسبة ليهود اليمن، فهم بالأصل عربٌ دخلوا الدّين اليهودي بنفس الطريقة التي دخل بها الخزر الوثنيّو الأصل. وتهوّد ملوك حمير اليمنيّون على أيدي مبشّرين يهود التقوا مع أحد ملوك حمير الذي كان في زيارةٍ للجزيرة العربية، مع العلم أن الكثير من سكّان اليمن مسيحيون. ويُقال بأن ملوك اليمن تهوّدوا لأسبابٍ سياسية؛ وقد لحق المواطنون بملوكهم، حسب ما كان سائداً (الناس على دين ملوكهم)، وتهوّدوا على أيدي مبشّرين حاخامات يهود[14].

وعن نشاط المبشّرين اليهود، يذكر العالم اليهودي "لو سلبرمان"، وهو أستاذٌ جامعيٌ في الأدب اليهودي، في مقالٍ له في دائرة المعارف البريطانية تحت مادّة (JUDAIZM) "إن اليهود نشطوا في التبشير عندما رأوا الوثنية قوية النفوذ ومنتشرة في العالم، وإن الكتّاب القدماء من اليونان والروّمان كانوا يشيدون بقوّة النشاط التبشيري الذي قام به اليهود".

ومن القبائل العربية أيضاً التي تهوّدت على أيدي حاخامات اليهود المبشّرين، قبائل: بني النضير، بني قينقاع، بني قريظة، بني عوف، وقبائل ثعلبة؛ ويهود بني الحارث، ويهود بني ساعدة، ويهود بني جمح، ويهود الأوس، ويهود الخزرج؛ ومعظمهم عاشوا في المدينة المنوّرة وما حولها وحول مكّة قبل مجيء الإسلام.

(14) الصهيونازية- مصطفى لخميس (1999).

عنصرية يهودية ضد اليهود

إن المجتمع الإسرائيلي هو في الواقع مجتمع مهاجرين هاجروا إلى فلسطين من دولٍ عدّة ومن قومياتٍ مختلفة. وكانت بداية هذه الجماعات في قرىً تعاونيةٍ تقوم على أساس الزراعة والعيش المشترك؛ وقد أطلِق عليهم مجتمع اليشوف، وذلك قبل إعلان قيام الكيان "الإسرائيلي". وقد ظهرت ملامح التقسيم الاجتماعي بداية على أساس أربع فئات: اليهود الغربيون، اليهود الشرقيون، فئة الصابرا من أصلٍ أشكنازي أو سفاردي.

ولاحقاً، تعدّى التقسيم الفئوي داخل المجتمع الإسرائيلي هذا الحدّ، ليتمتّع بخاصّية التحوّل التي تدعمها موجات الهجرة المتكرّرة من خارج الأراضي المحتلة إلى داخلها، ممّا زاد مقياس التقسيم الإثني داخل مجتمع "إسرائيل"، حيث انعكس على التعدّد الإثني للجماعات اليهودية. وطوال عقد التسعينيات، دخلت هذه الموجات في إطار إثنياتٍ يهوديةٍ جديدة، أبرزها يهود أثيوبيا ويهود روسيا.

وابتداءً من العام 2001، شهدت الهجرة اليهودية من أثيوبيا انتعاشاً كبيراً، حيث بلغ عدد هؤلاء الأثيوبيين 85.500 ألف مهاجر. وقد كان أفراد هذه الهجرة محدودي الثقافة والدخل، حيث معظمهم من الفقراء والقوى العاملة الأجيرة. أما يهود روسيا، فقد وصل عددهم إلى ما يزيد عن المليون و 200 ألف نسمة (المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات). وبالتالي، يمكن تحديد العلاقة بين هذه الطبقات على أساس التصنيف الاجتماعي الطبقي والرؤية المشتركة بينها داخل "إسرائيل".

اليهود الغربيون (الأشكنازيم): تشكّل هذه الجماعة الفئة العليا السائدة على كلّ الطبقات الاجتماعية. وهؤلاء هم مهاجرون من أوروبا وأمريكا، وينتمون إلى أصولٍ غربية؛ وقد جاؤوا إلى فلسطين أثناء الانتداب البريطاني. وكان دافع هجرتهم قومياً دينياً، لإنشاء وطنٍ يخلّص اليهود من "اضطهاد" الدول الأخرى!

ويتمتّع هؤلاء بوضعٍ وظائفيٍ ومهنيٍ عالي المستوى ودخلٍ اقتصاديٍ مرتفع. وهذه الفئة تعكس النموذج الحضاري الغربي وارتفاع مستوى التعليم والثقافة الغربية لديها.

اليهود الشرقيون (السفارديم): هم اليهود الذين قدِموا من البلاد العربية والإسلامية إلى فلسطين، وكانوا يمثّلون أقلّية بالنسبة للأشكناز. وقد تركّز وجود هؤلاء داخل الأحياء الشعبية والفقيرة. تمتاز هذه الفئة بانخفاض مستواها التعليمي والثقافي؛ وهي تُعتبر داخل الكيان الصهيوني أدنى مرتبة من فئة الأشكناز، لأنها اصطبغت بالصبغة الشرقية من ناحية الثقافة والدّين والمستوى التعليمي؛ إضافة إلى عدم انسجامها مع الأشكناز بسبب تباين المستوى المعيشي والثقافي والتعليمي، ممّا أدّى إلى انعزالها في أماكن بعيدة.

وفئة الصابرا هي من أصلٍ أشكنازي أو سفاردي، وأفرادها ممّن ولِدوا على أرض فلسطين، وهم جيل الشباب. وهذه الفئة تُعتبر أدنى الفئات الاجتماعية من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وقد شكّلت داخل المجتمع الإسرائيلي قومية مختلفة نوعاً ما عن باقي فئات المجتمع.

ينظر الأشكناز إلى السفارادیم من خلال رؤيةٍ غربيةٍ تقوم على العنصرية والاستعلاء. وهم يعتبرون أن اليهود الشرقيين مجرّد متطفّلين على الحركة الصهيونية والدولة من بعدها. وقد شبّههم "بن غوريون" بالوحوش البشرية وأيضاً "بالزنوج"[15]

ويشعر الأشكناز الغربيون أنهم الأفضل على الاطلاق في المجتمع الإسرائيلي، وذلك لأنهم تلقّوا تعليمهم في دولٍ متقدّمةٍ ومتطوّرةٍ علمياً. كما أنهم أكثر ثراءاً وأوفر حظّاً؛ وذلك مردّه إلى المساعدات التي تلقّتها الجماعات اليهودية الأشكنازية من الحكومة الألمانية في بداية الخمسينيات والستّينيات. وقد كانت هذه الجماعات تتألّف من أسرٍ صغيرةٍ ما أدّى إلى رفع مستواها المعيشي إلى مرتبةٍ عاليةٍ جداً، في مقابل عدم استفادة السفارادیم الشرقيين من هذه المساعدات؛ إضافة إلى أن الأسرة السفارادية كانت أكثر عدداً من تلك الأشكنازية، ممّا زاد في تعميق الفجوة بين الفئتين.

وقد عمل الأشكناز على تفتيت أعضاء الأسر السفارادية، وذلك من خلال التفريق بينهم وجعلهم عاملين في القرى التعاونية، ممّا أثّر في تفتيت وحدة هذه الأسر وتحوّلها إلى مجموعةٍ من

(15) صحيفة الدستور الأردنية 9/ 5/ 2009.

أفراد الطبقة الدنيا. كما عملوا على إهمال الثقافة الشرقية التي جاء بها السفاراديم، من خلال سياساتٍ تهميشيةٍ عديدة. وبالتالي، فإن أبناء الجماعات اليهودية الشرقية لم يستفيدوا من الثروة المعرفية لآبائهم، في حين أن أبناء الاشكنازيم برعوا في اللغة والثقافة الغربية التي حملها آباؤهم من الغرب، مّا زاد الطّين بلّة، وخلق تناقضاتٍ اجتماعية وسياسية واقتصادية وحتى دينية بينهما.

ورغماً عن أن اليهود الشرقيين يمثّلون حالياً ما نسبته 60% من يهود إسرائيل، في حين يمثّل الأشكناز 15% بالنسبة ليهود العالم، إلاّ أن الطابع العنصري طغى على العلاقة بين الفئتين؛ وتجدّدت الممارسات العنصرية مع تبلور الإثنيات التي جاءت من أثيوبيا وروسيا، حيث لقي اليهود الأثيوبيون قدراً كبيراً من الاضطهاد والمعاناة والعزل، مع إبقائهم على هامش الحياة الإسرائيلية، ووصل الأمر إلى اعتبار دمهم ملوّثاً وأنهم يحملون مرض الإيدز ويجب التخلّص منهم فيما بعد.

أما اليهود السوفيات، فحالهم لم تكن أفضل بكثيرٍ من اليهود الأثيوبيين، من حيث التمييز العنصري ضدّهم، وذلك لأن هؤلاء شكّلوا مجموعة متميّزة ذات ثقافة فئوية، وعاشوا في أحياء خاصّةٍ بهم، ذات حدودٍ اجتماعية. وقد شكّلت علاقتهم الاجتماعية تركيزاً ديموغرافياً، فباتت أحياؤهم شبيهة بالغيتو داخل المجتمع الإسرائيلي، له تجمّعاته وثقافته وحضارته الخاصّة؛ وهذا ما قوّى عصب الإثنية الجديدة داخل الكيان، حيث نُظر إلى هذه الجماعات نظرة استعلائية حاقدة بسبب منافستها لفئة الإشكناز المعروفة بكفاءتها العلمية العالية على كافّة الأصعدة.

هذه التناقضات الاجتماعية ولّدت آثاراً سلبية داخل مجتمع العدوّ، فظهرت الحوادث المتفرّقة الناتجة عن الصراع الطبقي، ومنها حوادث وادي الصليب في حيفا 1959، التي قام بها يهودٌ مغاربة؛ والسبب كان منح مساكن جديدة ومريحة للأشكناز البولونيين، في حين أن مئات الألوف من السفارادي كانوا يعيشون في خيم قذرةٍ وبيوتٍ تنكيّة؛ إضافة إلى أن الأجور التي يتقاضاها اليهود الغربيون كانت أعلى بكثيرٍ من تلك التي يحصل عليها يهود السفارادي. وعلى الرّغم من الجهود الحثيثة التي قام بها يهود الشرق لتحسين أوضاعهم، إلاّ أنهم لم يتوصّلوا إلى

نتيجةٍ مرضية؛ بل انتقل التميز العنصري إلى جيل الأبناء، حيث يمرّون بظروفٍ مشابهةٍ لتلك التي عاشها آباؤهم.

وقد تفاقم الإحساس بالظلم في بداية السبعينيات، وظهرت حركات مناهضة للتمييز، مثل (الفهود السود)، وحركة (عوديد)، وحركة (أوهليم خيام) وحركة (الحزام الأسود)، وذلك من أجل تحسين أوضاع اليهود الشرقيين. ثمّ اتّحدت هذه الحركات تحت لواء الفهود السود، وقامت بمظاهراتٍ عدّة أهمّها (بنضال) عام 1985، وهي قامت نتيجة سياسات الفقر والتجهيل والقمع للطوائف الشرقية. وقد استمرّت هذه التحرّكات وقويت في التسعينيات بشكلٍ ملحوظ؛ وهي ما زالت مستمرّة حتى اليوم.

هذا الصراع الطبقي الحادّ يعمل على تفتيت نسيج المجتمع الإسرائيلي الذي لا يزال يعاني من أزمة الاغتراب وفقدان الهوية حتى الساعة. فبالرّغم من احتلالهم أرض فلسطين وتأسيس وطنٍ قوميٍ لهم عليها، إلاّ أن الإسرائيليين ما زالوا يعانون من أزماتٍ نفسيةٍ حادّة، تتعدّد وجوهها ولها انعكاسات خطيرة على سلوكياتهم وقراراتهم. والسبب في ذلك هو شعورٌ باطنيٌ خفيٌ لديهم. فهم يعلمون جيّداً أن هذه الأرض لم ولن تكون لهم على الإطلاق؛ وهم يعلمون أنهم اغتصبوها من أهلها. ولولا ذلك، لكانت انتهت أزمة الاغتراب وفقدان الهوية والذات التي يعانون منها.

وفي هذا الإطار، تقول الكاتبة أمنية سالم ما يلي: اليهود الذين انتقلوا إلى إسرائيل، فأصبحوا إسرائيليين، أي مواطنون لدولة "إسرائيل"، يشعرون بالاغتراب في أحضان "أرض الميعاد". اليهودي الغربي كان يتمنّى أن تكون فلسطين في الغرب، وينتقد وجودها في محيطٍ شرقيٍ متخلّفٍ فقير، على حدّ تعبيره. فهو يشعر بالاغتراب عن الحضارة التي عاش في كنفها، وانبهر بها. واليهودي الشرقي يشعر بالاغتراب داخل "وطنه" و"أرض الميعاد" التي المفترض أن تقوم عليها عدالة "يهوه "إله إسرائيل". لكنّه صُدِم بالعنصرية لصالح اليهود الغربيين والعلمانية المفرطة في اتخاذ القرارات والسياسات وشتّى أشكال الحياة. فتولّد لديه صراع داخلي واغتراب عن أبناء شعبه "المختار"[16].

(16) أمنية سالم، الصراع الطبقي داخل المجتمع الإسرائيلي وأزمة الاغتراب وفقدان الهوية.

سادساً: لماذا كره الأوروبيون اليهود قديماً وطردوهم منها؟!

تقول الباحثة اليهودية "ليندا نوشلين" "Linda Noshlen" في كتابها "اليهود في النصّ"، والنصّ يعني النصوص الأدبية الغربية: "أنا أحاول أن أعرف لماذا يكرهوننا"؟ ثمّ تجيب: "إن صورة اليهود في الكتابات الغربية لا تتغيّر؛ فهو المنحطّ، المحتال، الفاسد، المرابي، المتآمر، والباعث على النفور والاحتقار".

هذه الحقيقة يحاول اليهود طمسها وتغيير معاييرها وتحويلها إلى مصطلحات "اللاسامية" أو "معاداة السامية"، وتشويه الأسباب الرئيسية التي جعلت شعوب العالم تكره اليهود. وقد نجحوا في جرّ الرأي العام العالمي عبر عمليات غسل الدماغ والدّعاية والإعلام إلى تقبّل مثل هذه الأفكار العنصرية وتصديقها؛ ممّا يعني أن الأكاذيب تصبح قوّة نافذة وذات تأثير إذا كان هناك من يغذّيها ومن يستطيع أن يفرضها حيث يشاء.

وقد استغلّت الصهيونية العالمية أيّ حادث يجري في العالم لتسيّسه وفق أهدافها الاحتلالية. فمثلاً، استغلّ ثيودور هرتزل، مؤسّس المشروع الصهيوني، حادثة محاكمة "ألفريد درايفوس" وإعدامه، للدّعوة إلى بناء وطن قومي لليهود في فلسطين. و"داريفوس" هذا كان ضابطاً في الجيش الفرنسي أثناء الحرب بين فرنسا وألمانيا وانهزام الأولى أمام الثانية. وكان اليهود في تلك الفترة يعملون كجواسيس بين البلدين؛ وقد اتّهم "داريفوس" بالعمالة لحساب الألمان وأعدم بعد محاكمة؛ ثمّ تبيّن (بعد سنوات) أنه بريء. وقد استغلّت الصهيونية هذه الحادثة شرّ استغلال، حيث اعتبرت أنها تمسّ اليهود الذين يتعرّضون للظلم والاضطهاد؛ وأصبح اسم "داريفوس" عنواناً للاّسامية ضدّ اليهود، في وقت كانت قضيته قضية مواطن فرنسي، ولم يكن لأصله اليهوديّ أيّ ضلع في الموضوع. غير أن هرتزل دعا دول أوروبا لدعم تأسيس وطن لليهود في فلسطين، والضغط على الحاكم العثماني السلطان عبد الحميد الثاني في محاولة منه لإقناعه بتسليم فلسطين لليهود!

إسبانيا واليهود:

عندما فتح العرب المسلمون بلاد الأندلس، كان اليهود في أسوأ حال. واعتبر يهود إسبانيا

العرب بمثابة منقذين لهم وليسوا محتلّين أو مستعمرين. وقد أكّد ذلك رئيس متحف سالونيك اليهودي (سنافر لاكيس)[17].

مع العلم أن يهود إسبانيا كانوا في تلك البلاد يمارسون كلّ أشكال الرّبا والاستغلال ضدّ المواطنين الإسبان. كما يتاجرون بالمحرّمات ويستخدمون كلّ الطرق اللاأخلاقية لتحقيق مأربهم وأهدافهم، لاسيّما تلك المتعلّقة بجمع المال.

وقد عمل قسمٌ كبيرٌ من يهود إسبانيا كمرابين للحكومة الإسبانية، يجمعون الضرائب من الأهالي، ثمّ يدفعون للملك الضرائب مقدّماً. وكمّية المال تكون دفعة واحدة مقدّمة من اليهود، مع الفائدة المضاعفة لليهود.

ولإنجاح هذه العملية، كان اليهود يمارسون شتّى الأساليب وأعمال العنف، وكانوا يتجوّلون في القرى والأرياف والمقاطعات ومعهم شلّة من الشرطة والضبّاط الإسبان لإجبار الناس على دفع الضرائب بطرقٍ وحشية، فتراكم الغضب الشعبي الذي أدّى إلى ثورةٍ ضدّ اليهود بشكلٍ عام.

ويذكر وليام غاي كار في كتابه (أحجار على رقعة الشطرنج) أن "الحوادث الصغيرة الخفيّة هي التي تُلقي الضوء الكاشف على الحقيقة. ففي القرن الرابع عشر ميلادي، تمكّن المرابون اليهود للمرّة الأولى من جعل الحكومة الإسبانية تمنحهم حقّ جباية الضرائب من الشعب مباشرة كضمانٍ للقروض التي كانوا يقدّمونها للحكومة. واستغلّ المرابون اليهود الوضع أبشع استغلال، وأبدوا من القسوة والوحشية ما أضحى شرارة كافية لتفجير النقمة؛ فكانت هذه الشرارة في الخطبة اللاهبة التي ألقاها القسّيس (فرناندو مارتينز) عام 1391 في قرية ليفل الإسبانية، والتي هبّ على إثرها الشعب الإسباني لارتكاب واحدةٍ من المجازر الدموية. وهذا مثّل كيف دفع اليهود الأبرياء جزاء سياسة زعمائهم المجرمة بحقّ الإنسانية.

وهذا ما أكّدته أيضاً الموسوعة البريطانية في المجلّد 13، طبعة 1947. ونتيجة لتصرّفات

(17) كتاب الصهيونازية - مصطفى أخميس.

اليهود الإجرامية هذه، ولجشعهم الذي لم يكن له حدود، وإتجارهم بالعبيد والمخدّرات والذهب عبر الحدود وبالدّعارة، ورشوة رجال الجمارك، وبخلق الفتن والتجسس في أيّ مكانٍ يتواجدون فيه، وكنتيجةٍ طبيعيةٍ لتصرّفاتهم البشعة، تمّ طردهم من أوروبا.

لكن، بعد حصولهم على الكثير من أطنان الذهب، والسيطرة على مراكز القرار العالمي والإعلام الدولي من خلال الصحف والإذاعات، وبعد أن أصبح لديهم نفوذٌ اقتصاديٌّ وسياسيٌّ كبير، مع تغلغلهم في مناصب حكوميةٍ عالية، خاصّةً بعد ثورة مارتن لوثر في ألمانيا في القرن السادس عشر وتغلغلهم في أمريكا وفي دوائرها الحسّاسة كوزارة الخارجية والإعلام في البيت الأبيض، وبعد امتلاكهم لرصيدٍ ماليٍّ هائلٍ في سوق (وول ستريت) الذي يتلاعب باقتصاد وأسهم الشركات الأمريكية والعالمية، كان لا بدّ من استغلال عمالتهم للبريطانيين وللأميركيين في الحرب العالمية الأولى والثانية ضدّ ألمانيا النازية، ومكافأتهم على ذلك بعد انتصار الإنجليز والأمريكيين والفرنسيين. وكان الاتفاق على مكافأة اليهود في الشرق العربي، في فلسطين خاصّةً. فلا بدّ لمن يملك كلّ هذا النفوذ والسلطة أن لا يبقى في الشتات دون وطن -حسب زعمهم-!

أميركا واليهود

في كتابه (اليهودي العالمي)، يحذّر الاقتصادي الأمريكي (هنري فورد) الشعب الأميركي من تغلغل اليهود القادمين من أوروبا، ومن بولونيا خاصّةً، بجوازات سفرٍ مزيّفةٍ بدون أن يذكروا فيها ديانتهم اليهودية، بحيث تمكّنوا من السيطرة على اقتصاد أميركا تقريباً وعلى الإعلام وعلى الكثير من البيوتات المالية، والشركات وصناعة الخمور غير الصالحة التي كانت تُصنع في (البدروم) وتُباع للسود، الذين ازدادت نسب المشاكل وجرائم القتل المروع بينهم وبين السود والبيض بسببها.

ثمّ تحدّث الكاتب عن تغلغل اليهود في دوائر أميركيةٍ مسؤولةٍ عن صنع القرارات السياسية والاقتصادية والخارجية والتعليمية والمالية، وحتى دوائر البيت الأبيض ووزارة الدفاع. وقد استطاعت الصهيونية بذلك حشر القرار الأمريكي في زاوية العملاق اليهودي. كذلك، فقد

تغلغلت اليهودية الصهيونية في عصبة الأمم المتحدة، والتي أصبحت لاحقاً هيئة الأمم المتحدة. وفي هذا الشأن، يقول أحد قادة الحركة الصهيونية (إسرائيل زنغويل) "هذه العصبة هي سفارة لإسرائيل". أما ألفرد دوغلاس، المحرّر الصحافي، فيقول في جريدة "يليني إنكلش" "إن عصبة الأمم ستصبح حكومة اليهود المركزية لسيطرتها على العالم".

وفعلاً، هي أصبحت كذلك، بدليل أنها لم تنفّذ أيّ قرارٍ ضدّ "إسرائيل" لصالح القضية الفلسطينية أو القضايا العربية بشكلٍ عام، منذ عقودٍ مضت.

في نفس الإطار، يصبّ تصريح (ناحوم سوكولوف)، وهو أحد قادة الصهاينة العالميين، في 27 آب عام 1922، في المؤتمر الصهيوني (كارل سباد):"إن فكرة عصبة الأمم هي فكرة يهودية خلقناها بعد صراعٍ استمرّ 25 عاماً". ويؤيّد هذه الفكرة (شيريب سبريدوفيتش) في كتابه (حكومة العالم الخفيّة) -حكومة العالم تعني اليهود- حيث يتحدّث عن أن "الحقائق التي توالت بعد مؤتمر بازل/سويسرا الصهيوني الذي عقد عام 1897 تؤكّد ما قاله سوكولوف تأكيداً تاماً".

وفي الصفحة 29 من الكتاب، ورد أن اليهود ليسوا يهوداً منذ 200 سنة على الأقلّ. ويذكر أن أسوأ أنواع اليهود هم المغول من شعب مملكة الخزر التي انهارت في القرن الثالث عشر ميلادي. وقد ظلّت موجات المغول الأسيويين تتدفّق على الولايات المتحدة ليل نهار على شكل كتلٍ بشريةٍ متتابعة؛ وكثيراً ما كانت المكاتب اليهودية تزوّر جوازات سفر اليهود. فالمهاجرون إلى نيويورك قلّما كانوا من غير اليهود، غير أنهم يتظاهرون بأنهم بولنديون أوروس أو إيرلنديون - حسبما جاء في الكتاب.

الكاتب يكشف أيضاً بأن زعماء الولايات المتحدة كانوا مدركين لخطر التغلغل اليهودي. وفي ذلك يصبّ خطاب بنيامين فرانكلين، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة عام 1789، إذ يذكر أن في "كلّ أرضٍ حلّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقي وأفسدوا الذمّة التجارية فيها، ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم. وقد أدّى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب مالياً، كما هي الحال في البرتغال، وإسبانيا، بسبب جمعهم للضرائب ولغيرها.

يتابع: إنهم طُردوا من ديار آبائهم، لكنَّهم لن يلبثوا إذ أعطتهم الدول المتحضِّرة اليوم فلسطين، أن يجدوا أسباباً تحملهم على ألاّ يعودوا إليها. لماذا؟ لأنهم طفيليّات، لا يعيش بعضهم على بعض، ولا بدّ لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممّن لا ينتمون إلى عِرقهم.

ويضيف:" إذا لم يُبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنصّ دستورها، فإن سيْلهم سيتدفّق إلى الولايات المتحدة في غضون مئة سنة، إلى حدٍ يقدرون فيه أن يحكموا شعبنا ويدمّروه ويغيّروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دمائنا ... ولن تمضي مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود، في حين يظلّ اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين" .

وفي خطابٍ أخر له، يقول فرانكلين "إنني أحذّركم أنه إذا لم تبعدوا اليهود نهائياً، فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبوركم. إن اليهود لن يتّخذوا مُثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال؛ فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط. إن اليهود خطرٌ على هذه البلاد. وإذا سُمح لهم بحرّية الدخول، فإنهم سيقضون على مؤسساتنا. وعلى ذلك، لا بدّ من أن يُستبعدوا بنصّ الدستور[18].

لكن، السؤال الكبير هنا: هل استطاع رؤساء أمريكا تنفيذ ما جاء في خطاب فرانكلين؟ بالطّبع لا. إن اليهودية المتصهينة استطاعت التغلغل في معظم دوائر صنع القرار الأمريكي، كما سبق وذكرنا، وأصبحت قوّة من الصعب التحكّم بها أو القضاء عليها، خاصّة وأن الكثير من رؤساء أمريكا الذين وصلوا إلى سدّة الحكم قد جاءوا لخدمة الأهداف الصهيونية أوّلاً، مقابل الحصول على أصوات اليهود، ولأن معظمهم أعضاء في (الكنيسة المسيحية الصهيونية)؛ هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، بقي اليهود في أمريكا، ورغم اعتلائهم مناصب عليا، موالين لإسرائيل فقط. يقول شفيق الحوت في مجلّة الوطن العربي العدد 1097، بتاريخ 1998/3/13:"إن اليهود

(18) الصهيونازية- مصطفى لخميس

الصهاينة لا يعتبرون أنفسهم رعايا أمريكان، بقدر ما يعتبرون أنفسهم من رعايا دولة إسرائيل المصطنعة. وهم لا يعملون لأمريكا بقدر ما يعملون لإسرائيل المصطنعة.

وهذا ما يؤكّد عليه الباحث الصهيوني "إسرائيل أبراهام" الذي قال في كتابه "التلمود ... تاريخه وتعاليمه": يجب أن لا يغرب عن بالنا أيضاً أن اليهودي يكون شيوعياً أو رأسمالياً أو ليبرالياً أو أميركيا أو يوغوسلافياً أو ... ولكنّه يبقى فوق كلّ ذلك وقبل كلّ ذلك يهودياً ... فقد بقي اليهودي بسبب التلمود، بينما بقي التلمود في اليهودي". وهذا الكلام فيه الكثير من الصحّة؛ والدليل على ذلك، قصّة الجاسوس اليهودي الأمريكي (جوناثان بولارد) الذي حكِم بالسجن لإدانته كجاسوس لمصلحة جهاز الموساد الإسرائيلي.

محطات بارزة في عملية طرد اليهود:

* في عهد الملك سيبسيون في إسبانيا عام 618 م، طرِد اليهود بقرارٍ من المجمع الكنسي.

* تمّ طردهم من ألمانيا سنة 1096 أثناء الحروب الصليبية، ثمّ طرِدوا من بيت المقدس عام 1099م.

* طردتهم إنكلترا سنة 1290م في عهد الملك إدوارد الأوّل.

* طردتهم فرنسا عام 1306 في عهد فيليب الأوّل، وأعادت طردهم سنة 1322م و1394م، حتى خلت فرنسا منهم.

* في عام 1337م، طردتهم سويسرا.

* عام 1350م، جرى طردهم من ألمانيا بعدما قاموا بتسميم الآبار.

* أما تشيكوسلوفاكيا، فقد طردتهم عام 1380م لنفس الأسباب، وأعادت طردهم سنة 1744م. وفي عام 1420م، طردهم الملك إلبريخث ملك النمسا؛ كما طردهم ملك هولندا من بلاده سنة 1444م. وفي عام 1492، طردهم الملك فرناندز من إسبانيا.

* البرتغال طردت اليهود سنة 1498، ثمّ فعلت فرنسا الشيء ذاته في نفس العام.

* في عام 1540، قامت إيطاليا بطرد اليهود منها بعد أن ضاقت ذرعاً بخداعهم وسرقاتهم، وأبادت من بقي منهم في نابولي.

* كاترين الأولى، إمبراطورية روسيا، طردتهم عام 1727؛ ثمّ أعادت روسيا طردهم في أوائل القرن العشرين عندما تسبّبوا بمذبحة كشنيف عام 1903م.

* بعد الحرب العالمية الأولى، طردتهم ألمانيا بسبب تورّطهم في هزيمتها، حيث عملوا كجواسيس ضدّها وتسبّبوا بخسارتها الحرب.

وهنا نتساءل: هل كلّ هذه الشعوب معادية للسامية؟

واستطراداً؛ لماذا تدفع شعوب العالم العربي، لاسيّما الشعب الفلسطيني، فاتورة ما حدث لليهود على يد الإنسان الأوروبي منذ قرونٍ طويلة. إن من واجب أوروبا وحدها دفع فواتير "اضطهادها" لليهود وليس العرب، وأن تقيم لهم وطناً في أراضيها، وليس ضمن المنطقة العربية؛ لاسيّما وأن هؤلاء اليهود المزيّفين هم نتاج الثقافة أو الفكر الأوروبي الاستغلالي البرجوازي.

سابعاً: جرائم القرابين البشرية تطرد اليهود من أوروبا

"إشتهر" اليهود منذ زمنٍ بعيدٍ بتقديم القرابين البشرية، عبر ذبحها وجمع دمائها لمزجها في فطائر يأكلونها في مناسبة عيد الفصح أو عيد الفطر؛ وكذلك في مناسبات ختان أطفالهم.

هذا ليس كلاماً خرافياً. بل هو حقيقةٌ أثبتتها دراسات علم الإنسان - القديمة والحديثة - حيث تبيّن أن السّحرة اليهود في قديم الزمان كانوا يستخدمون دم الإنسان من أجل إتمام طقوسهم وشعوذاتهم، حسبما كشف المؤرّخ "برنراد لافرار" في كتابه "اللاسامية".

وقد سرت هذه العادة المتوحّشة إلى اليهود عن طريق كتبهم المقدّسة، حيث أثبتت الأبحاث بأن اتّباعهم لما جاء فيها من تعاليم موضوعةٍ كان السبب الرّئيس في الويلات التي حلّت باليهود في تاريخهم الدموي. وكان اليهود في قديم الزمان يستخدمون دم الإنسان ويقدّمونه قرباناً للإله "يهوه"[19].

وورد في التوراة نصٌّ صريحٌ يشير إلى هذه العادة الإجرامية، إذ جاء في سفر إشعيا: "أمّا أنتم

(19) كتاب "اليهود والقرابين البشرية"، محمّد فوزي حمزة، دار الأنصار، مصر

أولاد المعصية ونسل الكذب، المتوقّدون للأصنام تحت كلّ شجرة خضراء، القاتلون في الأودية وتحت شقوق المعاقل[20]. وقد اعتاد اليهود على طقس قتل الأطفال وسحب دمائهم ومزجها بفطائر العيدين، حيث لا تتمّ فيهما الفرحة إلاّ بتقديم القرابين البشرية! وأوّل هذين العيدين هو عيد البوريم، ويتمّ الاحتفال به في شهر مارس/آذار من كلّ عام. والعيد الثاني هو عيد الفصح الذي يُحتفل فيه في شهر أبريل/نيسان من كلّ عام.

وذبائح عيد البوريم تُنتقى عادة من الشباب البالغين، حيث يؤخذ دم الضحية ويجفّف على شكل ذرّاتٍ تُمزج بعجين الفطائر، ويُحفظ ما يتبقّى للعيد المقبل. أمّا ذبائح عيد الفصح اليهودي، فتكون عادة من الأولاد الذين هم دون العشر سنوات، ويُمزج دم الضحية بعجين الفطير قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه[21].

ويتمّ استنزاف دم الضحية إمّا عن طريق البرميل الإبري، وهو برميل يتّسع للضحية، يوضع على كلّ جوانبه إبرٌ حادّة تُغرس في جثّة الضحية بعد ذبحها، لتسيل منها الدماء التي يفرح اليهود بتجمّعها في وعاءٍ يُعدّ لجمعها؛ وإمّا بذبح الضحية كما تُذبح الشاة ويصفّى دمها في وعاء. وهذا الدمّ يقدّم للحاخام الذي يقوم بإعداد الفطر المقدّس ممزوجاً بدم البشر، إرضاء للإله (يهوه) المتعطّش لسفك الدماء.

وفي مناسبات الزواج، يصوم الزوجان حتى يقدّم لهما الحاخام بيضة مسلوقة في رمادٍ مشرّب بدم إنسان. أما في مناسبات الختان، فيغمس الحاخام إصبعه في كأسٍ مملوءة بالخمر الممزوج بالدم، ويدخله في فم الطفل مرّتين، وهو يقول للطفل: إن حياتك بدمك. والتلمود يقول لليهود: أقتل الصالح من غير الإسرائيليين[22].

مواصفات القرابين:

هناك عدّة شروط يجب أن تتوافر في الضحية لإتمام عملية الذبح، وهي:

(20) سفر إشعيا، الإصحاح 57، السطران الرابع والخامس.

(21) م. د. رفعت مصطفى (هكذا فعل حاخامات اليهود باليهود والعالم)- شبكة الإنترنت.

(22) المصدر السابق.

أ. أن يكون القربان مسيحياً.

ب. أن يكون يافعاً لم يتجاوز سنّ البلوغ.

ت. أن ينحدر من أم وأب مسيحيين صالحين، لم يرتكبا الزّنا و لم يشربا الخمر.

ث. أن يكون دم الضحية صافياً، بمعنى أنه لم يشرب الخمر في حياته.

ج. أن يكون الضحية صادقاً، وذا تربية صالحة.

ح. أن يكون لديه ميولاً كنسية.

خ. تكون فرحة "الإله"يهوه عظيمة إذا كان الضحية دينياً أو قسّيساً[23].

وليست جرائم قتل الأطفال في أوروبا وحدها هي السبب الذي أدّى إلى طرد اليهود من هناك. فقد سلك العديد من هؤلاء، بمن فيهم الحاخامات، سلوكيات شاذّة ومنحرفة أدّت إلى نفورٍ اجتماعي من هذه الشريحة الدينية المتطرّفة. وقد تراوحت تلك السلوكيات ما بين الشعوذة والاحتكار والرّذيلة وإفساد الذّمم والتعالي والغشّ والرّبا. وفيما يلي بعضٌ من كثيرٍ من السلوكيات اليهودية المشينة، وأخطرها جرائم القرابين البشرية داخل المجتمعات الأوروبية والعربية.

المانيا واليهود

في ضاحية فولديت Foldit، في العام 1235م، عُثِر على خمسة أطفالٍ مذبوحين. وقد اعترفت مجموعةٌ من اليهود بذبحهم واستنزاف دمائهم لأغراضٍ طبّية. جرّاء ذلك حصلت بعض الاضطرابات بين أهالي Foldit واليهود في المنطقة حيث قتِل عددٌ منهم. ثمّ في عام 1261، في ضاحية باديو Badeu، باعت إمرأة عجوز طفلة تبلغ عامها السابع إلى اليهود الذين استنزفوا دمها ورموا بجثّتها إلى النهر. أدينت العجوز بشهادة ابنتها، وحكِم بالإعدام على عددٍ من اليهود، الذين انتحر لاحقاً إثنان منهما.

أما في أوبرفيزل oberwesel، وفي عام 1286، فقد عذّب اليهود أحد الأطفال في عيدهم

(23) المصدر السابق.

لمدّة ثلاثة أيام. وهذا الطفل كان مسيحياً يدعى فنر Werner. علّقوه من رجليه واستنزفوا دمه لآخر قطرة. وقد عُثر على جثّته مرميّة في النهر، واتخذت المدينة من يوم صلبه (19 أبريل) ذكرى سنوية لتلك الجريمة البشعة.

وهذه المرّة كانت الضحية من براندنبرغ Brandenburg، في عام 1510، حين اشترى اليهود طفلاً وصلبوه واستنزفوا دمه. وقد اعترفوا أثناء المحاكمة، وحُكم على 41 منهم بالإعدام. وتكرّر الأمر في ميتز Mytez؛ فقد اختطف يهودي طفلاً يبلغ من العمر 3 سنوات، وقتله بعد استنزاف دمه. وقد حُكم على هذا اليهودي بالإعدام حرقاً.

في عام 1928، قتل هيلموث داوب Helmuth Daube في غلادبيك Gladbeck، وكان في العشرين من عمره. وقد وجدت جثّته مذبوحة من الحنجرة ومصفّاة من الدماء؛ واتّهم يهوديّ يدعى هوزمان Huzmann بهذه الجريمة.

أيضاً، في 17 مارس عام 1927، إختفى أحد الأطفال (5 سنوات)، ووجِدت جثّته مذبوحة ومستنزفة الدماء. وقد أعلنت السلطات أن عملية القتل كانت لدوافع دينية، دون أن يُتّهم أحد.

عام 1932، في بادربون Paderbon، وجِدت جثّة فتاة مذبوحة ومستزفة الدماء؛ واتّهم جزّار يهوديّ وابنه بهذه الجريمة، التي أعلِن أنها كانت لأغراض دينية!

فرنسا واليهود

أيام الفصح اليهودي، في سنة 1171، في Blois بفرنسا، وجدِت جثّة صبي مسيحي ملقاة في النهر وقد استنزِف دمه. ثبتت الجريمة على اليهود وأعدِم عددٌ منهم. وفي عام 1179، وجِدت في مدينة Pontois، بفرنسا، جثّة صبي ثانٍ استنزِف دمه أيضاً؛ والأمر ذاته حصل في برايسن Braisene، حيث بيع شابٌ مسيحيٌ إلى اليهود في 1192 من قِبل الكونتس أوف دور وكان متّهماً بالسرقة؛ فذبحه اليهود واستنفذوا دمه. وقد حضر الملك فيليب أغسطس المحكمة بنفسه، وأمر بحرق المذنبين من اليهود.

في عام 1247، عُثر في ضاحية فالرياس Valrias على جثّة طفلة في الثانية من عمرها كانت مليئة بالجروح في عنقها ومعصمها وقدمها. وقد اعترف اليهود بالجريمة. وطبقاً لما جاء في دائرة المعارف اليهودية، فإن ثلاثة من اليهود تمّ إعدامهم بسبب هذه الجريمة.

وفي عام 1288، عُثر في ترويس Troyes على جثّة طفلٍ مذبوحٍ بنفس الطريقة. وقد حوكم عددٌ من اليهود وأعدِم 13 منهم حرقاً. وقد اعترفت بذلك دائرة المعارف اليهودية، الجزء الـ12، صفحة 267.

إسبانيا واليهود

في إسبانيا، لم تتغيّر الطريقة اليهودية في ذبح القرابين البشرية لإرضاء الإله "يهوه". ففي عام 1250م، عثر على جثّة طفلٍ في سارغوسا Sargossa، مصلوباً ومستنزفاً دمه. وقد تكرّر هذا الفعل في سيغوفيا Segovia. وفي عام 1490م، في توليد Tolid، إعترف أحد اليهود على زملائه المشتركين في عملية ذبح أحد الأطفال، فأعدِم 8 من اليهود في هذه القضية، والتي كانت المحرّك لطرد اليهود من إسبانيا عام 1490م.

سويسرا واليهود

لم تنجُ سويسرا أيضاً من مذابح اليهود. ففي عام 1287، في برن Berne، ذبح اليهود الطفل رودولف من منزل يهودي ثري بالمدينة. واعترف اليهود بجريمتهم وأعدِم عددٌ منهم. وقد صنعت المدينة تمثالاً على شكل يهودي يأكل طفلاً صغيراً، نُصِب في الحيّ اليهوديّ ليذكّرهم بوحشيّتهم وإجرامهم.

النمسا واليهود

لم يُسجّل في النمسا سوى حادثة ذبح وحيدةٍ لصبي مسيحي بيع إلى اليهود، وذلك في عام 1462، في بلدة إنزبروك Innsbruck. وقد صدرت عدّة قراراتٍ بعد تلك الحادثة تُلزم اليهود بوضع رباطٍ أصفر اللون على ذراعهم اليسرى لتميّزهم عن باقي النمساويين، إتّقاءً "لشرّهم وإجرامهم".

اليونان واليهود

اختفى طفل يوناني في جزيرة رودس، في عيد البوريم اليهودي سنة 1840م. وكان قد شوهد يدخل الحيّ اليهوديّ في الجزيرة. وحينما نزل الأهالي إلى الشوارع بحثاً عن الطفل، طوّق الحاكم التركي يوسف باشا الحيّ اليهوديّ وحبس رؤساء اليهود. وتعترف دائرة المعارف اليهودية، طبعة 1905م، الجزء العاشر، صفحة 410، أن وساطة المليونير اليهودي مونتفيوري في تقديم الرّشوة للباب العالي الكونت كاموند، والذي كان مديراً لأعمال البنوك في الحكومة العثمانية، استطاعت طمس الحقيقة في هذه الجريمة، كما في جرائم أخرى.

إيطاليا واليهود

في ترنت Trent، في إيطاليا، عام 1475، إختفى سيمون، وهو طفلٌ في الثالثة من عمره. وحين اتجهت الأنظار إلى اليهود، أحضروا الجثّة من ترعة الماء ليُبعدوا الشبهة عنهم. وبعد التحقيق، تبيّن أن الطفل لم يمت غرقاً، بل استُنزف دمه عبر جروحٍ في العنق والمعصم والقدم. وقد اعترف اليهود بالجريمة، وبرّروها بحاجتهم للدماء من أجل طقوسٍ دينية. وبعد ذلك، تمّ إعدام سبعةٍ من اليهود في هذه القضية. أما في فينيس، مدينة الشعر والجمال، فقد ذُبح طفلٌ مسيحيٌ بنفس الطريقة؛ وأعدِم إثر ذلك ثلاثة يهود.

وتكرّ سبحة الإجرام الصهيوني لتصل إلى Padna عام 1485، حيث ذُبح الطفل لورنزيون Lorenzion. وفي عام 1603، عثِر في فيرونان على جثّة طفلٍ مذبوحٍ بنفس الطريقة، وحوكم بعض اليهود في هذه القضية.

روسيا واليهود

ليلة عيد الفصح، في العام 1823، في فاليزوب Valisob بروسيا، إختفى طفلٌ عمره سنتان ونصف السنة. وبعد أسبوعٍ عُثر على جثّته في مستنقعٍ قرب المدينة. وعند فحص الجثّة، وجِدت فيها جروحٌ كثيرةٌ نتيجة وخز الإبر والمسامير، ولم يُعثر في الجثّة على نقطة دمٍ واحدة.

اعترفت ثلاث يهوديات باقتراف الجريمة، وتمّ نفيهنّ إلى سيبيريا. ثمّ توالت هذه الجرائم؛

ففي كانون الأوّل عام 1852، تمّ اختطاف صبي في العاشرة من عمره حيث ذُبح لاحقاً. وفي كانون الثاني من العام 1853، اختُطِف غلامٌ في الحادية عشر من عمره وذُبح على نفس الطريقة اليهودية. وفي مدينة كييف، عُثر عام 1911م على جثّة الغلام جوشنكي (13 عاماً) بالقرب من مصنع يملكه يهودي، وكانت خالية تماماً. وقد ثبت فيما بعد تورّط عددٍ من اليهود بالجريمة، بمن فيهم صاحب المصنع. وقد طالت أيام المحاكمة إلى سنتين، ثمّ ماتت الطفلتان الشاهدتان في القضية إثر تناولهما حلوىً مسمومة قدّمها لهما أحد اليهود.

المجر واليهود

في عام 1494، وفي مدينة تيراناان Teranan، صلب اليهود طفلاً واستنزفوا دمه. وقد تعرّفت عليهم سيّدة عجوز. وأثناء محاكمتهم، اعترفوا بذبح أربعة أطفال آخرين. وفي شهر نيسان من العام 1882، في ضاحية تريزا إيسلار teresa Eslar، اختطف اليهود فتاة مسيحية تُدعى إسترسّو بيموس، وكانت تبلغ 14 عاماً. وقد اعترفت طفلة يهودية بأنها شاهدت أمّها تدعو الفتاة المسيحية إلى منزلها، ومن هناك اقتادها عددٌ من اليهود إلى الكنيس. كما اعترف غلامٌ يهوديٌ بأنه شاهد عملية ذبح الفتاة وجمع دمائها في إناء كبير؛ وقد اتّهم 15 يهودياً بهذه الجريمة. إستمرّت المحاكمة حتى 3 آب من العام 1494؛ ولكنّ المحكمة برّأت المتّهمين رغم أدلّة الاتهام التي كانت تشير إلى اشتراكهم في الجريمة. وهكذا، استطاع المال اليهودي طمس الحقيقة مرّة أخرى.

بريطانيا واليهود

في سنة 1144م، في ضاحية نورويش (Norwish)، وجدت جثّة غلام في الثانية عشرة من عمره، مقتولاً ومصفّىً دمه. كان ذلك اليوم هو عيد الفصح اليهودي، ممّا أثار شكّ الأهالي في أن القاتل من اليهود. وتمّ القبض على الجُناة وكانوا من اليهود. وهذه القضية تُعتبر أوّل قضية مكشوفةٍ من هذا النوع. ولا تزال المحاضر والسجلّات محفوظة بدار الأسقفية البريطانية.

في عام 1160، وجدت جثّة طفلٍ آخر في Gloucester. وفي عام 1235، عثر على

طفل خطفه اليهود من نورويش، أثناء قيامهم بعملية الختان له تمهيداً لذبحه. وفي عام 1244، عثر في لندن على جثة صبي في مقبرة القدّيس بندكت خالية من قطرة واحدة من الدم. الأمر تكرّر في لنكولن في عام 1255، حيث خطف اليهود طفلاً يوم عيد الفصح اليهودي، وعذّبوه وصلبوه واستنزفوا دمه. وقد عثر والده على جثته في بئر بالقرب من منزل يهودي يُدعى جوبن Joppin. وأثناء التحقيق معه، اعترف على شركائه أيضاً؛ وجرت محاكمة 91 يهودياً أعدم منهم 18.

وقد توالت جرائم اليهود في بريطانيا، حتى عام 1290م، حيث ذبح اليهود طفلاً في أكسفورد بنفس الطريقة، فأصدر الملك إدوارد الأوّل أمره التاريخي بطرد اليهود من بريطانيا.

وفي عام 1928، في شولتون في مانشستر chorlton، Manchester، عثر على طفل يُدعى أودنيل مذبوحاً، قبل يوم واحد من أعياد اليهود.

وفي 1 مارس/ آذار 1932، تمّ العثور أيضاً على جثة طفل قبل يوم واحد من عيد الفصح اليهودي. وقد أدين بهذه الجريمة يهوديٌ واحد.

هذا كلّه كان في البلاد الغربية. فماذا عن القرابين البشرية التي قدّمها اليهود لإلهم المزعوم (يهوه) في البلاد العربية؟ تعالوا لنرى...

عام 1824، في بيروت، ذبح اليهود المدعوّ فتحت الله الصائغ، وأخذوا دمه قرباناً ليهوه في عيد الفصح اليهودي. وتكرّر الأمر في عام 1826م في إنطاكية، وعام 1829 في حماه.

وفي طرابلس الشام، إرتدّت اليهودية (بنود) عن دينها، عام 1834، بعد أن رأت بعينيها جرائم اليهود المروّعة، ودخلت الرهبنة، وماتت باسم الراهبة كاترينا. وقد تركت مذكّرات خطيرة تتحدّث عن ذبح اليهود للأطفال، حيث شهدت بنفسها ذبح طفلين مسيحيين وفتاة مسلمة.

في سوريا:

فقدت سيّدةٌ نصرانيةٌ في سوريا عام 1815. وبعد البحث والتفتيش، عثر على جثّتها مذبوحة

ومستنزفاً دمها. وقد اتّهم اليهودي رفول ألكوتا بذبحها وأخذ دمها لاستخدامه في طقوس عيد الفصح. وفي 5 شباط 1840، اختطف اليهود أحد الرّهبان المسيحيين (الأب فرانسوا أنطوان توما)، وذلك بعد ذهابه إلى حارة اليهود في دمشق لتطعيم أحد الأطفال ضدّ الجدري. وبعد عودته من زيارة الطفل المريض، اختُطِف على يد جماعةٍ يهوديةٍ وقتِل واستُنزف دمه ليقدّم في فطائر عيد البوريم[24].

ثمّ كرّت سبحة الجرائم في دمشق؛ وأخطرها كانت جريمة الطفل هنري عبد النور، الذي خطفه اليهود في 7 أبريل عام 1890، والذي كتب فيه أبوه قصيدة رثاءٍ شهيرة.

في مصر:

شهدت مدينة بور سعيد المصرية، عام 1881م، أبشع المجازر اليهودية. فقد قدم رجلٌ يهوديٌ من القاهرة إلى مدينة بورسعيد، واستأجر مكاناً في غرب المدينة. وأخذ يتردّد على بقّالٍ يوناني في المنطقة، إلى أن جاءه يوماً وبصحبته فتاة في الثامنة من عمره، فشرب خمراً وأجبر الفتاة على شرب الخمر، مّما أثار ارتياب الرجل اليوناني. وفي اليوم التالي، عثر على الفتاة وقد مثّل بها بأبشع الطرق، وتمّ قطع حنجرتها. وقد أثارت هذه الجريمة البلبلة بين الأهالي آنذاك.

تلك بعضٌ من جرائم اليهود في العالم، الذين يذرفون دموع التماسيح كونهم ضحايا للظلم ومعاداة السامية في العالم، في حين أن تاريخهم الماضي و(الحاضر) يفيض إجراماً ووحشية، ويظهر رذالتهم أينما حلّوا ووجدوا. والحقيقة أن الكلمات تعجز عن وصف هؤلاء المجرمين، أصحاب القلنسوّات التي تُخفي تحتها رؤوساً عطشى لدماء الأطفال والأبرياء.

(24) تحدّث العماد أوّل مصطفى طلاس عن قضية اختطاف الأب توما تفصيلاً في كتابه (فطير صهيون)- دار طلاس للدراسات والنشر (2001).

الفصل الثالث

أوّلاً: مصادر التربية الإسرائيلية العنصرية

تُعطى شحنات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية منذ الطفولة. ويورد كتاب "التوجّهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية" الذي ألّفه الكاتبان "خليل السواحري وسمير سمعان" نماذج من تصريحات الحاخام "عوفاديا يوسف" العنصرية التي أدلى بها في أواخر أبريل/نيسان 2001، والتي وصف فيها العرب بأنهم "أولاد أفاعٍ، وأن الله ندم لأنه خلقهم؛ وبالتالي، فمن الواجب قتلهم". ويتساءل الكاتبان: لماذا لم يلتفت العرب إلى الكمّ الهائل من الأدبيات الصهيونية المشابهة التي يردّدها اليهود، مستندين فيها إلى التوراة والتلمود. وتستند المناهج التعليمية الإسرائيلية إلى التوراة وإلى الإيديولوجيا والإنتروبولوجيا الإسرائيلية، وإلى مقولاتٍ عنصريةٍ متداولة، منها "أن العربي الجيّد هو العربي الميّت"، وأن "أرض الميعاد يجب أن تكون لليهود دون الفلسطينيين؛ فلا مكان في هذه الأرض المقدّسة لشعبين[1]!

أي أن فلسطين يجب أن تكون خالصة لليهود دون غيرهم. وهذا هو الوجه الأخر للمقولة النازية المعروفة "ألمانيا بلا شوائب".

ولعلّه من المفيد أن نستذكر هنا كلمات الإرهابي "رفائيل إيتان" بأن "العرب مجرّد صراصير يجب سحقهم"، وأيضاً ما قاله بن غوريون "القتل هو الوسيلة المثلى لتحرير الطاقة الكامنة لدى الجندي اليهودي"؛ وهو يماثل ما قاله موشيه دايان "القتل هو قدر جيلنا".

(1) مقولة معروفة للحاخام يوسف وابنز

هذه التصريحات الشيطانية الإجرامية المحتقِرة للعرب، والتي تدعو لقتلهم، هي عنصرٌ أساسٌ وفاعلٌ في ثقافة الفرد الصهيوني وإيديولوجيته وعقيدته، منذ طفولته وأثناء سنوات تعليمه وحتّى مرحلة البلوغ والرّشد. أولم يقل "مئير كاهانا" قبل مقتله على يد رجلٍ مصريٍ في نيويورك: "لا يظهر المسيح إلاّ إذا تمّ قتل العرب"، حيث صدّقه الملايين من المسيحيين الغربيين الذين غسِلت أدمغتهم على يد الصهيونية العالمية. أولم يكافأ "باروخ غولدشتاين"، وهو تلميذ كاهانا، بإقامة نصبٍ تذكاريٍ له لأنه قتل 29 مواطناً فلسطينياً في شباط 1994 داخل الحرم الإبراهيمي في الخليل!

إن أهمّ المصادر الأساسية للتربية الصهيونية هي كتب العقيدة اليهودية: العهد القديم (التوراة، الأنبياء والمكتوبات)، وكتب المفسّرين في الحاخامات (المشنا والجمارا) والمدراش والهلاخا والهجدار، بما تتضمّنه من أصول المعتقد اليهودي ومن أحكامٍ ونصوصٍ تاريخيةٍ وأخلاقية.

ومن المصادر التربوية أيضاً، قرارات زعماء اليهود في الثلاثة وعشرين مؤتمراً منذ 1897 حتى 1951، وبعض المؤلّفات لمؤسّسي الصهيونية الأوائل مثال:

- الدولة اليهودية – ثيودور هرتزل
- التحرّر الذاتي – بنسكر
- روما والقدس – موشي هسّ

بالإضافة إلى كتاباتٍ لثلاثة مفكّرين بارزين في تاريخ الصهيونية: أحاد هاعام (فلسفة الصهيونية الثقافية) (أهارون دافيد غوردون – فلسفة دين العمل) وفلاديمير جابوتنسكي (فلسفة القوّة).

وجميع هذه الكتب تضع حلولاً للاستيطان، والهجرة وترحيل الفلسطينيين واحتلال ما يمكن من الأرض. ولا تقتصر هذه التربية الممنهجة على الطّلبة في مراحل التعليم المتوسط أو العالي؛ بل هي تبدأ منذ رياض الأطفال عبر مجموعاتٍ من القصص تُروى داخل حضانات الأطفال أو داخل الكيبوتز أو المستعمرات التي يقيم فيها هؤلاء.

ويؤكّد رئيس مركز الدراسات المعاصرة في مدينة أم الفحم الدكتور "إبراهيم أبو جابر" على أن الديانة اليهودية تُعتبر مصدراً هاماً من مصادر الفلسفة التربوية عند اليهود. فقد اعتمدت التربية اعتماداً كبيراً على الدّين في سبيل تشكيل أجيالٍ متشبّعةٍ بتعاليم التوراة والتلمود، من أجل ترسيخ مفاهيم معيّنةٍ في نفوس الناشئة اليهودية.

وفي كتابه (دولة إسرائيل)، يتحدّث "أندريه شواركي" عن أن "جميع اليهود يعمدون إلى الرجوع في كلّ مناسبةٍ إلى الماضي الذي تضمّنته التوراة، وروح الأنبياء، وإلى الدّور التاريخي والروحي للشعب اليهودي. أي أنهم يرجعون إلى قلب التراث الضخم الرّوحي والفكري والأخلاقي والقانوني للتاريخ العبري.

أما "فيكتور مالكا"، فيرى في كتابه "مناحيم بيغن – التوراة والبندقية" إن اليهود استقوا من توراتهم تعليماتٍ في أعمال العنف، واستخدام القوّة؛ وهي تحدّد لهم أسلوب الاستيلاء على المدن والتعامل مع أهلها. وهذه القوانين يُعدّها القادة الإسرائيليون مصدراً للوحي وشريعة مقدّسة، على أساس أن كلّ جريمةٍ تصبح شرعية وقانونية من أجل تحقيق وعد الربّ.

يقول "يوري إيفانوف" في كتابه "الصهيونية حذار" "أن دائرة الأفكار التي يسمّم بها الصهاينة عقول أطفالهم، والتي يُرجى منها أن تستقرّ في أفهامهم، تبدأ عادة بالتوراة".

هذه هي أفكارهم! أما الوسيلة التي تتمّ فيها عملية نقل هذه الأفكار التي تُنتج التعصبّ والعنصرية والإجرام، فهي مناهج التعليم في المدارس والجامعات الإسرائيلية. لكن، قبل الولوج في هذه المناهج، لا بدّ من إيراد بعض ما قاله قادة وزعماء صهاينة حول أهميّة التعليم لبناء أجيالٍ متصهينةٍ مستعدّةٍ لفعل أيّ شيء (لاسيّما القتل) مقابل البقاء في (الأرض الموعودة)، والحفاظ على دولةٍ استيطانيةٍ عنصريةٍ حاقدة.

يقول الباحث الفلسطيني فارس عودة: "لعلّ الدارس لطبيعة المجتمع الإسرائيلي يلاحظ تلك الملاءمة والتوافق القويّ بين أهداف التربية اليهودية من جهة، وأهداف الحركة الصهيونية وحاجات المجتمع "الإسرائيلي" من جهةٍ أخرى. فلقد كانت التربية اليهودية بخلفيّتها الدينية

والتوراتية والتلمودية العنصرية، وبفلسفتها المستمدّة من تعاليم الصهيونية العدوانية، هي الوسيلة الأولى والأهمّ التي استخدمت لتحقيق أهداف الصهاينة في إنشاء دولة إسرائيل وبقائها".

وقد جعلت الصهيونية التربية أحد الأسس التي ترتكز عليها لبناء جيل متصهين حتى العظم. وهذا ما أشار إليه مؤسّس الصهيونية ثيودور هيرتزل في يوميّاته، حيث اعتبر التربية أسلوباً لتحقيق الهدف، مشيراً إلى ضرورة التركيز على الأناشيد الوطنية والدّين والمسرحيات البطولية.

بدوره، القيادي الصهيوني "إلياهو كوهين"، أقرّ في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (1951) بأن "مصير إسرائيل يرتبط بإيجاد جهازٍ حقيقي لتنفيذ التعليم والتربية حسب المبادئ الصهيونية".

وفي المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين المنعقد عام 1956، أكّد دافيد بن غوريون، أوّل رئيس وزراء "لإسرائيل"، أنه "لن يكون للحركة الصهيونية مستقبلٌ بدون تربيةٍ وثقافةٍ عبريةٍ لكلّ يهوديٍ بوصفه واجباً ذاتياً". كما اعتبر أن معرفة التوراة كفيلةٌ "بتزويد الفرد اليهودي بجذوره وأصله وعظمته ومستقبله، وبما يضمن ارتباطه بشعبه في مملكة إسرائيل". ثمّ يتساءل: ما الذي سيحفظ اليهودية؟ ويجيب: "إنها التربية العبرية".

أما وزير المعارف والثقافة الإسرائيلي السابق "زبولون هامر"، فيحدّد أهمية التربية في المجتمع الإسرائيلي بقوله "إن صمودنا أمام التحدّي الكبير الذي يواجهنا يتمثّل في مقدرتنا على تربيةٍ قوميةٍ مرتبطةٍ بالتعاليم الرّوحية اليهودية؛ تربية يتقبّلها الطفل راغباً وليس مُكرَهاً. لهذا، فإن على جهاز التعليم الرسمي والشعبي أن يتحمّل التبعية الكبيرة للصمود أمام التحدّيات التي تواجه إسرائيل.

ثانياً: النظم التعليمية الإسرائيلية وأهدافها

ينقسم التعليم في الكيان الإسرائيلي إلى ثلاثة أقسام هي:

1- جهاز التعليم الحكومي.

2- جهاز التعليم الحكومي – الديني.

3- جهاز التعليم الديني.

ويتركّز الاختلاف بين المدرسة الدينية والمدرسة العلمانية على حجم الاهتمام بالتعليم الديني وعلى ممارسة الشعائر التي تشدّد عليها المدارس الدينية. وتجتمع كلا المدرستين على رفض الحوار مع الأخر، حيث تصلا إلى مركزيةٍ إثنية أو قوميةٍ متطرّفة، في أكثر تجلّياتهما عجرفة.

ويتمّ التركيز في المدارس الحكومية الدينية على التعليم الديني وعلى ممارسة الشعائر اليهودية، خلافاً للمدارس الحكومية التي تُدرّس التوراة كمصدرٍ للأدب والتاريخ القومي وللقِيم الأخلاقية العالمية.

ويقوم الأولاد في المدارس الدينية بواجبات الصلاة ويرتدون قبّعة "الكيبا" ويحتفون بالأعياد اليهودية، ويتعلّمون أصول اليهودية. هذا في المرحلتين الأولى والثانية؛ أمّا في المرحلة الثانوية، فيضاف إلى تعليم العبرية والتوراة والتلمود التدريب العسكري وتعليم لغةٍ ثانية؛ سواء أكانت فرنسية أو إنكليزية.

وتُعتبر المدارس الدينية المحرّك الأساس لمشروع الاستيطان في فلسطين، وذلك بسبب الأسس والمرتكزات المعروفة للتربية الصهيونية، التي ترى أن فلسطين هي أرض صهيون، ولا يوجد هناك شعبٌ أخر على هذه الأرض كمنطلقٍ لتحقيق حلم إسرائيل التوسّعي. وما زال طلاّب المدارس الدينية يعتبرون أن اليهودي الذي يقبل بالسلام مع العرب يستحقّ القتل؛ ومن بين هؤلاء "عمير ييغال" قاتل رئيس الحكومة الأسبق، إسحق رابين، الذي اتّهمه اليمين الصهيوني بأنه فرّط في أرض "إسرائيل"!

وقد يُستشفّ من حديث "حاييم وايزمان"، أوّل رئيسٍ لدولة "إسرائيل"، عنصرية هذه المدارس الدينية التي تربّي الأطفال على القتل والعنف. يقول "وايزمان": "عندما بلّغت ما لا غنىً عنه لأيّ طفلٍ يهودي، وخلال السنوات التي قضيتها في مدارس الدّين تلك، كان عليّ أن أدرس أشياء من أصول الديانة اليهودية. والذي ملك عليّ لبّي هو "سِفر الأنبياء"؛ ومن بين أقواله:

- الرّجل الذي في سلّته خبز ليس كمثل الذي لا شيء في سلّته.

- الأجدر بك أن تكون رأس ثعلب من أن تكون ذنب أسد.
- من يقتل مسلماً أو مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً يكافأ بالخلود في الفردوس وبالجلوس هناك في السراي الرابعة.
- إذا لم يستطع السارق انتهاز الفرصة زعم نفسه أميناً.
- يقرّر التلمود أن اليهوديُ يعتبر عند الله أفضل من الملائكة، لأن اليهود جزءٌ من الله مثلما الإبن جزءٌ من أبيه.

أهداف التعليم "الإسرائيلي" المعلنة وغير المعلنة

لقد صيغت أهداف التعليم الرسمية للحكومة "الإسرائيلية" وشرّعت عن طريق قانون التعليم 1953. ولم يلحظ هذا القانون الأهداف الفردية للمواطن التي قد تطوّره وترفع مستواه العلمي والاجتماعي؛ وإنما ركّز على تربية المواطن على الإنجازات العلمية للشعب "الإسرائيلي"، ومن منطلق "تفوّق" هذا الشعب. ومن اللافت السعي الصهيوني لتنشئة "مواطنين" يؤمنون بالقيم والمبادئ والأفكار الصهيونية، والتركيز على البعدين الوطني والقومي بهدف تربية هؤلاء (اليهود فقط) على محبّة "الوطن" والاعتزاز به وبتراثه وحضارته، مقابل تجاهل وطمس هوية الفلسطيني العربي ومحاولة "أسرلته".

وفي متابعةٍ للنصوص الموضوعة حول التعليم، نرى أن أهداف التعليم في إسرائيل كانت وما زالت أمام تحدٍ للسيطرة على العرب ودفعهم في اتجاه العدمية القومية والحضارية من جهة، ولغرس القِيم الإيديولوجية الصهيونية في نفوس الطلاّب العرب واليهود على حدٍ سواء من جهةٍ أخرى.

كما تُعتبر كتب التدريس ومضامينها انعكاساً لهذه الاهداف. فقد اعتمدت بغالبيّتها على الهستوريوغرافيا الصهيونية، ولم تأتِ من فراغ[2].

والواضح أن أهداف التعليم الإسرائيلية تجاهلت كلّياً حتى العام 1975 وجود العرب في

---

(2) د. هالة إسطنبولي الإيديولوجيا الصهيونية وانعكاسها في كتب التدريس العبري- شبكة الإنترنت.

البلاد، حيث وضِعت لتخدم مصلحة "الدولة" فقط، ولحفظ الهوية الجمعية لليهود. بعد العام 1975، كان المطلوب من الطالب العربي (بعد أن وضِعت أهداف تعليم للعرب) أن يسعى للسلام؛ بينما لم يُذكر هذا الهدف بالنسبة للطالب اليهودي؛ وهو وطنٌ مطلقٌ لليهودي ومشتركٌ بالنسبة للعربي. ورغم ذلك، فإن الأهداف التي وضِعت للعرب لم تدخل حيّز التنفيذ، وبقي الطلاّب العرب يتعلّمون عن تاريخ اليهود والهولوكوست والبطولة وأمجاد الشعب اليهودي، ولم يتعلّموا أيّ شيءٍ يُذكر عن تاريخ الشعب الفلسطيني؛ إذ لا وجود لذكر كلمة فلسطين في كتب التاريخ حتّى يومنا هذا[3].

ويهدف التعليم الرسمي إلى إرساء التربية على قِيم الحضارة "الإسرائيلية" وعلى الإنجازات العلمية وعلى السعي للسلام بين "دولة" إسرائيل وجاراتها؛ على محبّة "الوطن" والإخلاص للدولة ولشعب إسرائيل؛ على الإيمان بالزراعة والعمل؛ على الوعي لذاكرة الكارثة والبطولة؛ على التأهيل الطلائعي، وعلى السعي لمجتمعٍ مبني على الحرّية، المساواة، التسامح، التعاون المتبادل، ومحبّة الشعوب. بينما يهدف التعليم الرسمي للعرب إلى إرساء التربية على قِيم الحضارة العربية، وعلى محبّة الوطن المشترك لجميع مواطني "الدولة"، الإخلاص لدولة "إسرائيل"، مع التشديد على المصالح المشتركة لجميع مواطني هذه "الدولة" ورعاية ما يميّز "عرب إسرائيل"، وعلى السعي لمجتمعٍ مبني على الحرّية، المساواة، التسامح، التعاون المتبادل ومحبّة الشعوب.

هذا بالنسبة للأهداف المعلنة؛ أمّا الأهداف غير المعلنة للتربية الصهيونية، فيحدّدها الدكتور وائل القاضي، بالآتي:

1 – الإيمان المطلق بحقّ شعب إسرائيل في الأرض وملكيّتهم لها والاستيطان فيها، من خلال التكرار والتأكيد على الحقّ التاريخي في "أرض إسرائيل التاريخية".

2 – تحقيق التضامن اليهودي داخل إسرائيل وخارجها لضمان استمرار الهجرة اليهودية والدعم المادّي "لإسرائيل"، خاصّة من يهود المهجر.

(3) أبير كوهين وحنه فيبح في المرآة: انعكاس النزاع العربي - اليهودي على الأدب العبري للأطفال (1988).

3 - تكوين الاستعداد لدى الأجيال "الإسرائيلية" اليهودية للتوسّع والاحتلال والعنف وكراهيّة العرب، وذلك بحجّة إنقاذ الأرض.

4 - إظهار التفوّق العبري الحضاري عبر العصور لتكوين الإحساس بالتمايز والتفوّق والشعور بالاستعلاء عند الأجيال الجديدة وعودة الشعب "المختار" إلى الأرض "الموعودة".

5 - تأكيد الشعور بالقلق والتوتّر لتحقيق استمرارية الإحساس بالإضطهاد عند الأجيال اليهودية المتعاقبة لضمان عدم اندماج وانصهار هذه الأجيال في أيّ مجتمع أخر غير "إسرائيل".

6 - تشويه وتقزيم الصورة العربية في نظر الطالب الإسرائيلي، مقابل التأكيد على صورة "السوبرمان" الإسرائيلي.

7 - تربية وتنشة أجيالٍ صهيونيةٍ متعصّبة جداً لصهيونيتها ودولتها بكلّ ممارساتها، مؤمنة بذلك إيماناً مطلقاً[4].

هذا بالنسبة للأهداف العامة للتعليم؛ أمّا الأهداف الخاصّة لتعليم التاريخ (1954)، فقد حُدّدت كالتالي: "تعليم التاريخ يجب أن يزرع في الطالب حبّ دولة إسرائيل والرّغبة للعمل من أجلها والحفاظ على كيانها". وفي البرنامج المكمّل للمدارس الثانوية، جاء ما يلي:"الهدف من تعليم التاريخ هو تجذير الاعتراف القوميّ في قلب الطالب، وتعزيز الشعور لديه بالمصير اليهودي المشترك، وأن تُغرس في قلبه محبّة الشعب اليهودي". وفي الأهداف التي كُتبت فيما بعد لتعليم التاريخ (1975)، جاء الأتي:" تقوية شعور التماثل مع الشعب، الدولة والبلاد".

وقد ورد في أهداف برنامج التاريخ لعام 1977:"من الضروري أن نعطي للطالب ضوءاً تاريخياً وعقائدياً عن الصراع اليهودي - العربي، وتعميق شعور الطالب بعدل صراع الشعب اليهودي على تجديد وجوده القوميّ في البلاد. علينا أن نعرض الخلفيّة لهذا الصراع بين الشعب اليهودي العائد لوطنه التاريخي وبين عرب البلاد والدول العربية، وأن نعرض الادّعاءات المختلفة العقائدية والسياسية لطرفي النزاع والاقتراحات المختلفة للحلّ".

تقول د. هالة إسبانيولي (باحثة من الناصرة ورئيسة سابقة للجنة متابعة التعليم العربي):

(4) بحث حول التربية في إسرائيل بين الأهداف المعلنة للتربية وغير المعلنة. د. وائل القاضي أستاذ التربية في جامعة النجاح-فلسطين

"إن لكتب التاريخ أهميّة خاصّة، لأن الطالب يتقبّل المؤرّخين كأناسٍ موضوعيين ينقلون الحقائق التاريخية، ويتعامل مع مادّة التاريخ كحقائق مطلقة. وبما أن كتب التاريخ تشكّل مواقف الطالب الأساسية وهويته القومية، فهي تُستعمل لنقل القيم القومية والرسائل الإيديولوجية؛ وهي ركيزةٌ للذاكرة الجماعية ولكلّ الأسئلة المتعلّقة بالهوية القومية. لذلك، جاءت كتب التدريس في المدارس الإسرائيلية بعيدة عن الواقع والحقائق الأساسية واستُعمِلت لخلق الولاء المنشود لدولة إسرائيل وللشعب اليهودي".

لقد شكّلت كتب التاريخ أداة بيد الصهيونية لتكوين ذاكرةٍ جماعيةٍ للأمّة اليهودية ومنح الشرعية لنظامها القائم. وقد تمّ التلاعب بأجزاء من الماضي من أجل توفير ذاكرةٍ مزيّفةٍ ومبتكرةٍ من هذا الماضي لخلق انتماءٍ وشعورٍ غير موجودين أصلاً؛ إن من ناحية الهوية القومية، أو من ناحية "عدالة" القضية الصهيونية. يقول الكاتب إيلي فودة في بحثه عن تأثير النزاع العربي الإسرائيلي على المناهج الدراسية: إن المهمّة الأساسية التي كانت أمام الدولة هي تشكيل وتكوين الذاكرة الجماعية للأمّة. وقد جنّد جهاز التربية والتعليم لهذه المهَمة، وأُلقِيت عليه مهمّة انتقاء المواد التي على الطالب أن يتعلّمها، وتصفية كلّ ما يجب أن يُمحى من الذاكرة. فقد تمّ تعليم التاريخ من خلال العدسة القومية، واستعمِلت الهستوريوغرافيا الصهيونية – عن وعيٍ أو عن غير وعي – في أيدي السلطة لتبرهن مدى صدق وعدالة الصهيونية في نزاعها ضدّ الحركة القومية العربية[5].

وفي بحثه عن مناهج التدريس في المدارس العبرية، يقول "إيلي فودة" أن "الهدف الأساسي لكتب التدريس كان خلق الارتباط التاريخي بين المشروع الصهيوني والاستيطان اليهودي في أرض إسرائيل وإلغاء وجود الاستيطان العربي[6]".

ونحن لا نستطيع قراءة كلّ ما جاء في كتب التدريس. ولكن، نكتفي ببعض العيّنات؛ ونبدأ بـ"كتاب" "مكريؤت إسرائيل"، وهو كتابٌ لتعليم القراءة للصفوف الدّنيا من الصف الثالث حتى الثامن.

(5) إيلي فودة، تأثير النزاع العربي-الإسرائيلي على المناهج الدراسية (1997).

(6) المصدر السابق.

أعدّ الدكتور "دانئيل بارتنا – مُحاضر علم النفس في قسم التربية بجامعة تل أبيب – دراسة تطرّق فيها إلى هذا الكتاب؛ يقول بارتنا: "تمّت عملية غسل دماغ للطلاّب ليكرهوا العرب، ممّا ينطوي على أبعادٍ مزعجة؛ إذ تصوّر العرب بملامح سلبية، وأنهم وحوش وغير إنسانيين. فلا يمكننا تجاهل النتائج التي يستنتجها طفل لدى قراءته الخلاصة والأحكام التي يخرج بها عن العرب كلّهم".

وفي كتاب "هكيبوتس همؤحد"، وهو لتعليم اللغة وما زال يُدرّس منذ السبعينيات، جاء في الصفحة 277: "جلب اليهود روح التقدّم والازدهار إلى الشرق الأوسط. بينما زاول العرب أعمال النهب والسطو والقتل".

ثالثاً: العرب والفلسطينيون في كتب التاريخ الإسرائيلية

في كتاب "تاريخ الشعب اليهودي"، يقول مؤلّفاه أحياه وهاربز: "عرف اليهود أنهم سيهاجرون إلى أرضٍ فارغةٍ وقاحلة، وأن السلطات تضايق اليهود وتقيّد خطواتهم، وأنهم مُحاطون بشعبٍ وحشي يعيش على الفشل واللصوصية"[7].

في كتاب "بداية الصهيونية"، يصوّر اليهود كمناضلين من أجل البقاء، يتعرّضون للسرقة والنشل من قِبل العرب، ويوصفون بأنهم حكماء، مُبدِعون، وكتّاب؛ بينما لم يُنتج العرب أيّ شيء!

وفي وصف الهجرة اليهودية الأولى، كان هناك تجاهلٌ تامٌ لوجود العرب. ففي كتاب "تاريخ شعبنا في الزمن الجديد"، يقول "شموئيلي": "بينما وجد المهاجرون إلى الولايات المتحدة أرضاً مزدهرة، فإن المهاجرين إلى أرض إسرائيل وصلوا إلى بلادٍ خاليةٍ وخاوية".

أمّا في الحديث عن الهجرة الثانية، فقد تعاملت هذه الكتب مع العربي على أنه هامشي، غير مثقّف، ليس له حاجاتٌ تربوية أو حضارية أو ثقافية، وكان "يكتفي بالقروش التي تُعطى له".

ولم تتطرّق تلك الكتب إلى جرائم سلْب الأرض من أصحابها ومصادرة أملاك الغير وتحويلها

(7) المصدر السابق.

إلى ملكٍ عامٍ للدولة من أجل تشييد المستوطنات عليها. كما لم تتطرّق إلى المذابح والمجازر التي ارتكبت بحقّ الشعب العربي الفلسطيني؛ ويكتفي كتابٌ حديثٌ لتدريس التاريخ، اعتبر راديكالياً نوعاً ما، بذكر سطورٍ عن مجزرة كفرقاسم. فالعرب – حسب الكتاب- لم يُهجّروا؛ بل هم رحلوا بأنفسهم. يقول "أمنون حيفر" في كتابه "مواضيع مركزية في تاريخ الشعب والدولة إبّان العصور الأخيرة"، أن "مقولة" اللاجئون العرب هم شعبٌ جرى تشريده عن أرضه كاذبة. والحقيقة هي أن العرب اختاروا أن يهاجروا من بلادٍ ذات أكثريةٍ يهوديةٍ حتّى يعيشوا بين الشعوب العربية"!

وفي العام 1987، أدخِل إلى كتب التاريخ موضوع الصراع العربي – الإسرائيلي، ولكن من وجهة نظر صهيونية. وهو كتِب بشكلٍ عدائيٍ للعرب، مع السعي لإبراز حقّ اليهودي في نيل استقلاله القومي والحفاظ على وجوده!

تلخّص د.هالة إسبانيولي مضامين كتب التاريخ الإسرائيلية على أنها تمتاز (بغالبيتها) بالتالي:

- الميل لتخليد الأساطير Myth وأنصاف الحقائق التي لا أساس علمياً لها.
- إنتقائية في اختيار المعلومات التي تُعطي الشرعية فقط للشعب اليهودي.
- اختيار الأوصاف الإيجابية لوصف الشعب اليهودي، والأوصاف السلبية لوصف العربي.
- تمجيدٌ أعمى لأبطال الصهيونية.
- إلغاء وجود الأخر وتزييف الحقائق التاريخية.
- فوقيّة الشعب اليهودي مقابل دونيّة الأخر.

هذا في كتب التاريخ؛ أما في الرّوايات والفنّ والشعر والأدب، فهناك صورةٌ نمطية Stereotype سلبيةٌ تجاه العربي.

رابعاً: صياغة أدب الأطفال: بين النازية والصهيونية

في بحثٍ أجراه "أدير كوهين" عن صورة العربي في أدب الأطفال العبري وانعكاسه على الفكر النمطيّ للأطفال، وجد أن لدى الأطفال اليهود أفكاراً نمطية سلبية عن العرب، تماماً كما

صوّرت لهم في الكتب. فالعربي مخادع، غشّاش، لصّ، سارق، محبّ للمال، متوحّش، جبان، غبيّ، متعطّش للدماء، هدفه القتل وسفك الدماء، والاستيلاء على بيوت وممتلكات الآخرين، ومحو أيّ ذكرٍ لهم فوق الأرض[8].

لقد دأبت الصهيونية على حقن أطفالها بأمصال الحقد تجاه العرب، وتغذيتهم بـ"فيتامينات" العنصرية الفوقية على أساس اعتبار ما سواهم من الشعوب غوييم أو حيوانات.

وفي هذا الإطار، تصبّ غالبية كتب الأطفال داخل الكيان الإسرائيلي، سواء داخل المنهاج التعليمي أو خارجه؛ وأيضاً القصص التي تدرّس في المستعمرات وفي الكيبوتزات، وحتّى في حضانات الأطفال. يقول الكاتبان خليل السواحري وسمير سمعان في كتابهما المشترك (العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية) إن "أخطر الكتب توجيهاً للناشئة اليهود هي الخاصّة بتربية الأطفال، بهدف إثارة عواطفهم وشجونهم وتركيز أذهانهم وقدراتهم نحو أنانيةٍ مطلقة، قائمةٍ على الفصل العنصري والتمييز الفاضح وإنكار (الغير) وحقوقه فوق أرض وطنه، بحيث تصطحب هذه الكتب الطفل اليهودي من رياض الأطفال، ولغاية سائر مراحل الدراسة ومتابعة مسيرته حتى النهاية. وبواسطة هذه الكتب، يمكن إخصاب خيال الطفل وتربيته على القسوة والتطرّف القومي الأكثر تعصّباً، والاستهانة بحياة الناس وكرامتهم.

وفي نظرةٍ سريعةٍ على بعض كتب الأطفال، يمكن التماس العنصرية البغيضة الحاقدة ضدّ العرب بشكلٍ واضحٍ ضمن المناهج التعليمية للصفوف الابتدائية والمتوسطة. فمثلاً، في كتاب "قراءات إسرائيل" للصف الثالث، وردت عبارة في الصفحة (332) تشير إلى أسلوب الطرد والترحيل الذي تمّ بحقّ آلاف الفلسطينيين، حيث جاء: "هربوا عبر سبع طرق وجثوا، وسقطوا، وتملّصوا، مضروبين بشكلٍ موجع. وهكذا تمزّق المتعجرفون".

وفي قصّةٍ أخرى ضمن كتاب "قراءات إسرائيل" للصف الرابع، تحت عنوان "في الماء وفي النّار"، يُحكى عن صبيٍ يبلغ من العمر 12 عاماً، تطوّع في ما يسمّى حرب التحرير، لجلب المياه

(8) انظرية الإسقاط النفسية • يُسقط ما عنده على الآخرين. البير كوهين 1988.

للمقاتلين اليهود المحاصرين في القدس، حيث يُمسك به العرب ويضعون المتفجّرات في وعاءٍ معه ويرسلونه إلى اليهود المحاصرين، ويداه مربوطتان وراء ظهره، ووعاؤه ملتصقٌ بجسده. ومع سماع صدى الانفجار، ترتفع من موقع المقاتلين العرب ضحكاتٌ هستيرية. وقبل موت هذا الصبيّ بيوم، قتل صبيّ آخر حاول مساعدة المحاصرين. ولم ينس الكاتب إليعازر شموئيلي أن يصف العرب بأنهم "شرّيرون أنذال".

وأيضاً، نقرأ قصّة "جيوش العدوّ" ضمن "قراءات إسرائيل" (وهو كتاب القراءة المعتمد) للصف الرابع: "تقدّم العرب بدون مقاومة، من قريةٍ عربيةٍ إلى أخرى. لكن، هذا الأمر لم يمنعهم من الإعلان عن انتصاراتهم؛ "ثمّ" جيشنا العظيم دخل بئر السبع، واحتلّ جنين. وحداتنا استولت على اللدّ والرملة! وهكذا أخفوا عن شعبهم وعن سبق إصرار، أن كلّ هذه الأماكن كانت قرىً عربية، ولم تكن هناك حاجة لاحتلالها؛ لذلك، كانت انتصاراتهم بلا جدوى ووهمية بغالبيّتها، وأن الانتكاسات التي مُنوا بها في هجومهم على المواقع اليهودية كانت شديدة جداً في وقعها عليها".

وأمّا القادة العرب الذين كانوا واثقين من النصر علينا، خلال أسبوع أو أسبوعين، فقد فوجئوا لانتكاستهم... لأن هناك فرقاً بين جنديٍ يعرف لماذا يخرج للقتال، رُبّي وترعرع على خدمة الشعب والوطن، وبين جنديٍ آخر خرج للقتال لأنهم حمّلوه بندقية وألبسوه بزّة عسكرية وأرسلوه إلى ساحة القتال، بناءً على أوامر صارمة، وليس بدافعٍ وطني. وهكذا، فإن الجندي المصري برأي القادة المصريين لا ينبغي له أن يفكّر، وجواب الجنود الوحيد لضبّاطهم دائماً هو: نعم سيّدي.

وفي تعليقه على قصّة الصبيّ الذي يبلغ 12 عاماً، يقول الدكتور "دانيال بار-طال"، وهو محاضرٌ في جامعة حيفا، "أن هذا الذي يجري ليس تعليمات، بل تلقينٌ لتربيةٍ لا إنسانية، يصل إلى مرحلة التّهم التي تتمّ ضمن عملية غسيل دماغٍ من أجل كره العرب. حتى وإن كان عرض هذه الأمثلة القاسية غير الإنسانية قد تمّ عن غير قصد، فإن لذلك المفهوم، والذي طرحه (إليعازر شيموئيلي) في كتاب "قراءات إسرائيل" للصف الرابع على الصفحة 373، والقضية التي

بطلها صبيّ يبلغ الثانية عشرة، جوانب مرعبة ومخيفة لا يمكن تجاهلها؛ إضافة إلى الأحكام التي سيعمّمها هذا الطالب فيما بعد على كلّ العرب دون استثناء".

تتشابه كتب "كارل ماي"، الكاتب الألماني الذي لاقت قصصه في أدب الاطفال استحساناً وشرعية رسمية من قبل ألمانيا النازية، مع الكتب التي تعمّم بين الأطفال والناشئة اليهود، لما تتّسم به من العنصرية والعنف والاستعلاء والعرقية البغيضة. واللافت أن كتّاب القصّة اليهود قد بدؤوا بتأليف قصص الطفولة في قمّة النشاط النازي عام 1942، إبّان المعارك الطاحنة في الحرب العالمية الثانية ومحاولة هتلر السيطرة على العالم، إنطلاقاً من مقولاتٍ عدائية للجنس البشري. ومنذ ذلك الحين، عمل اليهود على ترجمة ثلاثين كتاباً وضعت بين أيدي الأطفال والناشئة اليهود؛ ومن أبرز هؤلاء: م ز وولفوبشلي، في قصّة "الرئيس الهندي الأحمر، ترجمة 1942"، "ولصوص الصحراء، ترجمة 1948"، "واليد صانعة الانفجار، ترجمة 1952"، و"الغرب المتوحّش، ترجمة 1953" "وفينتو، ترجمة 1957"، و"أولد شور، ترجمة 1968"؛ ثمّ معظم قصص كارل ماي، ترجمة بـ. فيكسلبر عام 1968.

وقد عمل المترجمون اليهود على إضفاء أسلوبٍ مشوّقٍ أكثر ممّا في النسخة الأصلية لهذه القصص، وإغنائها ببطولاتٍ ذات نبرةٍ عنصريةٍ استعلائية، فيها الكثير من تحقير الأخر (العرب). ويمكن أن نستشفّ ذلك من خلال بعض النصوص التي تضمّنتها هذه القصص. في قصّة "فينتو" مثلاً، المترجمة عام 1957، جاء في الصفحة 137 ما يلي: "لا تتكلّم مع هذا الكلب. هو أيضاً سيموت لا محالة. وربّما مع كلّ ذلك لن يموت. صاحب الوجه الشاحب العجوز، الذي ليس سوى قطٍ بائس؛ ينبغي عدم قتله وتصفيته عملياً، وإنما طرده بلسعات السوط". وتقوم دور النشر بشكلٍ متواصلٍ بعرض العديد من الكتب ذات الأسلوب الممتع الذي يجذب الطفل إليها؛ ومن هذه الكتب "عصابة تشوبشيك" و"أربعة أصدقاء" وعملية "غوش عتسيون" و"عصابة الأصدقاء" وسلسلة "الغضب الغضب".

وحول هذه القصص والأدبيات للأطفال، تحدّثت "نيلي مندلز"، الكاتبة الصحفية، في مقالاتٍ عدّة، عن خطر ما يتمّ تلقينه للأطفال عبر تلك الكتب. وهي قالت في صحيفة هآرتس

في 1983/11/13: "إنها غسيل دماغ وتطهير رؤوس"؛ وأمّا العربي في هذه القصص، فهو "وحشٌ ونذل". بدوره، "أدير كوهين"، أستاذ التربية في جامعة حيفا، يقول بعد استطلاع للرأي شارك فيه أكثر من (520) طالباً، أن "مستوى الخوف من الإنسان العربي عالٍ جداً وبشكلٍ مذهل. ففي أكثر من 75% من الإجابات، ترافقت شخصية العربي مع خاطف الأولاد والقاتل والمجرم ورجل المخابرات القاسي. ولم تنتهِ الحكاية هنا؛ فآلاف الكتب المترجمة وغير المترجمة تعجّ بالحقد والكراهية للعرب والاستعلاء والعنصرية على باقي الشعوب، ممّا يؤكّد ما توصّل إليه أحد الباحثين التربويين في إسرائيل عام 1955، في دراسةٍ له لأدب الأطفال، حول أن هذا التعليم والأدب هو بمثابة معمل إنتاج المجرمين الصغار؛ وهذا هو العنوان الصارخ لدراسته (معمل إنتاج المجرمين الصغار).

حسمبا: سلسلة القصص العبرية الأكثر رواجاً

تُعتبر سلسلة قصص وحكايات الطفولة الخيالية "حسمبا"، وهي تعني المجموعة السرّية المطلقة بالتمام، التي بُدء بنشرها وترويجها منذ العام 1950 حتّى الآن على حلقات، في جريدة "حشمار" للأولاد (تعني المرصاد)، الأكثر رواجاً في السوق "الإسرائيلية" لأدب الأطفال. ويُعتبر هذا النوع من القصص من أوائل قصص الفتيان المكتوبة باللغة العبرية بعد نكبة عام 1948، حيث يمكن إدراجها ضمن سلسلة "جائر" - كتب المغامرات المثيرة. وقد سجّلت قصص "حسمبا" رقماً خيالياً في المبيعات، وتمّ توصيفها بأنها الكتب الأكثر شعبية التي تستهوي القرّاء الصغار الناشئة. كما اعتُبرت هذه السلسلة أكثر أهمّية من قصص "روبنسون تروزو"، و"جزيرة الكنز"، و"أليس في بلاد العجائب" و"ثمانون ألف ميل تحت سطح المياه"، لما تتضمّنه من خيالٍ وعبقريةٍ استيلابيةٍ تسيطر على عقول الناشئة.

يقول "أوئيل أوفك"، وهو باحثٌ تربويّ متخصّص في كتابة قصص الأطفال ويعمل مدرّساً لهذا الأدب في جامعات وكلّيات لإعداد المعلّمين في "إسرائيل"، أن هذه السلسلة (حسمبا) فاسقة، تشكّل خطراً على القرّاء اليهود الصغار، بفعل تكوينها لنمطية التفكير لدى الجيل الحالي المتحكّم بتقاليد الأمور في سائر مؤسسات الدولة العبرية، العسكرية والمدنية".

وقد خلقت سلسلة "حسمبا" ما يمكن اعتباره "موجة جديدة" في أدب الأطفال العبري، حسب ما نشرت صحيفة (هآرتس) في ملحقها الأسبوعي في 1970/4/15. أمّا عن سبب نجاح "هذه الموجة" إلى حدٍ مذهلٍ في "إسرائيل"، فيجيب كاتب هذه السلسلة (يغتال موسينزون) عن ذلك في صحيفة دافار في 1970/6/17 بقوله: "لقد استجابت كتب حسمبا مع غريزة المغامرة المتأصّلة فينا جميعاً، وخصوصاً لدى الأولاد. إذ يصعب أن تجد ولداً لا يتماثل معه فتيانٌ في مثل عمره، ينفّذون عمليات من نصيب البالغين؛ عملياتٌ منسجمةٌ تماماً مع قدرٍ كبيرٍ من الخيال والدقّة في تطبيقها، وفي قيمها المقدّسة. وعلى أيّ حال، ففي جميع القصص التي صدرت حتّى الآن، يخوض أولاد حسمبا عن طريق السلاح معارك مختلفة، ويتغلّبون على لصوص الخيول وجواسيس سلاح الجوّ وعلى مجهولٍ يرتدي قناعاً أسود وعلى سائر الأنذال، ويتخلّصون من أسر الجيش العربي، ويتعاركون دون وجلٍ مع من هم أشدّ منهم بأساً وعنفاً.

الزيارة

مقطع من قصة: تسبيا غولان

وصل أطفال روضة (شيكد) إلى روضتهم في ساعات الصباح كالمعتاد، حيث سارعوا إلى تحيّة عاملة الحديقة ريبكا والمربّيات في الروضة. وبعد ذلك، توزّع الأطفال، كلٌ إلى الزاوية المحبّبة لديه؛ عفرا وشيري إلى زاوية الرسم، حيث تناولتا الأوراق وألوان الرسم، ثمّ بدأتا بإعداد الرسومات المختلفة والجميلة. أما أبيشاي ويوءاب، فكانا منهمكين في إعداد برجٍ عالٍ من مكعّبات الأخشاب الملوّنة والكبيرة. معين ويئير وعمري توجّهوا إلى زاوية الألعاب، في حين ذهب ينيب إلى المكتبة، أخرج منها كتاباً، ثمّ أخذ يقصّ على نفسه قصصاً ظريفة وذات أهمّية. وبينما الجميع منهمكين، كلٌ في زاويته المحبّبة، سمعوا صراخاً قادماً من الحديقة، وكان هذا صوت شولا.

لقد رأت شولا جسماً غريباً داخل الحديقة. وأرادت أن تنبّه زملاءها الأطفال إلى ذلك. وعندما ركض الأطفال إلى الحديقة، أشارت شولا بيدها المرتعشة إلى الجسم الغريب. وقد أحسن

أطفال الرّوضة صُنعاً، حين سارعوا إلى الاتصال بقوّات الشرطة التي وصلت المكان على عجل، وقام رجالها بإخلاء روضة شيكد من الأطفال الصغار والمربّيات وعاملة الحديقة؛ ثمّ كشفوا الجسم الغريب، فكان عبوة ناسفة صغيرة، وضعها مجهولون في الحديقة، ولا شكّ أنهم من الأعداء؛ وتمّ تفكيك العبوة بسلام. وقدّم رجال الشرطة التّهاني والكلمات الحلوة إلى شولا وزملائها أطفال الرّوضة على يقظتهم العالية وشدّة انتباههم وتصرّفهم الحسن، وطلبوا منهم أن لا يتردّدوا في الاتصال برجال الشرطة إذا ما شاهدوا أيّ جسمٍ غريبٍ في الحديقة أو أيّ مكانٍ آخر يذهبون إليه. وبعد مغادرة رجال الشرطة، عاد الأطفال إلى روضتهم، واتجه كلّ منهم إلى زاويته المحبّبة[9].

خامساً: عنصرية التعليم اليهودي وعسكرته

يكشف كلّ من البروفيسور أدير كوهين والصحفية المتخصّصة في شؤون التعليم والتربية نيلي مندلز، وهما اشتغلا في الدراسات التحليلية لقصص وكتب وأدبيات الطفولة، في صحيفة هآرتس، أن هناك أكثر من 1500 كتاب من عدّة أصنافٍ بين أيدي الناشئة لليهود، تمثّل ما لا يمكن وصفه من فوقيّةٍ واستعلاءٍ وتحقيرٍ لكلّ ما هو عربي ومسلم. ويمكن العثور على هذه الكتب في كلّ شارعٍ ومكتبة، وفي أيّ مدينةٍ أو مستوطنة. ومنذ العام 1948 وحتى الآن، ما زال هناك صنفين من الكتب والقصص والمطبوعات: الصنف الأوّل، وهو ما يوضع للطلبة اليهود في المدارس والمؤسسات اليهودية الصّرفة؛ والصنف الثاني، وهو ما يُفرض على الطلبة العرب في المدارس والمؤسسات العربية في المدن والقرى العربية في فلسطين المحتلة[10].

تقول نيلي مندلز، في تعليقها على الاتجاه الصهيوني اللاإنساني في مخاطبة الناشئة اليهود، إن استعراضاً سريعاً لمضامين كتب مباحث العلوم الإنسانية، ومن بينها كتب المطالعة المقرّرة رسمياً للطلبة من الصف الأوّل حتى الصف الثاني (قراءات إسرائيل) و(قراءات إسرائيل الحديثة)، يبيّن لنا كم هي محشوّة بعبارات التحقير، والأوصاف غير الإنسانية المتوحّشة (وهذا

(9) صحيفة معاريف الإسرائيلية، 16 كانون الأول/1983.

(10) العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية، خليل السواحري وسمير سمعان، شبكة الإنترنت(2006).

ما تحدّث عنه أيضاً د. دانئيل بارتنا – ذكرناه سابقاً). فالكتب والمراجع التي تقرّها وزارة المعارف "الثقافية الإسرائيلية" لتكون مراجع بين أيدي المعلّمين والمربّين، هي أشدّ عنصرية وأكثر فظاعة ممّا يستخدمه الطلبة أنفسهم".

والجدير ذكره أن هذه الكتب ما زالت على حالها دون أيّ مراجعةٍ منذ سنواتٍ طويلة. وهي مستنسخةٌ عن طبعاتٍ ظهرت في الستّينات والسبعينات من القرن الماضي – والمعطيات والأرقام فيها لا يُسمح بتعديلها أبداً.

كذلك، يقرّ البروفيسور "دانيال بار-طال" في كتابه "تأثير عملية السلام على مضامين كتب التدريس"، حقيقة صهيونية راسخة ترتبط بعدم تنازل التربية الصهيونية مطلقاً عن توجّهاتها التعليمية–التلقينية لطلاّبها في سائر مراحل التعليم الدراسية؛ سواء في أوقات الحرب أو السّلم.

ويضيف:"بعد أن قمتُ بتحليل 124 كتاباً في اللغة، الأدب العبري، التاريخ، الجغرافيا والمدنيّات، المقرّرة كلّها للتدريس بعد عام 1944، وجدتُ أن غالبيّة هذه الكتب تشدّد على بطولة الشعب اليهودي، وتُبرزه بشكلٍ فوقي سوبرماتي. فهو صاحب قضيةٍ عادلة، يحارب من أجلها ضدّ عدوٍ عربيٍ ومسلمٍ يرفض الاعتراف بوجود الشعب اليهودي في "إسرائيل". كما وأن الحديث عن اليهودي يتمّ عبر جميع الأوصاف الإيجابية؛ فهو صاحب أخلاق، مبشّر بالتطوّر والإزدهار؛ بينما يفكّر العربي دائماً وفقاً لأفكارٍ نمطيةٍ سلبية، والتعامل معه يجب أن يتمّ من خلال إلغاء شرعيته وإنسانيته"[11].

كما يورد الباحث الإسرائيلي "إيلي فودة" 12 قصّة يعتبرها محطّاتٍ بارزة في التكوين التربوي الذي اعتمدته "إسرائيل" في كتب التاريخ. وهو يدعم دراسته بنصوصٍ وصورٍ ورسومٍ كاريكاتوريةٍ تُظهِر عمق النظرة العنصرية إلى العرب؛ حيث يشير المؤلّف إلى الفتاة الإسرائيلية "تاتيانا موسكين" التي رسمت في العام 1997 رسماً للنبيّ محمّد(ص) بشكلٍ بذيء، بأنها

(11) تأثير عملية السلام على مضامين كتب التدريس. دانيال بار-طال. 1997.

ليست حالة استثنائية أو هامشية في المجتمع الإسرائيلي؛ بل هي إفرازٌ طبيعيٌ للحقن العنصري الذي تنتهجه "إسرائيل" في حقل الخدمات التعليمية[12].

عسكرة التعليم في "إسرائيل"

تكفي نظرة واحدة على مناهج التعليم في المدارس الإسرائيلية وفي جميع المراحل، لفهم توجّهها العامّ القائم على التنشئة التربوية بروح العسكرة والتجنيد للجيش، وإعداد الطفل منذ صغره على القتال حتى يكبر ويصبح مقاتلاً شرساً بوجه العدوّ الأوّل "العربي".

وقد سادت روح العسكرة الفاشية هذه ضمن المناهج التعليمية منذ قيام الكيان الصهيوني. غير أن نارها تأجّجت بعد حزيران 1967، حين "انتصر" الإسرائيليون على العرب، وبعد انتقال جنرالاتٍ عسكريين إلى الحياة السياسية وتسلّمهم قيادة مؤسساتٍ وأجهزةٍ حكومية.

تتناول الكاتبة في صحيفة هآرتس "إرنا كازين" موضوع التربية على العسكرة، منذ مرحلة الحضانة التي يبدؤها الطفل الإسرائيلي، حيث أعدّت تقريراً هاماً قالت فيه: إن التوجّه التعليميّ هو نشر قِيم الجيش وليس قِيم الديمقراطية، مضيفة: إن السلام سيأتي كما تقول الأغنية: لا تقولوا أن هذا اليوم سيأتي. بل اتونا بهذا اليوم (مقطع من أغنية السلام الإسرائيلية)؛ أي أنه بدون التربية على الديمقراطية، لن ينشأ في "إسرائيل" جيلٌ مستعدٌ وناضجٌ لقبول ثقافة السلام[13].

وفي اليوم الدراسي حول "العسكرة والتربية" - نظرةٌ نقدية، الذي عقِد في الجامعة العبرية ومعهد الكيبوتسات في (2000/5/30)، تحدّث باحثون عن أن جهاز التعليم الإسرائيلي يخلو من التربية على المواطنة والديمقراطية، وأن معظم المدارس تربّي على العسكرة، وأن التصعيد في الصراع مع الفلسطينيين وتقبّل "المواطنين" "الإسرائيليين" لهذا التصعيد دون مقاومة، هو نتيجة لهذه التربية.

من جهتها، تقول الباحثة من مركز التربية النقدية في معهد الكيبوتسات (حاجيت غور

(12) إيلي فودة، 1997.

(13) إرنا كازين - التربية على العسكرة، صحيفة هآرتس 2001/5/30.

زئيف): "إن التربية على العسكرة تتمّ بأساليب مختلفة. ففي يوم الاستقلال، "يتعمشق" أطفال الرّوضات على الدبّابات، ويزيّنون روضاتهم بأعلام وحدات الجيش، بدلاً من الاحتفال بقيم الديمقراطية والمساواة؛ وحتّى في الأعياد الأخرى الدينية، فإن ما يُنقل إلى الطلاّب في الغالب هو المفاهيم والقِيم العسكرية. دائماً هناك تقسيمٌ بين نحن وهم، الطيّبون والأشرار. فمثلاً، في عيد الحانوكا (الأنوار)، يصوّر الإغريق بأنهم أشرار، ونحن (اليهود) الطيّبون... ويتجاهل جهاز التعليم المعاني الثقافية والديمقراطية لهذه الأعياد".

تتابع "غورزئيف": "إن كلّ معاني الديمقراطية تغيب عن برامج التعليم، بسبب التأكيد على "نحن وهم". لا يتعلّم الطلاّب التمييز بين مركّبات هذه الشخصيات الأسطورية. في تراث عيد الفصح، هناك قصّةٌ جميلةٌ حول بطولة النساء، عن تحالفٍ بين امرأتين من طبقتين مختلفتين؛ واحدةٌ من طبقة النبلاء، والثانية جارية، مصرية يهودية؛ وهما ترفضان قتل الأطفال.

هذه القصّة التي تحمل المعاني الإنسانية والأمومة لا تدرّس على سبيل المثال. أمّا في تراث عيد البوريم (المسافر)، فيمكن التحدّث عن نضال الأقلّية ضدّ الحاكم الظالم وربط ذلك بالديمقراطية، الطريقة الوحيدة التي تحمي الأقلّيات[14].

وأيضاً، نقرأ في مقالة "إرنا كازين"، أن "هناك تراكمات للمفاهيم العسكرية. وهو يخلو (جهاز التعليم) من المفاهيم الكونيّة أو المدنية. إن الرّحلات المدرسية تنظّم لمواقع المعارك، وتنظّم لطلاّب الثانويات أيّامٌ لمشاهدة تمارين عسكرية بالسلاح الحيّ. طلاّب المدارس الابتدائية يُرسلون في كلّ عامٍ هدايا للجنود، ولا ترسل هدايا للفقراء، والمرضى. ويدرس الطلاّب بشكلٍ دائم تاريخ الحروب، ولا يدرسون تاريخ النضالات العمّالية والنقابية أو النسوية"[15].

وتتابع: "يقرأ الطلاّب أسئلة موضوعها الجيش، تظهر في كتب الرياضيات. ففي كتاب الرياضيات للصفّ الخامس، من تأليف "مردخاي فاسو شتروم"، ورد السؤال التالي:

(14) مجلّة قضايا إسرائيلية. العدد الثالث. صيف 2001.

(15) إرنا كازين- مصدر سابق.

من بين 6340 جندياً متدرّباً، طلب 2070 جندياً الانضمام إلى وحدة المظلّيين، و1745 انضمّوا إلى المشاة؛ كم بقي من الجنود؟

أمّا أثناء النشاطات الخارجية أو الرّحلات، فيؤخذ الطلاّب لمشاهدة معارض فنّية لتخليد ذكرى الجنود "الإسرائيليين" (ياد ليبانيم). وهناك يكتشفون الرّابط بين الفن وبين الجيش. تقول الباحثة "فيرد شومرون أن هذه الطريقة تجنّد الفنّ من أجل التغطية المؤسساتية على بشاعة الحرب... وفي خارج المدرسة، يطّلع الطلاّب على إعلاناتٍ تجاريةٍ لشركة "تنوفا" Tanova تعظّم الجيش؛ مثل إعلان الجبن: 50% لوحدة المظلّيين، 50% لوحدة غولاني، 100% للعائلة. وفي برامج الإذاعة الصباحية، تُجرى مقابلات مع رجال الجيش كخبراء، في شؤون الصراع. وفي الكنيست والحكومة، يرون جنرالات متقاعدين فقط أو رجال دين يقرّرون مصيرهم. أضف إلى كلّ ذلك، فإن جهاز الجيش يجنّد لخدمة الجيش؛ فالإعلانات التي تدعو الطلاّب للتجنّد في وحدات الجيش المختلفة والمعلّقة على رُدهات المدارس، تغطّي المكان ولا تترك مجالاً للإعلانات عن الديمقراطية.

وتشترك المدارس أيضاً في دورات الإعداد للجندية، وتستضيف جنوداً من وحداتٍ مختلفةٍ "لتسويق" وحداتهم للطلاّب، دون أن يثير ذلك أيّ اعتراض. تقول الباحثة "غورزئيف": "لا أحد يسأل إذا كان هناك مشكلة في الخلط بين المدرسة والجيش. ولا أحد يقترح عملية فصل، والتشديد على أن الإعداد للجيش إذا كانت هناك ضرورة لذلك، يجب أن يكون في إطار الجيش فقط، قبل التجنّد، ولكن في ختام التعليم".

في الإطار ذاته، تتحدّث الكاتبة "ريلي مزالي"، عن دخول الجنود إلى الصفوف والتحدّث أمام الطلاّب عن فظائع الجيش، دون أن يثير ذلك أيّ تحفّظٍ لدى الأهالي.

وتضيف: في جهاز التعليم يبحثون في كلّ المواضيع: مناهج التعليم، أساليب التدريس، تخصيص ميزانيّات. ولكن، هناك صمتٌ تامّ عن العلاقة بين المدرسة والجيش. في جهاز التعليم، هناك ظواهر عديدة يمكن اعتبارها بسهولة مظاهر لنظامٍ مناهضٍ للديمقراطية، لو أننا سمعنا أنها قائمةٌ في دولٍ أخرى".

كما تبرز في المجال التعليمي ظواهر غريبة، مثل تسلّم ضبّاط كبار مهام إدارية وتعليمية في المدارس، وذلك بعد انتهاء خدمتهم العسكرية. وتموّل وزارة المعارف مشروع (تسافتا) الذي يؤهّل ضبّاط متقاعدين من جهاز الجيش والمخابرات للعمل كمربيّن حيث يتمّ تدريبهم في معهد بيت بيرل. وقد تخرّج عددٌ كبيرٌ من الضبّاط ممّن يحملون الشهادات الجامعية الأولى، الذين تمّ دمجهم في مدارس مختلفة في جميع أنحاء إسرائيل. بعضهم درس سنة واحدة فقط للحصول على رخصة التدريس، وزاروا المدارس ليومين فقط وعُيّنوا فوراً في وظائف إدارية. وآخرون عُيّنوا معلّمين ودرسوا سنة إضافية أخرى وعُيّنوا في وظائف إدارية؛ ومنهم من تولّى مناصب عالية[16].

من جهتها، تساءلت الدكتورة "هنرييت دهان كيليب"، من جامعة تل أبيب، عمّا إذا كان الخلط بين الجيش والتربية يخدم التربية أم يعطّلها. وتحدّثت عن تجربتها الشخصية بصفتها والدة لطفلٍ يدرس في إحدى مدارس بئر السبع، فقالت "إن أولياء أمور الطلاّب يبحثون عن النظام والطاعة في المدرسة. يبحثون عن رجلٍ قويٍ يفرض سيطرته، لأن النظام في حالة انهيار، ويزداد العنف؛ وليس هناك أيّ تفكيرٍ إبداعيٍ بحلولٍ ديمقراطية"؛ وتقول أرنا كازين في وصفها للقائمين على التعليم (نقلاً عن موطي ساغي، مدير مشروع الضبّاط لإعداد قوىً بشرية في مراكز تشغيل الأكاديميين في وزارة العمل): يقف أمام الطلاّب رجل برتبة عقيد، بشخصيته القوية، فيحقّق نجاحاً كبيراً؛ عندها يقف الطلاّب وينشدون النشيد الوطني (هتكفا)، فيتبيّن لهم أنه ينقل العديد من القيم، ولديه ما يسوّقه لهم، إنه قادمٌ من مدرسةٍ لا مثيل لها الجيش... اليوم يبحثون عن قياديّن وليس عن معلّمين.. ضبّاط الجيش المتقاعدون يتمتّعون بميّزاتٍ خاصّةٍ وقدراتٍ ضخمة".

أما الدكتورة "سيغال بن بورات"، فتقول: "أن تكون مواطناً جيّداً في إسرائيل، يعني أن تخدم في الجيش"؛. وتتابع: التربية المدنية هي الدمج بين مصالح الدولة ومصالح الفرد. فللدولة والأفراد هناك مصالح مشتركة في تنشئة مواطنين يتمتّعون بالاستقلال الذاتي، خلافاً لمصالح

(16) إرنا كازين، المصدر السابق.

المجتمعات الدينية وأصحاب رؤوس الأموال والجيش المعنيّين بتنشئة مواطنين خنوعين لا يفكّرون إلاّ بالعمل والدّين والجيش".

وتُنهي الباحثة "حاجيت غورزنيف" باقتباسٍ للمربّي باولو فريري، البرازيلي الذي تحدّث يوماً عن أهمّية الإنسان قائلاً: "الإنسان بطبيعته إنساني وإيجابي، ويحاول الناس تحسين بيئتهم. أما التربية اليوم، فهي لقمع هذه الميزة الأساس في الإنسان".

النتيجة الحتمية لواقع التربية التعليمية في "إسرائيل"

تعبّر المحامية "الإسرائيلية" فيلتسيا لانغر بصدقٍ عن خلاصة أو نتيجة التربية التعليمية داخل "إسرائيل"، وهي تخاطب الشاب اليهودي الذي يهدم بيوت العرب في الأراضي المحتلة، قائلة: "لقد علّموك منذ كنت صغيراً" فنّ الحرب، وأرادوا لك أن تحقد بكلّ ما أوتيت من قوّةٍ على العرب الذين أعدّوك لمحاربتهم، لكي لا ترتجف يداك عندما تضغط على الزناد. وعندما دخلت المدرسة الابتدائية، كان هناك من قرّر بعد اثنتي عشرة سنة أنك ستكون جندياً؛ لذلك، ستتركّز تربيتك منذ الآن على تعلّم الحرب. وبدأ ذلك بتنمية مشاعر التفوّق القومي فيك مع رصيدٍ لك في ماضيك من إهانةٍ لقيم الشعب الآخر".

وهكذا نجد أن جهاز التربية والتعليم الصهيوني قد جُنّد لتشويه صورة العربي وإنكار وجوده، مقابل إحياء أساطير موجودة في الذاكرة الجماعية اليهودية، من أجل تشكيل صورة الماضي وتوحيد الهوية "الإسرائيلية". ونجد أيضاً، أن الدراسة الدينية تحتلّ مكاناً بارزاً في مناهج التعليم عموماً. ومعظم المواضيع التي تدرّس تحت عناوين الجغرافيا والتاريخ والتربية واللغة العبرية إنما تدرّس من زاويةٍ دينيةٍ بهدف تنمية الوعي والحسّ اليهودي لدى الطالب لتعميق صلته "بتراثه" القديم من خلال دراسته الدينية. كما يتمّ التركيز في هذه المناهج على زرع أفكارٍ دينيةٍ في عقول الأجيال الناشئة لتسويغ وجود رابطةٍ دينيةٍ بينهم وبين أرض فلسطين، ممّا يشرع أحقّيتهم في هذه الأرض؛ إضافة إلى محاولة ربط الماضي بالحاضر، على اعتبار أن الحياة اليهودية في فلسطين لم تنقطع منذ أيام الرّومان وحتى العصور الحديثة، وأن "إسرائيل" أنشئت في بلادٍ قطنها المحتلّون

طوال 1300 سنة، وأن عودة اليهود هي طبيعية باعتبارهم غير غرباء عن الأرض، بل هم سكّانها "الحقيقيون" الذين شرّدوا منها - ودائماً حسب أهداف التعليم الصهيونية!

نموذج عن عنصرية التعليم اليهودي: إسحاق بن تسفي في حبرون[17]

في أحد أيّام الصيف الحارّة، خرجنا في رحلةٍ قصيرةٍ من أورشليم إلى حبرون. كان برفقتي راحيل ووافير أفيشار ويتسحاق شمي، وكلّهم من الشبّان الصغار من مواليد حبرون ومن تلاميذ دار المعلّمين في أورشليم، يقطنون مع أُسرهم في مدينة حبرون، حيث كانت الطّرق المؤدّية إليها (حبرون) معروفة جيّداً من قبلهم... مالت الشمس إلى المغيب، فانخفضت درجة الحرارة وارتفع البدر في عنان السماء لينير الطريق المؤدّية إلى حبرون. لم تكن هناك فوانيس لإضاءة الطريق في قلب المدينة ولا خارجها؛ كما لم يكن السبب في جولتنا في هذا الليل الحالك ارتفاع درجة حرارة الصيف، لأن الليل كان أكثر أمناً وضماناً بالنسبة إلينا من ظهور اللصوص والهجمات العدائية في ساعات النهار، حيث لم نصادف أيّ إنسانٍ في طريقنا، لا راجلاً ولا راكباً على حمار. كانت الطريق من برك سليمان حتى حبرون مُقفِرة، وخالية من أيّ مستوطنةٍ أو مركزٍ يهودي، رغم أنها ملأى بالذكريات التاريخية العظيمة، منذ عهد آباء الأمّة من زمن القضاة ومنذ أيام ملوك يهوذا والهيكل الثاني. أمّا أسماء المواقع التي نمرّ بها اليوم، فهي عبريةٌ سابقة، وأحياناً تحمل هذه المدن أسماء عربية، وأحياناً أخرى تبقى هذه الأسماء دون تغيير.

أنظروا الآن إلى أطلال وخرائب بيت زكريا التي بُنيت فيها قبور أبطال الحشمونيين الذين حاربوا جيش اليونان المدرّع بما فيه من كتائب خاصّة تستخدم الفيلة التي يقودها الهنود، وجيشه المزوّد بالدروع. وفي هذا الموقع، سقط البطل إليعازر شقيق يهودا المكابي الذي قتل الفيل وسائقه. نحن نسير الآن نحو حبرون عبر طريقٍ قديمة مبنيّة من الحجارة الكبيرة كحجارة الحائط الغربي للهيكل في أورشليم، ويُدعى هذا المكان (ألوني ممرا)؛ وهو يحمل اسم أحراج البلّوط في ضواحي الخليل؛ وكان أبونا إبراهيم الخليل قد أمضى وقتاً في (ألوني ممرا) عندما ظهر له

(17) الباحثة رنا حضرون

الملائكة الثلاثة في هذا الموقع؛ وممرا هو اسم أحد أخوة الأموريين من أبناء الحيثيّن أصحاب الخليل (حبرون) أشكول، منار، ممرا، وهم أصحاب ميثاق إبراهيم.

وقد استُعمل هذا المكان في العهد الرّوماني كسوقٍ كبيرٍ لبيع الأسرى، وفيه باع الإمبراطور هدريانوس الأسرى اليهود بعد ثورة باركوخيا عام 132. وهو الذي بنى في هذا المكان حصناً له.

ودُعِي هذا السوق في عهد التلمود (بوطنا)، وكان سوقاً للعبيد، ليس فقط في عهد روما الوثنية، بل حتى في العهد البيزنطي.

جذبت حسرات الماضي والحاضر أفئدتنا إلى حبرون (الخليل) ومغارة المكفيلا والحيّ اليهودي فيها، رغم أن الدخول إلى ضريح الآباء محظورٌ لكلّ من هو غير مسلم، ولم يُسمح لليهود بالصعود أكثر من سبع درجاتٍ في ساحة المغارة (مغارة المكفيلا)... ومضينا في سيْرنا عبر شارع اليهود في حبرون الذي كان يسكن فيه أصدقاؤنا. لقد استقبلونا باحترام، وبقلوبٍ مُفعمةٍ بالمحبّة، وأنزلونا في بيوتهم في الغيتو الضيّق. وفي تلك الفترة، كانت حبرون اليهودية تتنامى وتكبر، ويعيش فيها حوالي ألفي نسمة من اليهود منهم 266 من الأشكناز. وفي نهاية جولتنا، قُمنا بزيارة الكنيس القديم الذي أقيم في وسط الغيتو، بالإضافة إلى المدرسة الدينية المعروفة التي أسّسها الرّاب المقدّس حزقيا الذي ينتشر اسمه في البلاد وفي سائر أرجاء المهجر[18].

سادساً: السينما الإسرائيلية: بين معاداة السامية والهولوكوست

نظرة تاريخية للسينما الصهيونية

برز الاهتمام بالسينما الصهيونية في مؤتمر بازل 1879، حيث أكّد المجتمعون على ضرورة الإعلام التثقيفي لخلق دولة "إسرائيل". وقد جاء في بند المؤتمر الثالث "ضرورة نشر الرّوح القومية والوعي القومي بين اليهود في كلّ أنحاء العالم. ومن هنا برز الاهتمام بالسينما كواحدةٍ من المروّجات للمشروع الاستيطاني.

بدأ الأمر مع فيلم (قضية درايفوس) الذي يحكي قصّة "الاضطّهاد" الذي عانى منه اليهود في

(18) القصّة مأخوذة من كتاب خليل السواحري وسمير سمعان: التوجّهات العنصرية في مناهج التعليم الإسرائيلية.

أوروبا. ثمّ كرّت سبحة الأفلام التي تصبّ في نفس الخانة، من أجل تكريس مبادئ الصهيونية وترويجها عالمياً وحفرها في اللاوعي الإنساني لليهود؛ فظهر فيلم "الماعز تبحث عن الحشائش" عام 1955، ثمّ فيلم "شمشون ودليلة" عام 1951، والإبن الضالّ". وجميع هذه الأفلام تحكي قصص العهد القديم محاولة تأكيد مقولة "أن فلسطين هي أرض الميعاد لليهود"!

هذا في المراحل الأولى للسينما الصهيونية. بعد ذلك، صيغت الأفلام حسب المراحل التي مرّت بها الصهيونية. فبعد وعد بلفور، دخلت فكرة الهجرة في الأفلام الصهيونية، وبدأت مرحلة بثّ هذه الفكرة من خلال أفلام "إبن الأرض"، و"الوصايا العشر" عام 1925، و"صابر" عام 1932. بعد عام 1948، وإعلان قيام الكيان الغاصب في الأرض المحتلة، ركّزت الأفلام السينمائية على صورة اليهودي "الإنساني الذي أسهم في بناء الحضارة" مقابل صورة العربي "البشع"، البدويّ، البعيد عن أيّ حضارة!

بعد العدوان الثلاثي عام 1956 على مصر، ظهرت الأفلام التي تصوّر اليهود "رسلاً" مقدّسين مقابل العرب "الذئاب المتوحشة".

وفي نفس العام، ظهر فيلم "عملية القاهرة" على طريقة أفلام جيمس بوند. فالعلماء النازيون من الشباب والكهول يعملون – حسب الفيلم – مع المصريين على تطوير صواريخ لاستخدامها ضدّ "إسرائيل"، مع إبراز المقارنة بين تقدّم الألمان وتأخّر العرب، بما يتماشى مع نظرية "غباء العربي" الصهيونية. وقبل ذلك بسنة، كان قد ظهر فيلم "ثمانية في إثر واحد" عام 1964، من إخراج "غولان"، وفيه تظهر شخصيةٌ ألمانيةٌ وقد تخفّت تحت ستار أستاذٍ جامعي؛ في حين أنها تتجسّس على القوّات الجويّة الإسرائيلية لحساب العرب.

أيضاً، في تلك الحقبة الزمنية، ظهرت مجموعة أفلام مشتركةٍ بين دولٍ غربيةٍ "وإسرائيل"، تركّز على النّاجين من الهولوكوست، مثل (ساعة الحقيقة) و"القفص الزجاجي"؛ وقد تمّ إنتاجها إثر الضجّة التي أطاحت بمحاكمة إيخمان. كما ظهرت أفلامٌ تربط بين النازية والعرب، مثل "شقيقة الحبّ 1967" (إنتاج هوليوود). وفي هذا الفيلم، يظهر الألماني النازيّ وهو يمدح العرب؛ وهذا لا يمتّ للحقيقة بصلة، لأن النازيّ يرفض أيّ شعبٍ لا ينتمي للعرق الآري. وهذا

ما يُلمس أيضاً في أفلام الدعاية النازية التي ندّدت بالحلفاء لاستخدامهم العرب والبربر والسود من المستعمرات في جيوشهم.

في عام 1972، ظهر فيلم "أهمس باسمي". وبعد ذلك بسنة، إنكسرت العنجهية "الإسرائيلية" أمام انتصار العرب على "إسرائيل" في 1973، فتغيّرت نسبياً مواضيع الأفلام السينمائية "الإسرائيلية"، لتتّجه نحو الأفلام الإباحية المغلّفة بطابع علمي، والتي كان الغرض منها تعميم الانحلال الخلقي، مّما يُحدِث نوعاً من التفكّك الاجتماعي والأخلاقي، خاصّة عند المراهقين العرب.

أما في العام 1975، فقد أنتج الفيلم السويدي "المواجهة" لـ(المخرج وولف هوسن Woolf hoosen)، ويروي قصّة طالب يهودي يوغوسلافي يضطّره الاضطّهاد النازيّ للهرب إلى سويسرا. وهناك يصطدم بفرع الحزب النازي، فيحاول الانتحار ويشتري مسدّساً؛ لكنّه سرعان ما يكتشف ضرورة قتل الزعيم النازيّ الذي يقود فرع الحزب بسويسرا عام 1936. ثمّ بعد محاكمته والإفراج عنه، يذهب إلى أرض الميعاد، حسب ما يعبّر؛ لينتهي الفيلم بالحديث مع هذا اليهودي اليوغسلافي في منزله بتل أبيب.

بدوره، فيلم مارفين شومشلي، وهو فيلمٌ سينمائيّ طويلٌ عرِض في تسع حلقاتٍ تحت عنوان (إسمه الهولوكوست)، يروي قصّة عائلتين: واحدة يهودية والأخرى ألمانية. ومن خلالهما يتجلّى العنف، وكذلك الواقع السلبي لليهود وما قدّموه من ضحايا. ولكن، كلّ ذلك يهون في أمل العيش والحياة والهجرة إلى فلسطين. والحوار في الفيلم بأسلوبه الحديثي يعكس آمال الدولة الصهيونية.

كما يتابع الفيلم مصير الأسرة اليهودية الألمانية والتغيّرات التي تنعكس على أفرادها مع صعود النازية، إلى أن يتمّ ترحيلهم إلى معسكر أوشفيتز، حيث تنتهي حياتهم داخل أفران الغاز. ولا يتمكّن من الهرب سوى أصغرهم سنّاً، حيث يهاجر إلى فلسطين ويصبح مقاتلاً يستخدم نفس الأساليب النازية في ذبح الفلسطينيين.

في عام 1981، أنتج الفيلم "الإسرائيلي" (البحر الكبير)، وهو تسجيلٌ طويلٌ يجسّد قصّة

اليهود الذين تركوا الغرب وعادوا إلى فلسطين. وهو يحكي عذابات هؤلاء أثناء رحلتهم، حيث تخطّوا الحواجز الكثيرة للعودة إلى أرض "الوطن".

وفي "كان"، عام 1981، عرض فيلم المخرج الفرنسي اليهودي كلود ليلوش (هؤلاء والآخرون)، وفيه قدّم نموذجً عن أربع عائلاتٍ من باريس، موسكو، نيويورك وبرلين في زمن الثلاثينيات وما حلّ بهم جرّاء الحرب العالمية الثانية؛ ثمّ ما حصل لاحقاً لأولادهم وأحفادهم. في هذا الفيلم، يروي ليلوش اضطّهاد النازية لليهود عبر الأسرة الفرنسية التي قدّمها لتتكوّن من اثنين من عازفي الأوركسترا اللذين تزوّجا وأنجبا طفلاً. ولأنهم من اليهود، فقد لحقهم الجنود النازيون من أجل اعتقالهم؛ فيسرع الزوج ويأخذ الطفل من أحضان أمّه ويرميه على شريط قطار، على أمل أن يلتقطه أحد المارّة ويراه؛ ويدوّي صراخ الأمّ وهي تفقد طفلها، وتعيش أياماً عصيبة داخل المعتقل. يموت الأبّ، وتخرج الأمّ بعد نهاية الحرب لتبحث عن ولدها في نفس المكان الذي ألقي فيه الطفل. الزمن يمرّ، ويصبح الطفل محامياً مشهوراً له عدّة مؤلّفات، ثمّ يعلم أن أمّه على قيد الحياة ويلتقيها وقد فقدت ذاكرتها.

ولا ينسى المخرج أن يُظهِر "قوّة" اليهود وقدرتهم على الانتقام، وذلك من خلال الأسرة الألمانية، حيث نرى العازف الشابّ الذي يعزف في حفلٍ يحضره هتلر. ثمّ يقود فرقة موسيقية تابعة للجيش أثناء الحرب. وتمضي السنوات، ويصبح هذا العازف قائداً لأكبر أوركسترا موسيقية تقوم برحلاتٍ في عواصم العالم؛ وعندما يصل إلى نيويورك، يجد أن أحداً لم يحضر حفله الموسيقي رغم التذاكر المباعة. وعندما يسأل عن السبب، يأتيه الجواب أن اليهود اشتروا كلّ التذاكر حتّى يعاقبوه على جريمته السابقة بالعزف أمام هتلر وجيشه.

ويأتي عرض فيلم (شواه) للمخرج الفرنسي كلود لانزمان، ضمن إطار التراجيديا اليهودية، حيث يعرض مقابلاتٍ لعشرات اليهود الذين نجوا من الهولوكوست، دون أيّ تفسيرٍ لحقيقة ما حصل، ولماذا. وقد كرّمت الحركة الصهيونية العالمية مُخرج هذا الفيلم بشكلٍ مميّز.

وأيضاً، هناك (الهروب من سوبيبرو)، للمخرج جاك غولد Gold Jack، الذي أنتج عام

1987، وهو مأخوذ عن كتاب لليهودي ريتشارد راشكسي، ويروي فيه تجربته الشخصية في أحد معسكرات الاعتقال الجماعية أثناء الحرب.

في العام 1991، حصلت ضجّة كبيرة حول فيلم (الفرنسي - البولندي)، وذلك قبل ترشيحات الأوسكار. إذ رفضت الجهة الحكومية الألمانية التي عادة ما ترشّح لأوسكار أفضل فيلم أجنبي ترشيح هذا الفيلم، باعتبار أنه ليس فيلماً ألمانياً بصورة كاملة. ولكن وسائل الإعلام الإسرائيلية وصفت الأمر كفضيحة بحقّ المسؤولين الألمان تكشف عداءهم لليهود. لماذا؟

الجواب ضمن القصّة: يروي الفيلم قصّة شاب يهودي خدع الجميع، وانخرط في الجيش الألماني على أساس أنه مسيحيّ وليس يهودياً. وقد بقي الخوف مسيطراً عليه داخل الجيش من أن يفضح الألمان سرّه. وفي الختام، يسلّم نفسه إلى القوّات الروسية التي كادت أن تعدمه لولا ظهور أخيه المفاجئ، والذي كان قد هرب سابقاً إلى الاتحاد السوفياتي، فيُنقذه. وفي عام 1994، حاز فيلم (لائحة شيندلر) للمخرج الأميركي اليهودي ستيفن سبيلبيرغ على سبع جوائز أوسكار. وهو يتمحور حول رجل أعمال نمساوي كاثوليكي تمكّن أثناء الاحتلال النازي لبولندا من إنقاذ حوالي 1100 يهودي من الموت.

أما عام 1996، فقد ظهرت فكرة اليهودي البطل مُنقذ العالم، وذلك في فيلم (يوم الاستقلال)؛ وهو من إخراج رولاند أميريتش. وقد حاز الفيلم على العديد من الجوائز.

وفي السنوات الأخيرة، وتحديداً في نهاية عام 2008 وبداية عام 2009، شهدت السينما الإسرائيلية طفرة جديدة في إنتاج أفلام "المحرقة"، ومنها فيلم "فالكيري" و"تحدّي". غير أن فيلم القارئ Reader The برز من بين هذه الأفلام، كونه يروّج لعقدة ذنب "المحرقة" بطريقة جديدة أكثر حساسية وأقلّ مباشرة. طريقة تعتمد على البعد الإنساني وحساسيّة المشاعر، بدل الخطاب الإعلامي المباشر. وكان فيلم "القارئ" قد رشّح لجوائز عالمية عديدة نال عدداً منها. وقد انطلق هذا الفيلم على نطاق واسع في 2009/1/9، وهو كلّف 32 مليون دولار؛ لكنّه عاد على منتجيه بالأرباح الهائلة. مع العلم أن إنتاج هذا الفيلم تولاّه رجلان، أحدهما الممثل

والمخرج والكاتب الهوليوودي المعروف سيدن بولاك، وهو أيضاً يهودي. وقد مات قبل أن يُنجز الفيلم[19].

الهولوكوست في السينما الإسرائيلية

حين سُئل المخرج الصهيوني "مناحيم غولان" ذات يوم عن مدى الفائدة التي تقدّمها أفلامه لدولة "إسرائيل"، إبتسم وقال: "أعتقد أنني قد حقّقت انتصاراتٍ لصالح إسرائيل دون معارك". وهذا صحيحٌ مائة بالمائة؛ إذ أن السينما "الإسرائيلية" لعبت دوراً متميّزاً في عملية التعبئة والإعداد النفسي ليهود العالم وتهيئة ظروفٍ ومناخاتٍ استيعابية، نفسية وجسدية، لجلْب قدموا من شتّى أنحاء الأرض.

ويمكن اعتبار أن نقطة الضعف الأميركية هي السينما. والمعلوم أن اليهود الأميركيين يسيطرون على صناعتي الإعلام والسينما. وبما أن الشخصية الأميركية هي انفعاليةٌ غير مفكّرة، فقد استُخدمت السينما لتحريك مشاعر هذه الشخصية، فأنتجت المنظمات اليهودية الأميركية سيْلاً من الأفلام الدرامية التي تصف "المحرقة" النازية. وخلال أعوام (1998 – 2000) أنتج قرابة 500 فيلم حول ما يسمّى الهولوكوست؛ ناهيك عن أفلامٍ سابقةٍ ذات شأن، نذكر منها فيلم "الدكتور" "لشارلي شابلن" و"إكنمر دروس" لـ"أوتو برينغر" و"ليل وضباب" و"جيش الظلام" للفرنسي آلان رينيه، و"القتلة بيننا" للألماني "وولنف شتودت".

البداية الحقيقية لموجة أفلام الهولوكوست كانت بعد حرب تشرين 1973، عندما انتصر العرب على إسرائيل، من خلال المسلسل الشهير لليهودي "مارغن تشومسكي"، والذي أنتجته شبكة (أن. بي. سي) الأميركية تحت اسم "هولوكوست". وهذا المسلسل بيع لخمسين دولة حول العالم، منها ألمانيا نفسها، وقد شوهد من قِبل 500 مليون مشاهد.

والملفت للنظر هو التوقيت الذي أنتج فيه هذا المسلسل. فقد أنتج على عجلٍ في أعقاب هزيمة إسرائيل في حرب تشرين، وما تبع ذلك من اهتزاز صورة الجيش "الذي لا يُقهر". يُضاف إلى أن

(19) المصدر: إبراهيم علّوش القارئ The Reader: نقد «المرقة» أكبر من الإنسان، شبكة الإنترنت 2009.

هذا المسلسل تعرّض لانتقادات كثيرة، منها ما جاء في صحيفة "نيويورك تايمز" للكاتب اليهودي الألماني (إلي فيزل Feizel Elie) حيث قال عنه (أشباه حقائق وأشباه خرافات).

ومن هذه الأفلام أيضاً، (يومّيات آنّا فرانك)، (المرابي) لسيدني لاميث، (كمانات الحقل) و(بيضة الأفعى) لأنغمار برغمان، ثمّ (لائحة شيندلر) لليهودي ستيفن سبيلبرغ. ولم تقتصر أفلام إثارة المشاعر عبر هوليوود التي تعجّ بمشاهير يهود، أمثال هنري فوندا وابنته جاين فوندا وإستين هوفمان ومايكل دوغلاس إلخ... بل تعدّى ذلك إلى ألعاب الفيديو التي كثرت، من أشهرها لعبة باسم (وسام الشرف) التي أخرجها ستيفن سبيلبرغ نفسه.

الجدير ذكره في هذا المجال، هو أن إنتاج الأفلام الروائية الطويلة في "إسرائيل" تأخّر بسبب عدم وجود أساسٍ ثقافيٍ وطنيٍ مشترك، يمكن أن يصنع سينما تصلح لتكون جزءً من إرث الثقافة الوطنية؛ وذلك عائدٌ للتنوّع الفردي في الهوية الإسرائيلية ولاختلاف القوميات التي أتى منها اليهود.

وفي "إسرائيل"، توجد اليوم 267 دور عرضٍ سينمائية. وتتراوح ملكية المؤسسات السينمائية بين الإطارين الحكومي والشعبي؛ غير أنها جميعاً تعمل في قالبٍ سياسيٍ واحد.

لقد استطاعت السينما الصهيونية الدفاع عن قضايا وأهدافٍ تخدم بناء واستمرارية وطنٍ زُرِع في قلب المنطقة العربية عن غير حقّ. وقد سخّرت جميع الأفلام لهذا الهدف، مقابل عدم وجود أفلام في السينما العربية تحمل قضايا الأمّة العربية والإسلامية، أو تدحض الأكاذيب الصهيونية المستمرّة منذ المؤتمر الصهيوني الأوّل في مدينة بازل السويسرية وحتى الآن.

فالقدس مثلاً، التي هي قلب الأمّة العربية والإسلامية، لم تجد فيلماً مميّزاً يستنهض الجماهير الواسعة لنصرتها!! فهل من يقرأ ويسمع ويعتبر؟ وهل يأتي جيلٌ من السينمائيين العرب أو المسلمين ليجعل من الفنّ خدمة مقدّسة للقضية والوطن؟ نأمل ذلك.

سابعاً: العنصرية في المسرح الإسرائيلي

منذ بداياته الأولى، صُبِغ المسرح اليهودي بتوجّهاتٍ عنصريةٍ وشوفينية؛ أي قبل ظهور

الأفكار الصهيونية وبعدها. وذلك يعود أساساً إلى طبيعة الثقافة اليهودية، وتحديداً فكرة الغيتو التي تعني العزلة والشعور بالانطواء والتعالي (شعب الله المختار). بعدها كان مجيء الحركة الصهيونية لتعزيز هذه الأفكار، مع فارقٍ في التنظيم والإحياء لموروثاتٍ ثقافيةٍ يهوديةٍ بالية. وقد اعتُبر المسرح أداة من أدوات الحركة الصهيونية لإحياء اللغة والثقافة والمشاعر الدينية والقومية لدى اليهود.

ولوعيها بدور المسرح في التعبير عن الثقافة والسياسة، فقد حدّدت الصهيونية في مؤتمرها الأوّل في بازل بسويسرا عام 1897 عدّة أهداف، منها: تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي وتغذيته باستمرار، وإعطاء صورةٍ أفضل لليهودي العائد من الشتات، والذي جاء "ليُزرع في أرضٍ صحراوية"-حسب الصهاينة.

ويعتبر اليهود أن المسرح الصهيوني موجودٌ منذ تكامل التوراة. ويستدلّون على ذلك بقولهم أن التوراة صيغت بصياغةٍ درامية. كما يعتبرون أن أيّ مسرحيةٍ يهوديةٍ هي لتعزيز القومية اليهودية من خلال محاكمة الدّين والتاريخ. وقد سطع نجم المسرح العبري أو اليهودي، بسبب وجود جالياتٍ يهوديةٍ في الدول الأوروبية تنتمي إلى الطبقة الوسطى الوسطى أو التّجار؛ وهؤلاء يشكّلون جمهوراً مفترضاً يساعد في إنجاح أيّ عمل.

ومن الفرق المسرحية التي لاقت نجاحاً كانت فرقة "الهابيما اليهودية" التي قدّمت أعمالاً وصل صيتها إلى فلسطين. أما مؤسّس هذه الفرقة، فهو "ناحوم زيماخ"، وهو من أكثر المشجّعين للصهيونية، وهذا كان أحد أهمّ دوافع تأسيسه للمسرح، على رغم أنه لم يكن مهتماً به ولا هو من هواة المسرح.

نشر زيماخ اللغة العبرية وأفكار وموروثات ومؤلّفات هرتزل التي كوّنت ثقافته.

وقد لجأ "زيماخ" إلى استغلال الدّين للسيطرة على جمهور مسرحه. ونرى ذلك في اختياره لاسم المسرح "الهابيما"؛ وهو اسم ديني يعني المنصّة التي يقف عليها الحاخام في الكنيس ليقرأ التوراة. وقد لعب هذا الإسم دوراً نفسياً هاماً لدى اليهود. فمن يجرؤ أن يناقش كاهناً فوق منصّة الكنيس؟

كما استطاع "ناحوم زيماخ" نشر أفكاره الصهيونية وتمريرها على المتلقّي بسهولة. وكانت أولى مسرحياته باسم "إسمعي إسرائيل". وهو علّق على هذه المسرحية بقوله (لقد بذرت البذور في التربة. وسوف تكبر وتنمو. إن هدفي أرض إسرائيل).

وكان "زيماخ" قد ألّف ترنيمة خاصّة لمسرح "هابيما" لرفع المعنويات لدى الممثّلين ولشرح الأهداف التي قام عليها هذا المسرح، وهي: "جهّزوا من أجل الهابيما في أورشاليم. سوف نبني الهابيما في أورشاليم". وقد قدّمت الهابيما عدداً من المسرحيات المأخوذة من التوراة، وعرضت قصص "الأبطال" اليهود، إضافة إلى مسرحياتٍ تتناول الانتماء، والتفرّغ للدراسات الدينية، والانتصار على رغبات الفرد مقابل تحقيق الحلم الجماعي. وفي العام 1928، كتبت صحيفة "أغودات هاسوفريم" العبرية في فلسطين عن وصول فرقة "الهابيما" قائلة إن "ممثّلي الهابيما كمجموعةٍ من الكهنة الذين يضحّون بحياتهم من أجل إقامة كيانٍ فنّيٍ عبري".

وعلى الرّغم أن هذه الفرقة المسرحية لم تكن الوحيدة إلاّ أنها حقّقت نجاحاتٍ أكثر من غيرها لليهود وللصهيونية، خاصّة وأنها قدّمت أعمالها باللغة العبرية في بلاد أوروبا ولشعوبٍ لم تكن تُتقن العبرية. وهي استطاعت جذب الاهتمام، كما أن اليهودي المهاجر اعتبر وجودها "كنزاً" يُغني لغته العبرية.

بعد العام 1931، ركّزت فرقة "الهابيما" في عروضاتها المسرحية على ترويج فكرة الاستيطان كحلٍ لخلاص الشعب اليهودي، وعلى الشتات اليهودي في أوروبا، وتجميل الحياة الجديدة في فلسطين. وكتبت عدّة نصوصٍ مستقاةٍ من التوراة بقالبٍ صهيوني عنصري استيطاني. وحسب ما جاء في كتاب المسرح اليهودي، فإن هذه الفرقة نحتت بالصخر لإحياء اللغة والثقافة القومية اليهودية[20].

(20) المصدر: كتاب المسرح اليهودي شبكة الإنترنت

الفصل الرابع

مقدمة

عند نهاية الحرب العالمية الأولى، صرّح القائد الألماني "لاندروف" أن اللورد نوتكليف (صاحب جريدة التايمس) هو الذي كسب الحرب، وليس لويد جورج (رئيس وزراء بريطانيا). وسبب ذلك أن (التايمس) كانت قد نشرت في عددها الصادر في 1917/4/16 خبراً مفاده أن مصنعاً ألمانياً يذوّب الجثث ويستخدمها علفاً للخنازير وسماداً للأرض؛ وتبع ذلك نقل مجلاّت عدّة لهذا الخبر. ولم تتّضح الحقيقة إلاّ في 1925/10/25، حين كشفت إحدى المجلاّت البريطانية الحقيقة، وهي أن برقيّة وقعت بيد مراسل (التايمس) حول مصنع لاستغلال جثث الحيوانات؛ فما كان من المراسل إلاّ أن حوّر المسألة، واستخدم "جثث الأدميّين" مكان جثث الحيوانات. وقد حاول الإعلام الألماني مراراً تكذيب الشائعة، لكنّه فشل.. لماذا...؟

الجواب في المثل الروسي الذي يقول: الكذبة كرةً ثلجية، تكبر كلّما دحرجتها. وهذا هو حال الكرة الثلجية القديمة – الحديثة "الهولوكوست" في خيال اليهود والصهاينة.

لقد أضحت الهولوكوست أو "المحرقة" كنزاً لا يفنى بالنسبة للحركة الصهيونية. فهي أداةٌ لابتزاز الدعم السياسي والعسكري والمالي وحتى العاطفي لكيان العدوّ ومواقفه وأفعاله الإجرامية. ولولا أموال التعويضات التي تُدفع "لضحايا" الهولوكوست من قِبل بعض الدول الأوروبية، لاسيّما ألمانيا، والتي تتسلّمها "الدولة" لا أهالي الضحايا المزعومين، لما تمكّنت الحركة الصهيونية من البقاء حتى اليوم.

وما زالت عمليات الابتزاز باسم ضحايا اليهود في المحرقة المزعومة مستمرّة، وهي بلاشك تدعم وتقوّي المشاريع الصهيونية المشبوهة. ولا يتوهمَن أحدٌ أن "الهولوكوست" هي قضيةً مهمّةً للحركة الصهيونية ولليهود فقط؛ بل هي على درجةٍ عاليةٍ من الأهميّة بالنسبة لمراكز صنع القرار السياسي والاقتصادي في الغرب، لتبرير السياسات الداعمة للحركة الصهيونية أمام الرأي العامّ. لذا، لا يجب أن نبرّئ قوى الغرب الداعمة للصهيونية من الجرائم التي ترتكبها لتحقيق مصالحها في بلادنا، تحت ذريعة أن الصهيونية ساقتها إلى هذه السياسات. فكما أن للعدوّ "الإسرائيلي" أطماعٌ وطموحاتٌ في بلادنا، كذلك هناك مصالح أو أطماع أكبر للدول الصناعية الكبرى في منطقتنا العربية وشرقنا عموماً.

ولعلّ أفضل ما يصف متاجرة اليهود بالمحرقة هو الرّسم الكاريكاتوري الذي ضمّه كتاب "المحرقة" الإيراني، وطُبعت منه آلاف النسخ، وهو يصوّر "مرحّلين" يهود يحملون النجمة الصفراء، وهم يدخلون إلى أحد أفران الغاز ويخرجون منه من الجانب الآخر إرهابيين ملثّمين ومسلّحين.

ويبدو من أدقّ التعابير لتعريف الهولوكوست ما جاء على لسان الكاتب "الإسرائيلي" "بواس إيفردن" الذي قال أن "المحرقة هي عملية تلقينٍ دعائيةٍ رسميةٍ تمخّضت عن شعاراتٍ وتصوّراتٍ زائفةٍ عن العالم. وليس هدفها الماضي على الإطلاق، بل التلاعب بالحاضر".

وقبل التعرّف إلى حقيقة هذا "الهولوكوست"، لا بدّ أن نتحدّث بدايةً عن دور "الضحية"، وهو دورٌ تتجلبب به دولة "إسرائيل" دوماً رغم كلّ إجرامها وعنجهيّتها.

لقد أقامت "إسرائيل" دولتها الشاذّة على نحو 80% من أرض فلسطين، وسيطرت على الجزء الباقي بقوّة الاحتلال والبطش. كما استطاعت احتلال أجزاء من أراضٍ عربيةٍ أخرى في ظلّ دعمٍ أوروبي وأميركي، عسكري وسياسي واقتصادي، مكّنها من أن تصبح قوّة عسكرية عظمى في الشرق الأوسط. وعلى الرّغم من ذلك، فإنها حتى الآن تتقنّع بدور الضحية المهدّدة بالتصفية، مع شعور قسم كبيرٍ من "الإسرائيليين" بالخوف الدائم على وجودهم.

وقد يكون مردّ هذا القلق الوجودي تشبّث اليهودي بأساطير وخرافاتٍ استطاعت تشكيل ذاكرةٍ قوية لديه، ويصعب عليه التخلّص منها، كأسطورة "المسادا" قبيل الميلاد، التي تصف ملاحقة اليهود من جهة، وتمجّد صمودهم من جهةٍ أخرى؛ إضافة إلى تحميل اليهود مسؤولية قتل المسيح(ع)، وبالتالي طردهم من أوروبا لهذا السبب ولأسبابٍ أخرى ذكرناها سابقاً، حيث كان اليهود يحيكون المؤامرات ويقتلون ويغدرون بالشعوب التي عاشوا بين ظهرانيها.

وبغضّ النظر عن مجمل الأحداث التاريخية التي عايشها اليهود، فإن الصهيونية استغلّت هذه الأحداث من أجل تكريس الشعور اليهودي الدائم بالملاحقة والاضطهاد من قبل الآخرين وفي الأدبيات، يُشار إلى هذا الشعور بعقدة مسادا أو جنون الارتياب. يقول د. "مروان دويري أخصّائي نفسي" أن مصطلح "جنون الارتياب" يشير إلى عنصر "الجنون" في خوف وارتياب اليهود وشعورهم بالملاحقة، وذلك لأن هؤلاء يبالغون في الخوف ويواصلونه إلى ما بعد انتهاء الأحداث التاريخية المهدّدة لعدّة قرون، وبعدما تغيب المبرّرات الموضوعية للخوف"[1].

وفي مقالةٍ له نُشرت في الإنترنت عام 1999 بعنوان Looking at the Land?، يوجّه الرّابي "توبي سبنسر" نداءً لليهود يدعوهم فيه للإنتباه إلى كيفية تشوّه قِيمهم الإنسانية نتيجة تورّطهم وتمترسهم بدور الضحية. وهو يقول: "نحن اليهود متعلّقون بفكرة أننا ضحية". إسرائيل تملك أحد أقوى الجيوش في العالم وتتمتّع بدعم أقوى أمّةٍ في الكون.. ومع هذا، يبقى الخوف بأن كلّ ذلك سيختفي كنفخة دخان. في أميركا، نتمتّع بدرجةٍ من الاندماج والقبول؛ ومع ذلك، نتعلّق لدرجة الانبهار بالكارثة النازية وبصورتنا الذاتية كضحية. اللاسامية هي تشويه؛ ونحن تشرّبنا هذا التشويه، وهو يؤثّر على رؤيتنا الأشياء بوضوح". ثمّ يضيف: "جراحنا تجعلنا غاضبين ولا مبالين للآخرين، وصولاً إلى أننا نؤذيهم من دون وخز ضمير".

أما المؤرّخ "إيلان بابيه"، فيقول في مجلّة الشرق الأوسط: "إسرائيل تخاف من فقدانها دور الضحية أكثر من خوفها على بقائها. أو هي تعتقد بأن دور الضحية يضمن لها بقاءها". ويتابع: أكثر ما يُرعِب الإسرائيليين هو الاعتراف بأنهم سبب نكبة الفلسطينيين، لأن هذا

(1) د. مروان دويري (عامل الخوف والشعور بالذنب في السياسة الإسرائيلية)- شبكة الإنترنت.

الاعتراف يمسّ أسطورة "أرضٌ بدون شعب لشعب بدون أرض" في الصميم، وينسف الادّعاء الذي يترعرع عليه كلّ طفلٍ يهوديٍ بأن اليهود ضحية، وبأن الصهيونية حركة إنسانية، وبأن الفلسطيني شيطان".

يقول د. مروان دويري أن التمسك الواعي وغير الواعي بدور الضحيّة هو مصلحة صهيونية وإسرائيلية، تستقطب من خلاله إسرائيل تضامن الرأي العامّ لدعم المشروع الصهيوني ولتبريره، من خلال التمسك بدور الضحية...

ووراء حاجة "إسرائيل" للتمسك بدور الضحية يقف إلحاح الصحافة "الإسرائيلية" الاستحواذي على أن يُعلن كلّ عربيٍ استنكاره لأيّ عملٍ يكون اليهود فيه ضحية[2].

في مقالةٍ للكاتبة اليهودية "سلفيا تننباوم"، تقول بأنه من "الطبيعي أن نصف كيف اقتيد اليهود كالخراف للجزّار، وأن يُثبّت اليهود هذا الوعي في نفوسهم وفي نفوس بقيّة الشعوب منعاً لتكرار الكارثة. أما الآن، بعد عقودٍ تراكم فيها فيضٌ من الكتب والوثائق عن الكارثة، فيجب أن يكفّ اليهود عن هذا الاستحواذ، كي لا يفقدوا الرؤية الصحيحة لحياتهم اليومية وللإنسانية ولتاريخ اليهود الذي يمتدّ آلاف السنين، والذي لا يعني بأن اليهودي هو ضحيّة "مدموغ بنجمة الموت الصفراء للأبد".(Tennenbaum 1997).

وليس صدفة على الإطلاق، أن يتمّ الاحتفال بذكرى "الإبادة" داخل الكيان الصهيوني في الرابع من أيار، فيما عيد الاستقلال يقع في الخامس منه. فبهذه الصورة يترسّخ الوعي الصهيوني في الأدبيات باحتكار دور الضحية والتعلّق بالوطن!

أوّلاً: تعريف الهولوكوست

لقد أطلق مصطلح الهولوكوست الذي يعني الحرق لوصف ما قيل بأن النازيين قد ارتكبوه، حين أبادوا عدداً كبيراً من يهود أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية عن طريق حرقهم في أفران الغاز. وقد وظّف هذا الموضوع مادّياً ومعنوياً وسياسياً واقتصادياً لدعم الكيان الصهيوني في

(2) د. مروان دويري، المصدر السابق.

مجمل خططه وحروبه الإجرامية، وذلك بعد أن استطاعت الحركة الصهيونية تضخيم هذا الحدث وتغذيته بسلسلةٍ من الخرافات والأكاذيب، والتي تمكّنت من خلالها من الاستحصال على قرارٍ من هيئة الأمم المتحدة في 2005/11/1، اعتبرت فيه أن يوم 27 كانون الثاني من كلّ سنةٍ هو يوم ذكرى للمحرقة "اليهودية".

وكان النازيون قد أنشؤوا في بلدة أوشفيتز القريبة من مدينة كراكوف البولندية أكبر معسكرات الاعتقال وأكثرها شهرة. وبين عامي (1940 - 1945)، قتل النازيون أكثر من مليون شخص، بينهم عددٌ من اليهود، إضافة إلى أعدادٍ كبيرةٍ من البولنديين والغجر وسجناء الحرب الرّوس. وكانت القطارات التي تنقل السجناء الضحايا في مختلف أرجاء الدول الأوروبية - التي كانت محتلّة من قِبل الألمان - تصل يومياً إلى المعسكر خلال الفترة الممتدّة بين عامي (1942 و1944).

وكلمة هولوكوست مشتقّة من الكلمة اليونانية Oxokauotov - Kauston holo، والتي تعني "الحرق الكامل للقرابين المقدّمة لخالق الكون". وفي القرن التاسع عشر، استُخدِمت هذه الكلمة لوصف الكوارث أو المآسي الكبيرة.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، كثّف اليهود نشاطهم لصناعة وترسيخ أسطورة الهولوكوست في أذهان المجتمعات والشعوب، من أجل استدرار المال والتعاطف والدعم بهدف إقامة كيانٍ هجينٍ في قلب المنطقة العربية - الإسلامية، إلى جانب ما يقرب من 70 بليون دولار كتعويضاتٍ تدفعها ألمانيا.

ثانياً: هتلر والهولوكوست

تبدأ الحكاية عندما حاول هتلر إقامة وطنٍ قومي للشعب الألماني وحده، الذي هو في نظر هتلر أسمى جنسٍ على وجه الأرض، لأنه يتميّز بالجمال والشجاعة والذكاء والقوّة وعمق التفكير.

هذه النظرية العنصرية جعلت هتلر يعمل على إبادة الأجناس الأخرى المختلفة. وحتى الألمان

أنفسهم كان لهم نصيبٌ فيها. فالمعاقون والمجانين "يأكلون ولا يُنتجون، ويجب التخلّص منهم" برأيه. وقد استمرّ هذا الحال حتى بلغ عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية 50 مليون قتيل.

ويدّعي اليهود أن المحرقة أدّت إلى مقتل ستّة ملايين يهودي؛ وهو رقمٌ لا يُقاس بالنسبة إلى 50 مليون ضحيّة. غير أن هذا الرقم أيضاً (6 ملايين) مبالغٌ فيه كثيراً. ولو راجعنا الكتاب السنوي اليهودي رقم (5701) لاكتشفنا كذب اليهود وعلى لسانهم. فقد ذكر الكتاب أن عدد اليهود في بلدان أوروبا الخاضعة للسيطرة الألمانية بعد توسّع الحكم النازيّ كان (31.107.22) يهودي، بما في ذلك اليهود الذين بقوا على قيد الحياة بعد المذابح النازية. فكيف يُباد 6 ملايين يهودي إذاً؟

ثالثاً: أسطورة المحرقة ومصادرها

أثناء الحرب العالمية الثانية، كتب حاخامٌ يهوديٌ يُدعى "فاسميندل" عمّا أسماه معسكر الإبادة في أوشفيتز"، مستنداً إلى شهادات سلوفاكيين. فقام مع منظماتٍ يهوديةٍ بشنّ حملةٍ دعائيةٍ لهذه "المذابح" في أوروبا. كما روّج لهذه الأكذوبة اليهودي الرّوسي (إيليا إرنبورغ) في حملةٍ دعائيةٍ واسعة. وبعد الحرب، تمّ استخدام وسائل الخداع السينمائي والتلاعب بالصّور من أجل إثبات المحرقة وأفران الغاز التي أُحرِق فيها اليهود على حدّ زعمهم؛ كما غيّرت معالم المعسكرات الألمانية لإثبات تلك الأكاذيب.

وفي عام 1954، وبعد فتح المعسكرات، سارع الصحفيون في بريطانيا وأمريكا لالتقاط الصور والأفلام ليجعلوها كفضائح لما كان يقوم به الألمان، مع إعداد خدعٍ سينمائيةٍ تظهر فيها غرف التعذيب. وقد وجدت الأكذوبة مكاناً ادّعت فيه أنه كان لحرق الجثث (برغن - بلزن). غير أن المؤرّخين دحضوا هذه الأكذوبة، معتبرين أن الغرف لم تكن تحوي على غازٍ للقتل، ولا حتى على أفرانٍ لحرق الجثث. وقد شنّت الحركة الصهيونية حملاتٍ واسعة ضدّ كلّ من يشكّك بالهولوكوست أو يتحدّث عنها، بشكلٍ يتناقض مع الرواية الإسرائيلية. كما تعرّض البعض أيضاً للقتل بسبب هذه المسألة!

أدولف إيخمان

هو أحد من تمّ تلبيسهم تهمة إبادة اليهود وحرقهم. كان خبيراً في الشؤون الصهيونية، قبل أن يصبح رئيساً لقسم اليهود في جهاز أمن ألمانيا. وقد اتّهم بأنه المدير الأوّل لمعسكر أوشفيتز، أكبر معسكرٍ لاعتقال اليهود في أوروبا.

وحين تشكّلت محاكمة نورمبرغ لمحاكمة مجرمي الحرب، تمكّن إيخمان من الهرب بمساعدة المليونير اليهودي كاستز. غير أن الموساد "الإسرائيلي" تمكّن في واحدةٍ من أسرع عملياته، من إحضار إيخمان من الأرجنتين، بالرغم من أن هذا الأخير كان قد غيّر معالمه الشخصية. وقد تمّ إعدامه لاحقاً.

يرى أصحاب أسطورة "المحرقة" بأن النازيين قاموا بإبادة اليهود في أوروبا الشرقية خلال الحرب العالمية الثانية بواسطة أفران غازٍ كبيرة. وتمّ حرق ما يقارب 6 ملايين يهودي – أي ثُلث الشعب اليهودي آنذاك!

وتزعم الحركة الصهيونية العالمية أن قتْل اليهود ليس له مثيلٌ في التاريخ البشري، وأن قتلهم جاء في سياق برنامجٍ نازيٍ منهجي لإبادتهم.

غير أن المؤرّخين المراجعين كشفوا زيف هذه الأسطورة، وبالتالي بطلان الادّعاءات الصهيونية حول موت ملايين اليهود في غرف الغاز، مثلما تقدّم مؤسساتٌ يهودية، كمركز سيمون وايزنتال الصهيوني في الولايات المتحدة. وتكشف الحقائق التي يستند اليها المؤرّخون أن عشرات الآلاف من اليهود قضوا في الحرب العالمية الثانية؛ أي أنهم تعرّضوا للقتل مثلهم مثل غيرهم، في حربٍ كان عدد ضحاياها ما بين 45 و50 مليون قتيل، منهم 22 مليون سوفياتي، ما خلا الجرحى والمشوّهين والمعاقين.

وقد دفع بعض هؤلاء المؤرّخين أثماناً باهظة مقابل دحضهم لأسطورة المحرقة على الشكل الذي جاءت فيه، فتعرّضوا لعمليات اغتيال، وللطّرد من العمل ومن الجامعات ومراكز الأبحاث،

مع حملات تشهير واسعة واضطهادٍ سياسي؛ فقط لأنهم تجرؤوا على المسّ بهذه الأسطورة التي تُعتبر مبرّراً أساسياً لوجود الكيان الصهيوني ولسياساته الإجرامية ضدّ الشعوب الأخرى، لاسيّما الشعب الفلسطيني. وكلّ هذا الاضطهاد حصل في الغرب الذي يتشدّق بالديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان (والحيوان)، والذي يغطّي تدخّلاته في دول العالم الثالث تحت عناوين حفظ الديمقراطيات والدفاع عن الشعوب وما إلى ذلك.

وإذا ما افترضنا أن موضوع "الهولوكوست"، أو ما يسمّى بـ"المحرقة"، هو على درجةٍ عاليةٍ من الحساسية، إلاّ أنه من اللازم تحليله بشكلٍ موضوعي، بعيداً عن الترّهات والخرافات من أي جانب أتت، وذلك حرصاً على مصداقية الطّرح. وفي البداية، لا بدّ من الإشارة إلى مايلي:

أ – إن إثارة موضوع "المحرقة" بشكلٍ يومي وواسعٍ في وسائل الإعلام المحلّية (الإسرائيلية) والعالمية، رغم مرور أكثر من 55 عاماً على "الإبادة" المزعومة، يطرح أكثر من علامة استفهام. فهل أن اليهود ما زالوا متأثّرين على ما حصل في الماضي (ودائماً حسب زعمهم)؛ أم أن "إسرائيل" لا يهمّها الماضي على الإطلاق؛ وهي فقط تتلاعب بالحاضر؛ وإن الاعتراف بالمحرقة بالنسبة إليها يعادل الاعتراف بوجود "إسرائيل"، وليس فقط بحقّها في الوجود.

ب – إن المغالاة بشأن "المحرقة" وتضخيم ما جرى لليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، واعتبار ذلك "شيئاً فريداً من نوعه"، يبرّر للحركة الصهيونية تجاوزها الأعراف والقوانين الدولية والدينية والإنسانية، تحت حجّة أن أيّ جريمةٍ تُرتكب من قبلهم؛ بدء من دير ياسين وحتى قتل النساء والأطفال في مجازر صبرا وشاتيلا إلى مجزرة قطاع غزة، تُعتبر بسيطة قياساً بما تعرّض له اليهود من "ظلم" ومذابح!

ج – إن "المحرقة" هي بمثابة كنزٍ لا يفنى بالنسبة "لإسرائيل". فأموال التعويضات الأوروبية تُنعش وتقوّي وتدعم الكيان الصهيوني.

ولولا هذه التعويضات (التي تدخل خزينة الدولة ولا تُدفع لأهالي الضحايا المزعومين)، لما تمكّنت "إسرائيل" من أن تصل إلى ما وصلت إليه، من تفوّقٍ نوعيٍ عسكري في المنطقة حتى

وقتٍ ليس ببعيد (المعادلة الآن تغيّرت مع وجود ندٍ قوي لإسرائيل، أوجد معادلة توازن الرّعب معها. وطبعاً نقصد بهذا الندّ المقاومة الإسلامية في لبنان).

د - تُعتبر أسطورة "المحرقة" عملة ذات وجهين متناغمين مع بعضهما البعض. فمن جهة، هي تخدم وتساعد الكيان الصهيوني في نهجه الاستيطاني والإجرامي بحقّ الشعب الفلسطيني. ومن جهةٍ أخرى، هي تبرّر أو تساعد الغرب على مدّ الكيان الصهيوني بأحدث الأسلحة التدميرية للتكفير عن ذنبٍ ارتكبه بحقّ اليهود؛ وليمرّر مشاريعه التي لا تقلّ خطورة عن مشاريع الصهاينة في بلادنا العربية. وبالتالي، تشكّل المحرقة، في وقتٍ واحد، شمّاعة تبرّر كلّ جرائم العدوّ، وأداة لمحاصرة المجتمع الدولي، وبعض دوله الغربية تحديداً.

مصادر الهولوكوست

أثناء محاكم نورمبرغ التي أقامها الحلفاء المنتصرون لمحاكمة مجرمي الحرب الألمان، اعتمد اليهود على عدّة مصادر مكتوبةٍ وشفويةٍ في قضية الهولوكوست، والتي عُرفت بتقارير (شهود العيان) أو (الوثائق). وقد فصّل أصحاب هذا التقارير بعض تفاصيل الهولوكوست. إلاّ أن المؤرّخين والدارسين وأصحاب الاختصاص أثبتوا ضعف هذه التقارير ووجود أخطاء وتناقضاتٍ كثيرةٍ فيها.

أمّا عمدة هذه التقارير، فهو تقرير "كورت غيرشتاين"، وهو متطوّعٌ سابقٌ في الجيش الألماني سلّم نفسه للقوّات الفرنسية بعد هزيمة ألمانيا، وكتب اعترافاته بنفسه. وقد راعى بذلك ما يُرضي الحلفاء الذين أيّدوا ما يدّعيه "غيرشتاين"، وذلك لإثبات أن ألمانيا هي وحدها المسؤولة عن جرائم الحرب ولصرف أنظار العالم عن الجرائم التي ارتكبها الحلفاء أثناء تلك الحرب.

وقد أطلق الكتّاب اليهود على "غيرشتاين" لقب رجل الحقيقة، رغم كلّ الأكاذيب التي تضمّنتها اعترافاته، حيث ذكر أنه كلّف بحمل 260 طناً من غاز الزيلكون Zelkon؛ بينما في موضعٍ آخر يقول أن الكميّة هي 100 طنّ فقط، وأن الغاز استخدم لإبادة 60 ألف يهودي يومياً. وبناءً عليه، فإن عدد ضحايا اليهود يكون أكثر من 86 مليوناً خلال فترة الحرب العالمية الثانية!

ومن المصادر التي اعتمدت أيضاً في قضية الهولوكوست، إعترافاتٌ انتزعت من أصحابها انتزاعاً، كتقرير (رودولف هوسي) حاكم معسكر أوشفيتز الشهير الذي خضع لتعذيب شديدٍ وقاسي من قبل البريطانيين، فأدلى باعترافاتٍ لا قيمة قانونية لها، وذكر أماكن لا وجود لها على الأرض.

وكذلك، اعتمد تقرير (جوزف كرامر) حاكم معسكر شترانوف، الذي وجد مكتوباً على أحد جدران المعسكر. وقد تضمّن هذا التقرير أكذوبة في علم الكيمياء تُضاف إلى مجموع أكاذيبه، حيث ادّعى أنه شاهد إبادة الضحايا اليهود بواسطة إضافة كميةٍ معيّنةٍ من أملاح السيانيدريك إلى كميةٍ معّينةٍ من الماء، حيث ينتج عن ذلك غازٌ قاتلٌ سريع المفعول؛ وهذا علمياً كلامٌ غير صحيح.

إضافة إلى هذه التقارير، فقد استخدمت شهادات الجواسيس لصالح الحلفاء كمصادر للهولوكوست، كما جاء في شهادة الجاسوس البريطاني (هوتي) الذي ادّعى أن القائد الألماني أدولف إيخمان أخبره بأنه أباد ستّة ملايين يهودي خلال الحرب العالمية الثانية. ويبدو أن فكرة الـ 6 ملايين يهودي قد طرأت في أذهان الصهاينة بناءً على تصريح "حاييم وايزمن" أمام اللجنة الملكية البريطانية عام 1936م، حيث تساءل "ماذا سيحلّ بـ6 ملايين يهودي لو قامت الحرب"؟

وبهذا الشأن، يرى عالم الإحصاء اليهودي الأميركي "ليستويفيسكي" Yaviskey Lestio أن عدد اليهود الذين اختفوا من ألمانيا أثناء حكم هتلر يتراوح ما بين ثلاثمائة وخمسين ألفاً إلى خمسمائة ألف يهودي، وأن المبالغة بهذا الرقم وجعله ستّة ملايين "أمرٌ مخجل"، على حدّ قوله.

ثمن الهولوكوست

قد يتساءل البعض: لماذا "الهولوكوست" ضرورة أساسية في حياة الإسرائيليين؟ ما هو السبب؟ أو بالأحرى كم الثمن؟ الإجابة هي: إن أهمّ فائدة أو هدف حصلت عليه الدولة الصهيونية جرّاء أسطورة الهولوكوست كان "الهجرة اليهودية" إلى فلسطين، حيث دعم زعماء

الصهيونية هذه الهجرة بشتّى الوسائل. ووصل الأمر حدّ إبرام اتفاقاتٍ مع من يعتبرونهم معادين للسامية، فقامت المؤسسات والجمعيات اليهودية بمساعدة الراغبين في الهجرة إلى أرض "اللبن والعسل"، القادرين على الحرب والعمل من أجل تحقيق الهدف الأسمى؛ أي إنشاء "إسرائيل" التي سوف تجمع شتاتهم على أرض الرّسالات السماوية؛ وقد تحقّق لليهود ما أرادوا عام 1948. هذا هو الثمن الأوّل. أما الثمن الثاني، فهو معنوي؛ إذ من خلال الهولوكوست يكون اليهود أكثر الشعوب مظلومية على وجه الأرض. وبمعنىً آخر، الجرائم الإسرائيلية بحقّ شعبنا العربي الفلسطيني تصبح مبرّرة؛ بل أكثر من ذلك، سوف تحظى بالتعاطف والدعم المادّي والمعنوي من الدول الغربية والجمعيات الدولية.

وأيضاً، ثمنٌ ثالثٌ يُضاف، عبر الأموال التي تُدفع كتعويضاتٍ عن الهولوكوست (وفق اتفاقية التعويضات مع جمهورية ألمانيا الاتحادية عام 1951). وهذه من أغرب الاتفاقات، لأنها تمّت بين دولتين ليس بينهما أيّ تمثيلٍ دبلوماسي. كما أنها حصلت بين حكومتين لم تكن إحداها قد ولدت (إسرائيل)، فيما لم تكن الأخرى (ألمانيا) قد تكوّنت بشكلها الحالي عند وقوع "الحادث" الذي استوجب التعويض. هذه الأموال تُدفع "لإسرائيل" – وهي الوارث لمن لا وارث له من اليهود – وهي تسهم بشكلٍ كبيرٍ في بناء الأسس القوية للدولة العبرية، إضافة إلى التعويضات التي تشمل معدّاتٍ حربية وسلع ومنتجات وحتى تعويضات بشرية، تتمثّل في مشاركة العمّال والعلماء الألمان ببناء الموانئ البحرية والمطارات والسكك الحديدية وتجهيز المعاهد العلمية ومعاهد الأبحاث البيولوجية ومفاعلات الطاقة النووية. وبذلك، تكون التعويضات مقابل الآلام، ممّا يعني إلغاء البعد الأخلاقي في هذه القضية، لتصبح (الهولوكوست) آلية نفعية مادّية بحت. وفي هذا السياق، تندرج الإدانة الشديدة التي كان قد وجّهها الكاتب اليهودي الأميركي (د. نورمان فنكلشتاين)، والذي تحدّث في كتابه "صناعة الهولوكوست" عن أنه "متيقّنٌ أن الهدف الأساسي لليهود من خلال تأكيدهم المستمرّ للهولوكوست هو الحصول على مزيدٍ من الأرباح والمنافع المادّية". ويضيف "إن صناعة الهولوكوست هي أكبر السرقات في التاريخ البشري، تدعمها وسائل إعلام خسيسة ومخادعة مهمّتها الأساسية تزوير التاريخ ونهب القبور".

تنقيح الهولوكوست

إن أسطورة المحرقة تقوم على أسسٍ ثلاثة هي:

1- الإبادة المتعمّدة لليهود والجماعية بشكلٍ لا مثيل له في التاريخ.

2- مقتل 6 ملايين يهودي في هذه "المحرقة".

3- وجود غرف غازٍ كبيرةٍ لحرق اليهود.

وإذا استعملنا المنطق العملي، فإن دحض أيٍ من هذه الادّعاءات وثبوت عدم مصداقيتها يؤدّي حتمياً إلى بطلان الأسطورة بالكامل. وهذا ما فعله المؤرّخون.

الإبادة الجماعية

في البدء، لا بدّ من الإشارة إلى أنه أثناء الحرب العالمية الثانية حصل اجتماعٌ للقيادة الألمانية في 20 كانون الأوّل 1942، من أجل دراسة أوضاع اليهود الذين ظهر أن عدداً كبيراً منهم يتعامل مع أعداء ألمانيا. فتمّ اقتراح إلزامية الهجرة لليهود؛ وحتى أن البعض اقترح إحداث كيانٍ نوعي لهم. ولا يوجد بين الوثائق ما يشير لإبادة اليهود في ذلك الاجتماع، في حين تشير الحقائق إلى وجود تعاونٍ صهيوني – ألماني لتهجير اليهود من أجل إنشاء "إسرائيل". وفي إطار تفنيد الهولوكوست، نلاحظ التالي:

1 – لقد ثبت عند المؤرّخين الذين تولّوا متابعة قضية الهولوكوست أن الحكومة النازية لم تكن لها سياسة متعمّدة لاستهداف اليهود تحديداً. ودليل ذلك عمليات الإبادة التي تعرّض لها الغجر والبولنديون، وحتّى بعض الألمان وغيرهم، من قِبل النازيين.

كما أن الإبادة عند الألمان لم تكن موجّهة إلى جنسٍ بعينه، بل لخدمة مصالح الدولة النازية، بدليل أن "الفيلد مارشال" أبرهارد ميلخ الذي كان نصف يهودي، كان يشغل منصب نائب هرمان غورنغ، قائد السلاح الجوّي الألماني والخلف المختار لهتلر.

إضافة إلى أن هتلر كان فخوراً بعرقه الآريّ، وكان يرى أنه أرقى وأنقى الأجناس؛ لذا، يجب

أن يحكم العالم (نفس فكرة اليهود - شعب الله المختار). من هنا، أعلن هتلر الحرب واعتقل كلّ من يمكن أن يقف في طريقه، وأبرزهم الشيوعيون الذين وضع أمر إفنائهم في قمّة أولويّاته. يُضاف إلى ذلك الليبراليون الذين عارضوا هتلر في كافّة الأمور فصنّفهم أعداء له، كما المعارضين من الألمان، وقد نكّل بهم رغم أنهم من العرق الآريّ؛ وهذا كان حال الغجر والبولنديين. وأخيراً، هناك اليهود الذين اعتبرهم هتلر السبب في هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بسبب تجسّسهم لصالح أعدائه واحتكارهم وهيمنتهم الاقتصادية. وعليه، فإن حربه لم تكن على الجنس السامي اليهودي، بل على كلّ من سياساته يعترض سياسة هتلر. نعم، كان هناك اضطهادٌ في ألمانيا؛ لكنّه كان كأيّ دولةٍ في حالة حرب. وما فعلته إنجلترا بالهند ليس بأقلّ ضراوة.

هذا من جهة. ومن جهةٍ ثانية، وبمراجعةٍ دقيقةٍ لتاريخ الحقبة النازية، نجد أن هذه النازية قد خدمت اليهودية كثيراً. وأكثر المتنفّذين في السلطة النازية كانوا من اليهود، والذين كانت لهم اليد الطولى في تهجير أبناء جلدتهم. والسبب في ذلك رفض الكثير من اليهود ترك أوطانهم القومية والانتقال إلى البلد الجديد الذي أسّسته الصهيونية، خاصّة وأن أعمال هؤلاء ووظائفهم في أوروبا كانت أكثر من جيّدة، وإسرائيل كانت بمثابة مجهولٍ بالنسبة لهم. وهذا ما دعا المتنفّذين في الداخلية النازية في ذلك الوقت إلى تخويف اليهود في أوروبا، وطردهم من وظائفهم ومدارسهم وإغلاق محالّهم واعتقال أعدادٍ كبيرةٍ منهم، لتبدأ الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وحتى يكتمل التجمّع اليهودي اللازم لتشكيل أمّةٍ قائمةٍ بذاتها.

2 - أكذوبة الـ6 ملايين ضحية

في فيلم أخرجه الفرنسي آلان رينيه عام 1955، بعنوان "الليل والضباب"، ورد أنه تمّت إبادة 9 ملايين يهودي في "محرقة" هتلر. أما وثائق الحرب، فتفيد أن 8 ملايين يهودي قضوا جرّاء ذلك، فيما يصل العدد إلى 4 ملايين حسب تقرير الاتحاد السوفياتي المقدّم لمحاكم نورمبرغ الشهيرة؛ ثمّ إلى 50 ألفاً حسب اليهودي "راؤول هيلبرغ". أما المفكّر الفرنسي المستشرق روجيه غارودي، فيقول: "بعد هذا التضارب الصارخ، كيف يمكن أن نصل إلى الحقيقة"؟

في كتابه (صناعة الهولوكوست)، يتحدّث الكاتب الأميركي اليهودي نورمان فنكلشتاين

عن التلاعب بأرقام الناجين من ما يسمّى المحرقة. كما تمّ التلاعب بأرقام القتلى، وذلك بغرض المطالبة بمزيدٍ من التعويضات، حيث "بدأ الكثيرون يتقمّصون دور الضحية". ثمّ يعلّق ساخراً: لا أبالغ إذا قلت أن واحداً من كلّ ثلاثة يهود ممّن تراهم في شوارع نيويورك سيدّعي أنه من الناجين".

ويضيف: منذ 1993، ادّعى القائمون على هذه الصناعة أن 10 آلاف ممّن نجوا من الهولوكوست يموتون كلّ شهر؛ وهو أمرٌ مستحيل، لأنه يعني أن هناك 8 ملايين شخص نجوا من الهولوكوست عام 1945 وبقوا على قيد الحياة. بينما تؤكّد الوثائق أن كلّ اليهود الذين عاشوا على الأراضي الأوروبية التي احتلّها النازيون عند نشوب الحرب لا يزيد عن سبعة ملايين".

ولا ينتهي الأمر هنا. بل يلاحظ "فنكلشتاين" أن متحف إحياء ذكرى الإبادة النازية" في واشنطن -على سبيل المثال- يمرّ مرور الكرام على موضوع المذابح الجماعية التي ارتكبتها النازية بحقّ الغجر والسلافيين والمعاقين والمعارضين السياسيين والمجانين الألمان.

ويختتم: "إن موضوع الإبادة النازية لليهود لم يصبح راسخاً في العقل الأميركي وفي حياته إلاّ بعد حرب 1967 بين العرب و"إسرائيل". أمّا قبل ذلك التاريخ، فكانت المؤسسات اليهودية تقلّل من شأن الإبادة النازية، وذلك تمشّياً مع متطلّبات الحرب الباردة التي كانت تتطلّب تأييد فكرة إعادة تسليح ألمانيا؛ بل وتجنيد أعدادٍ كبيرةٍ من الجنود السابقين في "قوّات الأمن" الخاصّة للنظام النازي".

أمّا دايفيد إيرفينغ، فيقول: "اليهود لديهم مشكلة حول الوصول إلى ستّة ملايين إسم.

هناك نصبٌ تذكاريٌ اسمه في إسرائيل (ياد فاشيم) لوضع قائمةٍ بأسماء ستّة ملايين. ولم ينجحوا في الحصول إلاّ على حوالي مليونين أو ثلاثة ملايين، وتوقّفوا عند ذلك".

"هذا هو مدى الأسطورة - يتابع "إيرفينغ" - ستّة ملايين ماتوا في المحرقة. إن هتلر أمر بذلك، أو أنهم قُتلوا في غرف الغاز. ولكنّنا لم نجد وثيقة واحدة تُثبت أن هتلر أصدر الأمر بذلك. والرقم ستّة ملايين مثيرٌ للشك".

وبنفس هذا المنطق، يتحدّث الباحثان البريطانيان (ريتشارد هارد وود والمؤرّخ الفرنسي بول

راسينر Paul Raciner)، حيث يتّفقان بأن عدد اليهود لم يكن يتجاوز 3 ملايين في كلّ أوروبا، وخاصّة في غربها أو المنطقة الواقعة تحت سيطرة ألمانيا النازية.

والسؤال الذي نطرحه هنا: هل مات 6 ملايين يهودي أثناء الحكم النازي لألمانيا؟ سوف نرى:

1 - في عام 1938، كان تعداد اليهود في أوروبا ستّة ملايين ونصف يهودي.

2 - بين عامي 1933 - 1943، هاجر مليون ونصف يهودي إلى بريطانيا والسويد والولايات المتحدة وفلسطين والصين والهند. وهكذا يصبح العدد خمسة ملايين.

3 - هاجر 400 ألف يهودي من ألمانيا قبيل وأثناء الحرب. وكذلك هاجر 480 ألف آخرين من النمسا وتشيكوسلوفاكيا. وبذلك يصبح العدد أربعة ملايين ومائة وعشرين ألف يهودي.

4 - هاجر مليونا يهودي من أنحاء أوروبا إلى الاتحاد السوفياتي فراراً من الحرب. وهكذا كان مليوان ومائة وعشرين ألف يهودي تقريباً في أوروبا أثناء الحرب. فهل يُعقل أن يكون هتلر قد أبادهم جميعاً[3]؟

هذا في أوروبا؛ أما في العالم ككلّ، فقد كان عدد اليهود عام 1938، 16.5 مليون يهودي. وفي العام 1948، كان تعدادهم 18.5 مليون. وإذا كان هتلر قد أباد ملايين ستّة، فهذا يعني أنهم كانوا عشرة ملايين فقط؛ ولا يمكن أن تصبح الملايين العشرة 18 مليوناً في غضون عشر سنوات، بأيّ قانونٍ من قوانين التكاثر، الأمر الذي ينفي فرضيّة قتل 6 ملايين يهودي في ما يسمّى "الهولوكوست".

والجدير ذكره، أن الباحث الفرنسي بول راسينر Paul Raciner كشف في كتابه
" The Drama of The European "Jews
بأن عدد اليهود لم يتجاوز العشرين ألفاً ضمن المعتقلات النازية التي كان الكاتب أحد أسراها الموجودين هناك[4].

---

(3) كتاب.

(DID six Million Realy Die? Richard Verall).

(4) موقع-ساحات الطيران العربي على شبكة الإنترنت.

أما مدير قسم الهولوكوست في معهد دراسات اليهود في العصر الحديث، التّابع للجامعة العبرية، المؤرّخ الإسرائيلي "يهودا باور"، فقد أثبت أن رقم ستّة ملايين لا أساس له من الصحّة؛ بل إنه أقلّ بكثير. وهو استدلّ على ذلك بأن عدد ضحايا معتقل أوشفيتز بلغ حوالى 1.6 مليون شخص من اليهود وغير اليهود؛ ومعظم هؤلاء ماتوا بسبب الجوع والتعذيب والتيفوئيد.

بدوره، تحدّث المؤرّخ "راؤول هيلبرغ" عن أن عدد ضحايا اليهود كان مليوناً و250 ألف شخص فقط، وأن الرقم ستّة ملايين أكذوبة كبيرة[5].

ويؤكّد القاضي الأميركي "ستيفن بيتر"، الذي زار موقع داخاو (معقل نازي) لمعاينة المعتقلات، أن عدد ضحايا النازية من اليهود لن يصل أبداً إلى المليون. أما في فرنسا، فقد أكّد مدير معهد التاريخ المعاصر التابع للهيئة الوطنية للبحث العلمي في باريس "فرانسوا بيداريدا"، أن عدد ضحايا اليهود لا يقلّ عن 900 ألف ولن يزيد عن مليون و200 ألف.

3 - أفران الغاز

لقد فنّد العلماء الكيماويون مزاعم الحركة الصهيونية بالنسبة لحرق اليهود في الأفران النازية الهتلرية. وأوّل من فنّد هذه المزاعم كان (روبير فيرسون)، وهو أستاذ في جامعة ليون الفرنسية، حيث بحث لمدّة عشرين عاماً وقام بعدّة جولاتٍ ميدانيةٍ داخل معسكرات الاعتقال النازية، كمعسكر أوشفيتز في بولندا ومعسكر (داخوا) وغيرهما من المعسكرات التي كان يُحشر فيها المعتقلون.

يقول "فوريسون" الذي تعرّض 4 مرّات لمحاولات اغتيال "أن أسطورة غرف الغاز النازية كانت قد ماتت يوم 1979/2/21 على صفحات جريدة اللوموند عندما كشف 34 مؤرّخاً فرنسياً عجزهم عن قبول التحدّي بصدد الاستحالة التقنية لهذه المسالخ الكيميائية السخيفة". ويضيف: "خلال التاريخ، عرفت الإنسانية مائة محرقةٍ حافلةٍ بخسائر رهيبةٍ بالأرواح وكوارث دموية. ولكنّ معاصرينا تعوّدوا أن يتذكّروا واحدة فقط؛ "محرقة اليهود"؛ حتى أصبحت كلمة

(5) (راؤول هيلبرغ) كتاب (القضاء على يهود أوروبا)، 1985.

محرقة تخصّ اليهود فقط دونما حاجة إلى القول "محرقة اليهود". ولم تؤدّ أية محرقةٍ سابقةٍ إلى دفع تعويضاتٍ مادّيةٍ تشبه تلك التي طلبها ونالها اليهود لقاء كارثة الشواه التي يصفونها بأنها فريدةٌ من نوعها وغير مسبوقة؛ الأمر الذي كان يمكن أن يكون صحيحاً لو كانت العناصر الثلاثة (الإبادة المزعومة لليهود، غرف الغاز النازية المزعومة، والملايين الستّة من الضحايا اليهود المزعومين حقيقة).

ثمّ يتابع: لقد ذهبتُ إلى هذه المعسكرات؛ ولم أر إلاّ فرناً واحداً لا يتّسع إلاّ لجثّةٍ واحدة. كانت تحرق فيه الجثث المصابة بالتيفوئيد لئلاّ ينتشر المرض بين الناس.

وقد نشر فوريسون كتاباً بهذا الشأن؛ وبسبب ذلك تمّ طرده من جامعته، وقدّم للمحاكمة في إحدى محاكم باريس، حيث نقلت إذاعة أوروبا (رقم واحد) وقائع محاكمته. لقد سمعته كلّ أوروبا والعالم، وسجّل في كتابه كلمة هامّة قال فيها: "إن الذي دفع ثمن هذه الكذبة الكبيرة هي ألمانيا التي دفعت المليارات من الدولارات لليهود، ولدولة "إسرائيل" المصطنعة، من أموالها وعلى حساب اقتصادها الذي كان مُنهكاً بعد الحرب العالمية الثانية؛ أو بصورةٍ أدقّ، بعد هزيمتها، دفع الشعب العربي الفلسطيني ثمناً غالياً؛ دفع وطنه بعد غزو اليهود لفلسطين وبناء دولةٍ على أنقاض هذه الكذبة الكبيرة البشعة، بالتنسيق مع الغرب الأوروبي وأميركا".

ويضيف: "لم يتمكّن أحدٌ في معسكر اعتقال أوشفيتز أو في أيّ مكانٍ آخر، أن يرينا عيّنة واحدة من هذه المسالخ الكيميائية. ولم يستطع أحدٌ أن يصف لنا شكلها الدقيق وطرق تشغيلها. ولا توجد وثيقةٌ واحدة، ولا دراسةٌ واحدة، ولا تصميمٌ واحدٌ لها. لا شيء سوى دلائل عرضيّة مثيرة للشفقة. وعلى حدّ قول المؤرّخ الفرنسي إريك كونان "إن كلّ شيءٍ مزيّف".

وفي المجال ذاته، تكشف المذكّرات الشخصية للأسرى الذين نجوا من المعتقلات النازية، بأن جميع الأسرى من اليهود وغير اليهود كانوا في هذه المعسكرات كأيدٍ عاملةٍ بدل العامل الألماني الذي يقاتل على الجبهة. لقد كان العمل في شتّى المجالات: صناعة الخيام، غسيل ملابس الجنود، الطبخ، صناعة الأحذية، وحياكة الملابس.

وفي كتابه "الأساطير المؤسّسة للسياسة الإسرائيلية"، يقول المفكّر الفرنسي "روجيه غارودي" إن محاكم نورمبرغ أجبرت رودولف هس، قائد معسكر أوشفيتز الأسبق، بعد التعذيب الشرس على التوقيع على شهادةٍ لا يعرف محتواها؛ لكنّها تتضمّن اعترافات بأن هتلر النازيّ أحرق اليهود في أفران الغاز بوضع غاز (زيلكون B) القاتل الذي يعمل على الحرق والإذابة الجسدية.

وتشير الدراسات إلى أن استخدام (زيلكون B) يتطلّب احتياطاتٍ فنّية مُكلفة للغاية. وهو ما يعني استحالة استخدامه على نطاقٍ واسعٍ إبّان الحرب، في ظلّ ظروفٍ قاسيةٍ وصعبة كانت تعيشها ألمانيا. وفي ذلك، يقول العالم الكيميائي الألماني "غير مار رودلف" الذي أثبت من خلال دراسةٍ له أن الغاز الذي يُفترض أن يكون قد استخدِم لإبادة اليهود والذي يجب أن تبقى له آثار على مدى قرونٍ في التربة، يقول أنه لم يعثر على أيّ أثرٍ في معسكرات الاعتقال لغاز (زيلكون B) على الإطلاق، ممّا ينفي احتمال استخدامه.

أما مدير قسم الهولوكوست في معهد دراسات اليهود في العصر الحديث، التّابع للجامعة العبرية، المؤرِّخ الإسرائيلي "يهودا باور"، فيؤكّد بأن اليهود ماتوا بسبب الجوع والمرض والتعذيب والانتحار، وليس بسبب أفران الغاز النازية.

ويعتبر الباحث "هنري روكيه" أن "أفران الغاز النازية غير موجودةٍ إلاّ في خيال اليهود". وبسبب موقفه هذا، ألغت الحكومة الفرنسية في سابقةٍ ليس لها مثيل في تاريخ الجامعات الفرنسية، قرار لجنة الدكاترة التي منحت هذا الباحث درجة الدكتوراة بجامعة تانت بفرنسا وسحبت منه الدرجة العلمية.

وعندما سئِل "هنري روكيه" عن تأكّده بعدم وجود غرف غازٍ إبادية، أجاب: هناك خلطٌ يقع فيه الكثيرون، حيث يوجد فرقٌ بين المحارق وغرف الغاز. من الثابت أن المحارق كانت موجودة في جميع المعسكرات النازية؛ لكنّ هذه المحارق كانت منتشرة في كلّ دول شمال أوروبا التي تعتنق البروتستانية. وقد كانت المحارق تُستخدم بالفعل في معكسرات الألمان، حيث كانت تُحرق فيها جثث الأموات المسجونين والضبّاط الألمان. كما أنه هناك سببٌ غاية في الأهميّة لوجود

المحارق في المعتقلات ذات التجمّعات البشرية الضخمة، وهو الناحية الصحّية. فقد كان هاجس الألمان عدم انتشار الأوبئة؛ وكانت هناك بالفعل أمراض وبائية مثل التيفوس والتيفوئيد والملاريا تهاجم بعض المعسكرات. وكانت عملية حرق الجثث أفضل وسيلة لمنع انتشار تلك الأوبئة.

إضافة إلى ذلك، يتابع "روكيه"، فإن غرف الغاز المشكوك في أمرها وفي أنها كانت تُستخدم للقتل، هي من أجل تطهير الأوراق الشخصية والملابس من الجراثيم، حيث كان الجنود الألمان العائدون من الجبهة الروسية يتوقّفون في أماكن تجمّع محدّدة، حيث تُدخل ملابسهم وأغراضهم الشخصية إلى غرف الغاز خوفاً من الأمراض.

والمعلوم أنه لحرق جثّة واحدة يلزم الأمر ساعتان كاملتان. فكيف يمكن حرق ستّة ملايين يهودي خلال فترة الحرب!

وفي الإطار ذاته، يقول المؤرّخ "ديفيد إيرفينغ": لا دليل علمياً على ما يدّعيه اليهود والغرب بشأن غرف الغاز".

أما الباحث الدكتور "كوبوفي"، من مركز تل أبيب للتوثيق، فيؤكّد عدم مصداقية الهولوكوست وعدم وجود أفران غاز بالأساس. وهو قال عام 1960: "إن اليهود ماتوا بسبب الحرب والأمراض، وليس داخل غرف الغاز".

وفي عام 1981، أعلن اليهودي "لاكور" في دراسة له في باريس أنه "لا توجد أية أفران غاز في ألمانيا لحرق اليهود".

من جهته، سخر الفرنسي "لويس فرديناند سالين" من غرف الغاز بقوله (غرف الغاز السحرية) غير موجودة.

أما البروفيسور في الهندسة الأميركي (آرثر بوتز)، الذي وضع كتاباً حول الموضوع، فقد تحدّث عن "الاستحالة الهندسية لغرف الغاز".

وهكذا يتّضح أن الأركان الثلاثة التي قامت عليها أسطورة الهولوكوست غير صحيحة على الإطلاق، ممّا يعني، منطقياً وعملياً، إنهيار هذه الأسطورة من أساسها.

ضحايا عرب داخل المعسكرات النازية

إن نتائج الأبحاث التي قام بها المستشرق الألماني البروفيسور (غيرهرد هب)، والمتعلّقة بوجود ضحايا عرب ضمن معسكرات الاعتقال النازية، تشكّل أمراً غير ملحوظ بالنسبة للمجتمعات العربية. وكان مركز دراسات الشرق في برلين وأكاديمية العلوم الألمانية قد نشرا بالتعاون مع دار نشر عربية "قدمس للنشر" في بيروت كتاباً بعنوان "العرب في المحرقة النازية – ضحايا منسيّون؛ بالإضافة إلى مؤلّف جماعي باللغة الألمانية بإشراف "غيرهرد هب" عنوانه "عمى التاريخ"

Blind Fur die Geschichte.

التعاون الصهيوني-النازي:

إن الادّعاء بأن الحركة الصهيونية قامت لإنقاذ اليهود من براثن النازية هو ادّعاءٌ كاذب، وصورةٌ بغيضةٌ من صور تشويه الحقيقة. والمعروف أن الصهيونية بدأت قبل عدّة عقودٍ من ظهور النازية؛ فكيف تكون الصهيونية نتاجاً للنازية أو سبباً لوجودها؟!

إن الحركة الصهيونية استخدمت الشعب اليهودي لتحقيق مشروعها فقط، وليس لإنقاذ اليهود كما تزعم. وهناك العديد من الأدبيات اليهودية التي توجّه الاتهام للحركة الصهيونية التي أدارت ظهرها "لمعاناة" اليهود في العالم، ووجّهت كلّ طاقاتها وأموالها لإنجاز مشروع الاستيطان والاستيلاء على الأراضي العربية.

وفي هذا الإطار، يصبّ التصريح الجريء "لناحوم غولدمان"، رئيس الكونغرس اليهودي العالمي، لصحيفة دافار "الإسرائيلية" في 22/ نيسان 1964، بقوله (لا شكّ أن التاريخ سيحكم على جيل الكارثة الذي عاش في بلادٍ حرّةٍ بأنه مذنب... سيتّهمه بأنه لم يتصدّ لمحاولات الإبادة...لا شكّ لديّ بأنه كان بإمكاننا إنقاذ عشرات الألوف. لكنّنا لم نفعل ذلك".

وفي كتاب The Holocaust victims accuse "ضحايا الكارثة يتّهمون"، يقتبس المؤلّف الرّابي موشي شونفيلد Moshe shon Feld، قولاً لأحد قادة الصهاينة "يتسحاق

غرينباوم"، خلال اجتماع للحركة الصهيونية في تل أبيب، في شباط 1943: "عندما جاؤوا إلينا بخطّتين: إنقاذ الجماهير اليهودية في أوروبا أو تحرير الأرض، أعطيتُ صوتي بدون أيّ تفكير لأجلِ إنقاذ الأرض. كلّما زاد الحديث عن ذبح شعبنا، كلّما تقلّص جُهدنا لتهويد الأرض. لو كان بالإمكان اليوم شراء رزم طعامٍ بأموال الكيرن هيسود لإرسالها إلى لشبونة. هل سنفعل ذلك؟ لا.."[6].

أما الكاتبة "ليز ليفيدو"، فقد نشرت في الإنترنت مقالتها الشهيرة تحت عنوان Levidow JuneK 1998 التي تصف فيها كيف تعاونت الصهيونية مع اللاساميين في أوروبا من أجل تهجير اليهود لإسرائيل، وكيف انسجمت هذه الحركة مع "اليهودي - الأوروبي" ومع نمط الدولة الغربية، وقمعت الهويات الثقافية ليهود أوروبا الشرقية واليهود القادمين من الدول العربية، كيهود اليمن والجزائر والمغرب والعراق وتونس إلخ... بهدف خلق هوية "اليهودي الجديد".(1998 Levidow).

وتقتبس الكاتبة أحاديث وتصاريح لكبار القادة الصهاينة، ومنهم بن غوريون وحاييم فايتسمان، من الذين أبدوا تحفّظهم على اليهود الشرقيين وعبّروا عن تحقيرهم لهم، مقابل إعجابهم الشديد باليهودي الغربي. وتؤكّد الكاتبة أن الصهيونية العالمية سعت بكّل جهودها لتأمين هجرة يهود الدول العربية، فقط بسبب جفاف موجات الهجرة الغربية في بداية 1950، في وقتٍ كانت الصهيونية بحاجةٍ إلى المزيد من اليهود لتكوين وطنٍ قومي لهم. ورغماً عن ذلك، فقد ألقِي بهؤلاء في مستوطناتٍ خطرةٍ على الحدود، وتمّ تشغيلهم في أعمالٍ وضيعة.

هذه المواقف والأراء تدحض مقولة الحركة الصهيونية بأن وجودها كان لإنقاذ اليهود من الكارثة، وتبيّن أن هدفها الحقيقي هو ترويج مشروعها العالمي، ولفئةٍ محدّدةٍ فقط من اليهود. ومن هنا، كان من مصلحة الصهيونية تطوير "البارانويا" لإقناع اليهود والعالم بأسره بوجود ما يسمّى بمعاداة السامية وكشف خططٍ وهميةٍ لتصفية اليهود أينما وجدوا وحلّوا؛ وكلّ ذلك لترويج المشروع الصهيوني العنصري في المنطقة العربية والإسلامية.

(6) المصدر: Shonfeld. M. (1977) The Holocaust victims accuse (p. 26) Brooklyn. Ny. Neturelkarta of U.S.A.

البارانويا اليهودية

هي مرضٌ نفسيٌ يتميّز بنسب نوايا عدوانيةٍ للآخر، تجعل المريض يخاف ويحذر من الآخرين، معتقداً أنهم يتآمرون عليه ويلاحقونه لأنه الأفضل.

وتُعتبر البارانويا آليّة نفسية غير واعية، تتضمّن إسقاط عدوانية المريض على الآخر وتعميمها وتطويرها. وهي تهدف إلى إخفاء عدوانية المريض من جهة، ورفع ثقته بنفسه من جهةٍ أخرى. والبارانويا لا تقتصر على المرضى النفسيين؛ وإنما تصل إلى الجمهور العادي، بحيث يخلق الأفراد والجمهور البانورايا بشكلٍ غير واعٍ لأهدافٍ عدّة[7].

ولا يؤمن البروفيسور "فردريك توبن"، المحقّق الألماني وعضو نهضة التجديد الأوروبية، بوجود عداءٍ بين النازية واليهود، لا سياسياً ولا فكرياً ولا فلسفياً. ويقول: "لا يوجد ثمّة برهان تاريخي علمي يُثبت ذلك. بل وبالعكس من ذلك، فهناك "قرائن تدلّ على قيام تعاونٍ بين اليهود والنازيين".

بدون هتلر... ربما لم تقم إسرائيل:

تؤكّد الوثائق العائدة إلى فترة الحرب العالمية الثانية، أن الحركة الصهيونية تعاونت مع ألمانيا النازية لحمل اليهود على الهجرة من دول أوروبا باتجاه أرض فلسطين، من أجل تأسيس وطنٍ قوميٍ لليهود يجمع شتاتهم. وقد سهّلت البنوك الألمانية تسريب أموال اليهود الألمان إلى بنوكٍ يهوديةٍ في فلسطين. حينها، كان لا بدّ من عملٍ ما يعجّل خطوات ترحيل اليهود باتجاه فلسطين، فنشرت الحركة الصهيونية مصطلح معاداة السامية في معظم دول أوروبا وشمال أفريقيا، وشجّعت الأعمال الإرهابية ضدّ اليهود من أجل إقناعهم وحثّهم على الهجرة خارج البلاد التي يستوطنون فيها.

وفي هذا الإطار، يتحدّث "دايفيد إيرفينغ"، الكاتب اليهودي الذي اضطّهدته الصهيونية، عن أن "هناك ملاحظة عن التاريخ الأوّل للنازيين. إن المستشار الألماني "برونغ" كتب في يوميّاته

(7) د. مروان موبري. عامل الخوف والشعور بالعنف في السياسة الإسرائيلية.

أن يهوداً قدّموا أموالاً لتمويل الحزب النازي في ألمانيا". ويتابع: هناك ما يُثبت أن اليهود قاموا بالتضحية بالمسنّين منهم، وإغراء النازيين بحرقهم في سبيل استدرار عطف العالم بعد ذلك لإقامة وطنٍ لهم في فلسطين".

وممّا قاله "إيرفينغ" أيضاً: "لو نظرت إلى اليهود المجريين، ستجد أن قادتهم حاولوا التوصّل إلى معاهدةٍ مع أدولف إيخمان، بموجبها - لو وافق الأخير - يتمّ تشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، فسوف يساعدونه على الإمساك ببقيّة اليهود وإرسالهم إلى فلسطين. وهناك دليلٌ على ذلك في الأرشيف الألماني".

ويختم: "إن إيخمان زار فلسطين عام 1937، وقام بالتفاوض مع زعماء الصهاينة. لقد كان هتلر أهمّ أصدقاء اليهود؛ فبدون هتلر لم تقم إسرائيل".

اتفاقية الهافارا:

في 30 يناير من عام 1933، وصل هتلر إلى السلطة. وفي 21 حزيران 1933، حصلت حادثة مهمّة: لقد ذهب أحد كبار الضبّاط النازيين في رحلةٍ إلى فلسطين مع زوجته وشخصٍ يهوديٍ وزوجته. وهذه الرّحلة اشتهرت بـ(Mangelston Lar Natch). في 7 آب 1933، وقّعت اتفاقية الهافارا. وهذه الاتفاقية التي يعتّم عليها الإعلام والباحثون، ويخاف منها اليهود، كانت اتفاقية اقتصادية. وقد استمرّ العمل فيها حتى عام 1942 لتهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين[8].

كان اقتراح مدير شركة الاستيطان بأن يُفكّ الحصار عن ألمانيا، والذي كان مفروضاً من قِبل الدول الأوروبية، مقابل أن يودع اليهودي الذي يريد الهجرة إلى فلسطين أمواله في بنكٍ في ألمانيا. وهذا البنك يشتري بالأموال آلاتٍ زراعية وأخرى عسكرية ومعدّات، ويُرسلها إلى فلسطين؛ عندها يأتي المزارع ويستعيد ثمنها من بنكٍ في فلسطين. وكلمة "هافارا" تعني الترانسفير. عندما وصل الطرفان إلى المرحلة النهائية للتوقيع على الاتفاق، إحتجّت المنظمة الصهيونية،

(8) موقع مصر اون لاين على شبكة الإنترنت.

لأن الاتفاق حصل مع شركةٍ خاصّة. فعاد (هيدرغ) الألماني، ودعا مسؤول المنظمة الصهيونية العالمية مع رئيس الشركة الخاصّة التي كانت عرضت مع (حاييم أورلوزوروف) المرسل من قِبل بن غوريون خصّيصاً لهذه المهمّة. وتمّ الاتفاق بين أربعة مسؤولين صهاينة واثنين ألمان. وقد وقّع الاتفاق في برلين. وبمقتضى هذا الاتفاق، وضعت الرساميل اليهودية في البنوك الألمانية، ونقلت هذه الرّساميل إلى فلسطين.

وفي شهر تشرين الأوّل من عام 1933، جرى افتتاح خطٍ مباشرٍ بين هامبورغ وحيفا، بإشراف حاخاميّة هابورغ. وفي سنة 1935، تصدّرت صحيفة الأجهزة السرّية الألمانية افتتاحيّة تقول: "لم يعد بعيداً الوقت الذي تُصبح فيه فلسطين قادرة على استقبال أبنائها الذين فُصلوا عنها منذ أكثر من ألف عام ترافقهم تمنّياتهم الطيّبة"!

وقد ظلّ خطّ هامبورغ - حيفا يعمل حتى سنة 1942.

بن هيكث - الخيانة

في كتابه الذي يحمل عنوان "الخيانة"، يقول بن هيكث بأن مئات الألوف من اليهود كانوا يُجمعون في الغيتوات تمهيداً لإرسالهم إلى معسكرات الاعتقال، دون أن يعرفوا ما ينتظرهم. ولم تكن الحركة الصهيونية تهتمّ سوى بنخبةٍ مختارةٍ من اليهود. وفي الوقت الذي كانت تفشل في إدخال هذه النّخب إلى فلسطين، فإنها كانت تحكم عليهم بالموت، ثمّ تقوم بشنّ الحملات الإعلامية للمتاجرة بدماء من قتلتهم. أما المثال الواضح على ذلك، فهو ما حدث للباخرة "باتريا" عام 1942، والتي وصلت إلى ميناء حيفا وهي محمّلة بمئات المهاجرين اليهود؛ لكنّ السلطات البريطانية لم تسمح للرّكاب بالنزول، وعرضت عليهم الذهاب إلى مدغشقر. عندها، قام الصهاينة بنسف الباخرة بمن فيها؛ وأعقبوا هذه الجريمة بحملةٍ دعائيةٍ واسعةٍ ادّعت بأن ركّاب الباخرة قد نفّذوا انتحاراً جماعياً لتفضيلهم الموت على مفارقة الوطن (أسطورة المسادا). ويقول بن هيكث أن الصهيونيين فعلوا نفس الشيء بالباخرة "سترومي".

مذكرات رودلف فربا

رودلف فربا هو أحد الفارّين من معتقل أوشفيتز النازي. وقد نشر مذكّراته في عام 1961

في جريدة "لندن دايلي هيرالد". وفي هذه المذكّرات، يفضح فربا قادة الصهاينة لتواطئهم مع النازيين ضدّ اليهود. وممّا يقوله فربا: "أنا يهودي؛ وبالرّغم من يهوديتي، فإني أدين بعض القادة اليهود بأبشع أعمال الحرب. فهذه الفئة من الخونة علمت بما يحدث لإخوانهم، لكنّهم فضّلوا شراء أرواحهم بالصمت عمّا يجري. ومن هؤلاء د. رودولف كيستنر (المندوب الدائم للمؤتمر اليهودي العالمي ورئيس فرع هنغاريا).

رابعاً: أوجه التشابه بين النازية والصهيونية جدلية التأثير والتأثر

على المستوى المنطقي، نتساءل بداية: ما هو الفرق بين النازية والصهيونية؟

لا شيء فعلياً. وعلى مستوى التحليل التبسيطي المنطقي أيضاً، نجد أن النازية والصهيونية قد اجتمعتا حول نقطتين أساسيّتين في الفكر والنهج:

الأولى: العنصرية أو العرقية، والإيمان بتفوّق العرق على سائر الأعراق في العالم.

الثانية: وهي استتباعٌ للأولى، إعطاء الحقّ للذات القومية في التوسع العسكري على حساب الآخرين باسم التفوّق. وما ينتج عن ذلك هو توأمةٌ في التصرّف النازي – الصهيوني. والأمثلة كثيرة، ومنها:

1 – النازية نتاج الحضارة الغربية في حقبةٍ زمنيةٍ معيّنة.

– الصهيونية نتاج الحضارة الغربية في نفس حقبة النازية.

2 – تفوّق العرق الآري ألمانياً.

– تفوق العرق السامي (شعب الله المختار) صهيونياً.

3 – الغاية تبرّر الوسيلة لدى النازيين الألمان.

– الغاية تبرّر الوسيلة لدى الصهاينة.

4 – النازية نتاج اللاعقلانية في الحضارة الأوروبية.

– الصهيونية نتاج اللاعقلانية في الحضارة الأوروبية.

5 – الإبادة النازية شملت شعوباً متعدّدة ولم تشمل شعباً واحداً مختاراً؛ كالسلاف والغجر والألمان العجزة.

- الإبادة الصهيونية لم تشمل الشعب الفلسطيني فقط؛ بل شملت شعوباً أخرى مثل المجزرة الجماعية التي حصلت في قانا وأثناء حرب تموز 2006 في لبنان ومجازر كثيرة أخرى.

6 – الموقف المحايد لدول الحضارة الأوروبية" من جرائم النازية.

- الموقف المحايد لدول "الحضارة الأوروبية" من جرائم الصهيونية.

7 – فكرة "الفولك" بالنسبة للنازية تعادل فكرة شعب الله المختار بالنسبة للصهيونية.

8 – إيمان النازيين بالدياسبورا الألمانية.

- إيمان الصهاينة بالشتات اليهودي.

9 – "النبيّ" النازي هتلر في ألمانيا.

"النبيّ" الصهيوني هرتزل لدى اليهود.

هذا على المستوى التحليلي؛ أما على مستوى النصوص، فلنتلمس أوجه التشابه بين الصهيونية والنازية من خلال أفكار وأحاديث لمثقّفين ومفكّرين يهود وألمان. ونبدأ بالشخصية الأشهر "ناحوم غولدمان" الذي يقول: "إن هناك هوية أساسية لدى الألمان النازيين وبين اليهود، هي حسّ الانتقائية ومواجهة المصير المشترك كمهمّة إلهية".

أما الكاتب "ميشيل راشلن"، فيقارن بين مقتطفاتٍ من كتاب "كفاحي" لهتلر ومقتطفاتٍ من بعض أسفار التوراة اليهودية، ليصل إلى نتيجةٍ قالها (ستراشر) في محاكمة (نورمبرغ) عندما سُئل: أين تكمن الجذور العقيدية للنازية؟ فأجاب في سفر يشوع. وهناك كاتبٌ آخر هو "بيير جيري باري" - وهو يهودي - يقول في كتابه ((mission soirdu Le: شئنا أم أبينا، فقانوننا قانونٌ عرقي. بل إنه القانون الكلاسيكي النموذجي للعرقية، لأنه النصّ الأقدم والأكثر عنفاً الذي يبشّر بعرقيّةٍ إيديولوجيةٍ حتى أقصى حدودها. صحيحٌ أن البشر لم ينتظروا التوراة ليقتتلوا؛ ولكن، ما من نصٍ جعل المذابح فرضاً دينياً بسبب عدم نقاء عِرق الآخر.. عِرق الطرف

المواجه، قبل التوراة". من جهته، تحدّث منظّر النازية روزان بيرغ Berg Rozan لمجلّة "لي كو" في فرنسا، في العام 1935، عن أنه يؤيّد الصهيونية "ومعجبٌ لتمثّلها مع النازية". أما صحيفة الأجهزة السرّية النازية الألمانية Skorps Schwars Das، فتقول: "تجد الحكومة نفسها على اتفاقٍ تام مع الصهيونية لرفضها الاندماج. لذلك، ستتّخذ التدابير التي تؤدّي إلى حلّ المسألة اليهودية".

أيضاً، الكاتب اليهودي "سولفريد"، يتحدّث عن أوجه التشابه بين النازية والصهيونية بقوله: "لقد قدّمت النازية فرصة تاريخية لتأكيد الهوية اليهودية ولاستعادة الاحترام الذي فقدناه بالاندماج. إننا مدينون لهتلر وللنازية".

وفي نفس المنوال، يصبّ كلام الحاخام برينر نايش، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، حيث يصرّح في العام 1934 (نحن نريد استبدال الاندماج بقانونٍ جديد: الاعتراف بالانتماء إلى العرق اليهودي والأمّة اليهودية؛ لأن أمّة مبنيّة على نقاء العِرق الألماني لا يمكن إلاّ أن تكون محترمة ومؤيّدة من قِبل اليهود الذين يعلنون أنهم كذلك؛ ولا يمكنهم بالتالي أن يدينوا بالولاء والانتماء لأية أمّة أخرى.

الدور الإيجابي الذي لعبه العرب لتخليص اليهود من النازية

رغم تطرّفه وتعصّبه الأعمى لليهود وللأفكار الصهيونية، والافتخار بنفسه لارتباطه "بالوطن القومي لليهود في إسرائيل"، لم يستطع "روبرت ساتلوف" مدير معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط، إلاّ أن يذكر بعد بحثٍ طال سنواتٍ أربع ما يلي: "لا يُسدي أحدٌ للعرب معروفاً حين يعفيهم من الاعتراف بتاريخ الهولوكوست، أياً كانت صلته بنزاعهم السياسي مع إسرائيل".

جاء ذلك في كتاب "ساتلوف" الذي نُشر عام 2006، تحت عنوان:

Among The Righteous" Lost Stories From The Holocoust's Long Reach Into Arab Lands."

وهو يعني بالعربية (من بين الصدّيقين: قصصٌ مفقودةٌ من الهولوكوست وصولاً إلى الأرض

العربية). وفيه يتحدّث الكاتب عن أن التاريخ يذكر بأن العرب أنقذوا مئات اليهود عام 1929. وقد رسّخ ذلك شعوراً لديه بأن العرب فعلوا نفس الشيء أثناء "الهولوكوست". لذا، قرّر الكاتب التنقيب في التاريخ والسفر إلى المغرب والجزائر وتونس وليبيا ودول عربية أخرى لإحياء هذه القصص المفقودة.

وفي كتابه هذا، يتحدّث "روبرت ساتلوف" عن مسؤولية الغرب الكاملة عن الهولوكوست ودور العرب الإيجابي، حيث ساعدوا الكثير من اليهود على الهرب من مطاردات الألمان. وذكر أيضاً أن مئات بطاقات الهويات الإسلامية أعطِيت لليهود لإنقاذهم من الموت؛ ومن هؤلاء العرب الذين ساعدوا اليهود، يذكر الكاتب خالد عبد الوهاب العربي التونسي الذي استنجدت به إمرأة يهودية كان يريد الجنود الألمان الاعتداء عليها، فوفّر لها ملجأ آمناً هي وأسرتها.

ويتابع: "لقد رحّب العرب باليهود في بيوتهم، وقاموا بحراسة نفائسهم، ممّا أعجز الألمان عن مصادرتها، وشاركوهم في مؤنهم الضئيلة. وقد قدّم سلطان المغرب وباي تونس دعماً معنوياً، وأحياناً مساعدة عملية لرعايا اليهود. وفي الجزائر العاصمة، التي كانت تحت سيطرة حكومة فيشي الفرنسية، كان الوعّاظ المسلمون في شعائرهم يوم الجمعة يحرّمون على المسلمين الاستيلاء على ثروات اليهود المصادرة، ولم يشارك عربيٌ واحدٌ في الاستيلاء على ثروات اليهود"[9].

وورد في الكتاب المذكور كذلك:

هناك أيضاً قصّة (سي علي السقاط) الذي فتح مزرعته لستّين يهودياً من الفارّين من النازية في معسكر عمل المحور، وخبّأهم إلى أن جاء "التحرير على يد الحلفاء".

وأيضاً، يتحدّث الكتاب عن أن "هناك دليلٌ قويّ على أن العربي السيّد "سي قادور بن غابريت"، رئيس جامع باريس العظيم، قد أنقذ ما لا يقلّ عن مائة يهودي. ونفس الدور كان لحاكم تونس أحمد باشا بيك الحسيني وحكومة ابن عمه منصف بيك الحسيني، عندما أصدر الأخير أوامره لحماية اليهود، كما كتب أحد المؤرّخين. أما "ماتيلدا جويز" من سوسة، فتتحدّث

(9) Robert Satlov. Among The Righteous.http://bilad-13.maktoobblog.com.

أن "البيك جمع كلّ الموظفين والوزراء في قصر الباردو، وأصدر القرار التالي: "يعاني اليهود من أوقاتٍ صعبة. ولكنّهم تحت حمايتنا، ونحن المسؤولون عن حياتهم. وإذا وجدنا عربياً يتسبّب في سقوط شعرةٍ واحدةٍ من شعر يهودي، سيدفع هذا العربي بحياته".

ويتساءل ساتلوف: لماذا التردّد في الاعتراف بهؤلاء الأبطال؟ من هم الصدّيقون:

لقد عنون ساتلوف كتابه (من بين الأخيار أو من بين الصدّيقين)؛ وهو يعني بهم العرب. أما الصدّيقون، حسب التعريف اليهودي، فهم غير اليهود الذين عملوا على إنقاذ اليهود أثناء الحكم النازي. وكلّ من يثبت نشاطه المجيب على صفة الصدّيقين يُمنح جائزة من مؤسسة "ياد فاشيم" الإسرائيلية التي تدير متحف المحرقة - الهيكل الثالث في القدس الغربية، وفقاً لقانون "إسرائيلي" يحمل نفس الإسم. وعلى رغم مساعدة العرب لليهود أثناء هروبهم من النازية، لم يحصل أيّ عربي على هذه الصفة!

هذه الشهامة العربية التي أنقذت أجداد حوالي مليونٍ من الإسرائيليين بماذا قوبلت ؟ بنكرانٍ للجميل، وبقتل الملايين من العرب، لا سيّما الفلسطينيين.

من هنا، فإن أوّل من أطلق على اليهود صفة "ناكرون للجميل" لم يكن مخطئاً على الإطلاق.

هذه هي أكبر المفارقات التاريخية التي علينا أن نتداولها في المحافل الرسمية الدولية كعرب وكمسلمين. فالمليون إسرائيلي الذين يعيشون حالياً في إسرائيل بفضل أخلاقنا وشهامتنا العربية هم أنفسهم من يضرب أطفالنا ويقتلهم ويشرّدهم، وهم من استعمل الفوسفور الأبيض لحرقهم في قطاع غزة.

وعلى المروّجين لفكرة "فاشية الإسلام" أن يراجعوا كتب التاريخ ليتعلّموا الأخلاق والأصالة ممّن حمى أعداء الإسلام، اليهود.

وربّما من المفيد هنا ذكر ما جاء في كتاب (ديفيد. س. وايمان) تحت عنوان (عقر اليهود والتخلّي

عنهم): "إن بريطانيا وأميركا لو أرادتا أن تُنقذا على الأقلّ مئات الآلاف من يهود أوروبا من الموت الأكيد في أفران الغاز لاستطاعتا. لكنّ الأميركيين والبريطانيين تخاذلوا وخانوا رسالتهم الإنسانية".

محاولات طمس الحقائق

استخدم اليهود أبشع أنواع الإرهاب الفكري والجسدي ضدّ كلّ من تصدّى لأساطيرهم وأضاليلهم التاريخية. والدليل على ذلك، المحاكمات المتواصلة للمؤرّخين وأصحاب البحوث العلمية الرّافضين لتلك الأكذوبة، وعمليات طرد العلماء من جامعاتهم ومدنهم. وهذه المؤشّرات تدلّ على أمرين خطيرين: الأوّل هو تنامي النفوذ اليهودي في معظم أرجاء العالم والسيطرة على مصادر القرار؛ والثاني انتفاء وجود مبادئ حرّية الرأي التي نادى بها الغرب، وتراجع الديمقراطية إلى أسفل مستوىً لها، حتّى وصل الأمر حدّ الرجوع إلى محاكم تفتيشٍ من نوعٍ جديد.

وكان اليهود في فرنسا قد نجحوا في العام 1990 في فرنسا باستصدار قانون "غايسو" الذي يعاقب كل من يُنكِر تعرّض اليهود للمحارق النازية. وبموجب هذا القانون، حوكم العديد من المفكّرين والسياسيين، من بينهم المفكّر روجيه غارودي الذي فضح في كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) أكاذيب اليهود الدينية والتاريخية والسياسية، وكشف العلاقة بين أكذوبة الهولوكوست وقيام دولة إسرائيل". وقد حكِم عليه بالسجن لمدّة سنةٍ مع وقف التنفيذ نظراً لكبر سنّه.

ولكن، كان قد سبق هذا القانون (غايسو)، موجةٌ عنيفةٌ من الاضطهادات اليهودية بحقّ كلّ من يتطرّق إلى أسطورة الهولوكوست، أو أيّ افتراءاتٍ دينيةٍ وتاريخيةٍ وسياسية. ونذكر على سبيل المثال بعضاً من هذه الاضطهادات كالتالي: في عام 1962، نُشِر أوّل كتابٍ حول إنكار حدوث الهولوكوست تحت إسم (الحكم المطلق Imperium) للمحامي الأميركي "فرانسز باركر يوكي"، وكان من المحامين الذين أوكل إليهم في عام 1946 مهمّة إعادة النظر في محاكم نورمبرغ. ونتيجة انتقاداته لجلسات المحاكمات غير النزيهة، تمّ طرده من منصبه بعد عدّة أشهر،

في نوفمبر 1946. وفي سنة 1953، قابل "يوكي" الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر، وعمل لفترةٍ في وزارة الإعلام المصرية؛ وكانت كتاباته معادية "لإسرائيل". بعد "يوكي"، قام "هاري إيلمر بارنيس"، وهو أحد المؤرّخين المشهورين؛ لا سيّما في جامعة كولومبيا في نيويورك، بانتهاج نهج "يوكي" في التشكيك بالهولوكوست؛ وتبعه المؤرّخان (جيمس مارتن وويليس كارتو)، وكلاهما من الولايات المتحدة الأميركية. وفي 26 آذار 2003، صدرت مذكّرة اعتقالٍ بحقّ كارتو من قِبل السلطات القضائية في سويسرا. وفي الستّينيات، نشر المؤرّخ الفرنسي "بول راسيز" كتابه "دراما اليهود الأوروبيين"، وهو كان أحد سجناء المعتقلات النازية أثناء الحرب. وقد أنكر في هذا الكتاب عمليات الإبادة المزعومة. أمّا في السبعينيات، فقد نشر "آرثر بوتز" أحد أساتذة الهندسة الكهربائية في جامعة نورث ويسترن الأميركية في ولاية إيلينوي كتاباً باسم "أكذوبة القرن العشرين"، وفيه أنكر الهولوكوست، معتبراً أن الهدف منها هو إنشاء كيان "إسرائيل". وقد تعرّض لحملاتٍ إعلاميةٍ عدائيةٍ واسعة.

في عام 1976، نشر المؤرّخ البريطاني "ديفيد إيرفينغ" كتابه "حرب هتلر"، وفيه أنكر المحرقة، فحكمت عليه محكمةٌ نمساويةٌ بالسجن لمدّة ثلاث سنواتٍ بسبب إنكاره الهولوكوست. وفي عام 1992، تعرّض للتنكيل والمطاردة لموقفه المشكّك بالخرافات اليهودية، وطُرد من كندا بقرارٍ من المحكمة الاتحادية بحجّة أنه دخل البلاد بطريقةٍ غير شرعية، ولأنه أدلى بأقوالٍ مهينةٍ بحقّ الموتى. وفي العام التالي، منع من دخول أستراليا للسبب ذاته؛ ثمّ أصدرت محكمة ألمانية عام 1994 حكماً بتغريمه 10 آلاف مارك لأنه شكّك في حدوث جرائم ضدّ الإنسانية. أما الكاتب النمساوي "غيرو هونسيك"، فقد دخل السجن لمدّة 18 شهراً لكتابته عدّة مقالاتٍ في مجلّة (Hult) نفى فيها وجود غرف الغاز السام في معسكرات الاعتقال النازية.

وفي عام 1974، نشر الصحفي الكندي "ريتشارد فيرال" كتابه "أحقاً مات 6 ملايين". وعلى إثر ذلك، جرت محاولاتٌ عديدةٌ لطرده من كندا، حتى تمّ إبعاده بقرارٍ من المحكمة الكندية العليا عام 1992.

أما "هنري روكيه"، فقد نفى في رسالته لنيل الدكتوراه من جامعة نانت عام 1977، وجود

غرف الغاز، مّا جعل وزير البحث والتعليم العالي الفرنسي في ذلك الوقت (آلان ديفاكيه) يُصدر قراراً بإلغاء مناقشة رسالة الدكتوراه. بل أكثر من ذلك، فقد أصدرت المحكمة الفرنسية حكماً بإدانته، ونفّذ الحكم مع غرامة 100 ألف فرنك فرنسي على بعض رؤساء تحرير الصحف الذين سمحوا بنشر مقالاتٍ حول نفس الموضوع "لروكيه".

وفي عام 1988، حوكم الناشر الكندي "آرنست زندول" بتهمة نشر مواد غير حقيقية في كتيبٍ فنّد فيه مزاعم اليهود في قضية الهولوكوست، مؤكّداً أنها وسيلةٌ لابتزاز الشعب الألماني. وقد تمّت تبرئته من هذه التّهمة دعماً لحركة الرأي في كندا.

أما في العام 1986، فقد تدخّلت "إسرائيل" في الشؤون الداخلية للنمسا، حيث شنّت حملة عنيفة لمنع "كورت فالدهايم" الأمين العام السابق للأمم المتحدة من الترشّح لرئاسة بلاده عبر دعايةٍ واسعةٍ تتّهمه أنه من رجال النازية.

وتكرّر الأمر عام 1999، بعد نجاح (يورك هايدر) زعيم حزب الحرّية بالفوز في الانتخابات الرئاسية في النمسا، حيث اتهمته "إسرائيل" بالتطرّف والعنصرية ومعاداة السامية وتمجيد النازية. ثمّ نجحت باستصدار قرارٍ دولي يفرض الحصار الاقتصادي على النمسا، مّا اضطرّ "هايدر" إلى ترك الزعامة في بلاده. وكانت "إسرائيل قد جعلت "الاعتذار" عن جرائم النازية بحقّ اليهود شرطاً من شروط اتحاد الألمانيّتين عام 1990.

فنكلشتاين وصناعة الهولوكوست

يُعتبر الكاتب اليهودي الأميركي د. "نورمان فنكلشتاين" من أبرز الشخصيات التي تعرّضت -وما زالت تتعرّض- لحملاتٍ دعائيةٍ عنيفةٍ من داخل إسرائيل وخارجها، لاسيّما من اللوبي الصهيوني الذي يتحكّم بقرارات البيت الأبيض الأميركي.

وكان "فنكلشتاين" قد سخر في كتابه "صناعة الهولوكوست"، من تلك الأفواج من النساء العجائز والرّجال الشيوخ الذين يتباكون أمام لجان التحقيق مطالبين بتعويضاتٍ من البنوك السويسرية أو من الشركات الألمانية، معتبراً إيّاهم محتالين صنعوا لأنفسهم ماضياً بطولياً كاذباً.

ويرى فنكلشتاين أن الوظيفة الأساسية لهذا "الابتكار العجيب الذي أطلق عليه اسم الهولوكوست ليست إنارة الواقع، كما يؤكّد عددٌ من المؤرّخين السذّج، وإنما إجبار البنوك والشركات على دفع التعويضات لليهود. وغالباً ما يتمّ ذلك تحت ضغط الحملات الدعائية الإعلامية التي تشنّها صحفٌ خسيسةٌ ومخادعة، مهمّتها الأساسية تزوير التاريخ ونهب القبور". ويؤكّد "فنكلشتاين": إن "الخدعة الكبرى الأولى التي ظهرت في أدبيّات الهولوكوست، كتاب "العصفور المدهون" لمؤلّفه "جيرزي كوسينسكي" الذي لفّق الأحداث المرضية التي رواها؛ وسار على طريقته "بنجامين مرسكي" في كتابه "شظايا"، وفيه صوّر الحياة بعد الهولوكوست لا أثناءها؛ وتبعه كتاب "جلاّدو هتلر المتطوّعون" "لدانيال جوناه غولدهاغن" الذي امتدحته صحيفة "النيويورك تايمز" وترجمته إلى لغاتٍ كثيرة؛ وهو لا يعدو كونه تجميعاً ملخّصاً للعنف الساديّ ولا قيمة أكاديمية له. ثمّ يضيف: ورغم براءة العرب من الهولوكوست، فإن "إسرائيل" حمّلت مفتي القدس الحاج أمين الحسيني دوراً رئيساً فيها، وذلك في موسوعة الهولوكوست التي وثّقها "إسرائيل غوتمان". واستمات "الإسرائيليون" مبرّرو الاجتياح "الإسرائيلي" للبنان 1982 في تلطيخ صورة العرب وقرْنها بالنازية.

يتابع "فنكلشتاين": الغريب أن سياسة متحف الهولوكوست تنهج إلى تحديد من يجب إحياء ذكراهم. فهي لا تذكر أكثر من نصف مليون غجري قضوا نحبهم في ما يسمّى بالهولوكوست. وفي أعقاب مذبحة قانا في لبنان، كتب الصحفي الإسرائيلي "آري شافيت": "إن متحف الهولوكوست يجعل إسرائيل تتمتّع بالحصانة رغم تصرّفاتها"[10]×.

وحول هذه الصناعة (الهولوكوست)، سخر المؤرّخ "دايفيد ستازد" من "صناعةٍ صغيرةٍ من سِير قدّيسي الهولوكوست، الذين يؤكّدون فرادة التجربة اليهودية بكلّ ما ملكت أيديهم من طاقات اللاهوتيين المتعصّبين وبراعتهم، وذلك لأن المذهبية الجامدة القاتلة الفرادة منافية للمعقول بعد كلّ حساب".

(10) صناعة الهولوكوست - تأمّلات في استغلال المعاناة اليهودية. تأليف: نورمان فنكلشتاين. ترجمة د. سماح إدريس. دار الآداب 2001.

خامساً: لماذا لا يسمح الغرب بمناقشة "المحرقة"؟

يجيب عن هذا السؤال المستشرق الفرنسي الدكتور "روجيه غارودي"، فيقول: "في البلدان الغربية لا يحبّون طرح تاريخهم الاستعماري؛ إن كان بالنسبة لإبادة هنود أميركا البالغ عددهم سبعين مليون قتيل، أو بالنسبة للرقّ الذي تسبب بهلاك أناسٍ كُثر. فمن أجل القبض على رقيقٍ واحد، كان هناك عشرة قتلى من الأفارقة. ولو حسبنا عشرة ملايين إنسان أُخذوا عبيداً، فهذا يعني أن هناك مئة مليون قتيلٍ من الأفارقة. أما بالنسبة للمحرقة اليهودية، فقد استغلَّت سياسياً. في الحرب كان هناك انتهاكٌ لحقوق الإنسان؛ كلّ إنسانٍ وليس اليهود فقط. ما حصل في الحرب ليس الجريمة الوحيدة التي عرفتها الإنسانية. ولو افترضنا وجود المحرقة، فهل هذا يعطي الحقّ لليهود بالانتقام من الفلسطينيين؟ لو بدأ السود وهنود أميركا المطالبة بالتعويض، سوف تبدو قضية "إسرائيل" هامشية. إذاً، لا يمكن استخدام الماضي في أساطير لأهدافٍ سياسية.

ويتابع: "الفلسطينيون كانوا ضحية الاستعمار الذي أعطى الأرض لليهود من أجل بناء "إسرائيل". هنا، الفلسطينيون كانوا ضحيّة الاستعمار؛ والمشكلة أنه تمّ الانتقام من الذين لا علاقة لهم بالأمر بتاتاً". أما لماذا تساند الولايات المتحدة "إسرائيل" لهذه الدرجة، وتمنع البحث في حقيقة المحرقة، فيقول "غارودي": لأنهم رابحون من هذه القضية. الحرب لم تجلب لهم الكثير من القتلى، ولكنّها جلبت لهم الكثير من الأموال. الولايات المتحدة أصبحت القوّة العظمى الأولى في العالم عقب حربين عالميّتين في أراضي الغير[11].

الأقلام المستأجرة

حاول الصهاينة بشتّى الطرق والوسائل استمالة الرأي العام العالمي تجاههم، فركّزوا على الإعلام العالمي، إلى أن تمكّنوا منه. كما ركّزوا على بعض الأقلام المستأجرة في الصحف وفي الكتب، في محاولةٍ منهم لصناعة تاريخ يستجلب عطف العالم كلّه. من هذه الأقلام نذكر "ميتشاديفونسيكا" وكتابها "الخرافي" التالي:

(11) موقع اللجنة الدولية للدفاع عن تيسير علوني على شبكة الإنترنت.

سامحوني... ما هو إلاّ قصصٌ مختلقة:

فبعد 11 عاماً والترجمة إلى 18 لغة، "ميتشاديفونسيكا" التي ألفَت كتاب (ميتشا – ذكرى من سنوات الهولوكوست) تعترف أن كلّ ماورد في كتابها هو مجرّد قصص مختلقة. وهي توجّهت إلى جمهورها بالاعتذار حيث قالت: "سامحوني؛ كتابي عن الهولوكوست قصصٌ مختلقة"!

والكاتبة البلجيكية هذه هي ليست يهودية بالأساس، كما أوهمت الجميع. وإنما هي بلجيكية، واسمها الحقيقي (مونيك دي وايل). وقد نقل موقع "فولتيرنت" (أذار-2008) الفرنسي هذه الفضيحة عن صحيفة دايلي ميل البريطانية (2008/3/1) حيث اعترفت الكاتبة أن. كتابها كان مجرّد سيناريوهاتٍ لا أصل لها، "لم تكن هناك أيّ حقيقة" كما ذكرت.

وكانت "ميتشا" قد أصدرت كتابها عام 1997، حيث لقي رواجاً واسعاً وحصد أرباحاً هائلة. وتُرجِم إلى 18 لغة مختلفة، مضيفاً إلى رصيد "ميتشا" حوالي 19 مليوناً و88 ألف دولار.

في هذا الكتاب أثارت "ميتشا" عواطف اليهود وغير اليهود، وذلك حين تحدّثت عن قصّة هربها عندما كانت طفلة في الثامنة من عمرها، حيث فقدت والديها خلال اجتياح النازيين لعدّة بلدانٍ أوروبية. ومن ثمّ تنقّلها وحيدة بين الحدود باحثة عن أهلها، وتجربتها في العيش في الشتاء القارس بين مجموعةٍ من الذئاب (حسب الكتاب).

غير أن الكاتبة عادت وأنكرت كلّ ما ذكِر في كتابها، واعترفت أنها مسيحية تلقّت نشأة كاثوليكية صارمة، وقد طلبت السماح من قرّائها لأنها "خانتهم".

وتذكر صحيفة (دايلي ميل 2008/3/1) أن "ميتشا" التي كانت تسلخ الأرانب في الثلج وتسرق الطعام من منازل الفلاّحين، في طريقها إلى بولندا للبحث عن والديها (حسبما جاء في الكتاب) ليست سوى "مونيك" التي تعيش مع جدّيها في شقّةٍ بالعاصمة البلجيكية بروكسل.

وتتابع الصحيفة أن الكاتبة ما كان لها أن تنجح لولا دعم اللوبي الصهيوني لها، الذي حوّل بدوره هذه القصّة إلى فيلم بعنوان (الحياة مع الذئاب). وقد لقي نجاحاً باهراً في أوروبا.

استغلال الكوارث:

تتّبع حكومة العدوّ الإسرائيلي أساليب عدّة لتضليل الرأي العام العالمي، لاسيّما بعد حرب غزة الأخيرة وتقرير غولدستون وانكشاف استخدام الكيان الإرهابي لسلاح محرّم استخدامه دولياً، وهو الفوسفور الأبيض.

ويمكن كشف بعض هذه الأساليب عبر مناسبتين: إحداهما الزلزال المدمّر الذي ضرب هاييتي في الآونة الأخيرة، والثانية هي ذكرى اليوم الدولي لإحياء الهولوكوست، حيث كشف عددٌ من المفكّرين الغربيين عن المحاولات التي بذلتها تل أبيب لتغطية ممارساتها الاحتلالية.

وكان أحد الصحافيين قد كتب في جريدة "فوروورد" اليهودية مقالاً قال فيه: "لم يكن مستغرباً أن يستغلّ قائد فريق الإنقاذ "الإسرائيلي" في هاييتي فرصة مأساة هاييتي ليحقّق هو وفريقه المكوّن من 250 عضواً خلال أقلّ من أسبوع دعاية لتحسين صورة إسرائيل، عجز خبراء دعايتها عن تحقيقها طوال سنوات"[12].

أما الصحافي "الإسرائيلي" "عكيفا إلدار"، فقد اعتبر في جريدة هآرتس في 25/يناير 2010 أن هذا "الإنجاز الاعلامي" يؤكّد فقط المفارقة بينه وبين مسؤولية "إسرائيل" عن "معاناة الناس المستمرّة في غزة". من جهته، كتب الصحفي "جدعون ليفي" في صحيفة هآرتس عن ذكرى اليوم الدولي لإحياء الهولوكوست: "إن التحرّك الإسرائيلي في مجال العلاقات العامّة لم يشاهد مثله منذ وقت طويل. فعندما يتحدّث العالم بلغة غولدستون، نتحدّث بلغة المحرقة"؛ مضيفاً: "كم سيكون جميلاً" لو أن إسرائيل اقتطعت وقتاً في يوم التذكّر الدولي هذا (يوم المحرقة) لتفحص نفسها وتنظر في الداخل وتسأل، على سبيل المثال، كيف حصل أن مدّت اللاسامية رأسها في العالم تحديداً في السنة الماضية، أي السنة التي ألقت فيها قنابل الفوسفور الأبيض على غزة. كم سيكون جميلاً لو أن رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو أعلن في هذا اليوم سياسة جديدة لدمج الفلسطينيين بدلاً من طردهم أو رفع الحصار عن غزة"[13].

---

(12) صحيفة (فوروورد) اليهودية 27 يناير 2010.

(13) صحيفة هآرتس 28 يناير/2010.

سادساً: المؤتمر الإيراني لمناقشة "الهولوكوست"

لم يجرؤ أيٌ من الأنظمة العربية والإسلامية يوماً على التطرّق إلى موضوع "المحرقة" أو الهولوكوست النازي ضدّ اليهود. وتُعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية الدولة الوحيدة التي نظّمت مؤتمراً أكاديمياً لدرس الحقائق بشأن المحارق النازية المزعومة ضدّ اليهود.

وكان قد عقد في طهران في العام 2006 المؤتمر الدولي لمحرقة اليهود (الهولوكوست) وآفاقه العالمية، حيث شارك فيه أكثر من 67 كاتباً ومفكّراً من أكثر من ثلاثين بلداً أوروبياً وشرق أوسطياً وآسيوياً.

وقد اعتبر رئيس الجمهورية الإسلامية "محمود أحمدي نجاد"، في كلمةٍ له أثناء استقبال المشاركين، أن جذور مشاكل العالم والصراعات والمجازر بحقّ البشرية تعود إلى عدم التزام الصهاينة وبعض القوى الغربية بالمبادئ والثوابت الدينية، مؤكّداً أنه ينبغي تشكيل جبهةٍ موحّدةٍ لأتباع الأديان الإلهية بمشاركة علماء ومفكّري تلك الأديان، ومن ضمنهم اليهود، في مواجهة الصهاينة من أجل الحيلولة دون استمرار جرائمهم ضدّ الشعوب وتحقيق حياةٍ مزدهرةٍ للبشرية.

وشدّد نجاد على حلّ مشاكل العالم، ومن ضمنها مشكلة فلسطين، عبر الحوار والسلام والاهتمام بتعاليم الأنبياء. واعتبر أن على القوى الكبرى وقادة الصهاينة أن يعملوا على إزالة هذا الكيان المجرم، أو أن يبادروا إلى اجراء انتخاباتٍ حرّةٍ من أجل تعيين الدولة التي يرتئيها الشعب الفلسطيني بمشاركة جميع الفلسطينيين من اليهود والمسيحيين والمسلمين.

وفي المؤتمر الذي افتُتح يوم الإثنين في 2006/12/11، أكّد وزير الخارجية الإيرانية "منوشهر متّكي" أن إيران ليست بصدد نفي قضية المحرقة اليهودية أو إثباتها، مشيراً إلى أنه لا توجد "معاداة لليهود في إيران".

أضاف: "إن هدف إيران من عقد هذا الملتقى، هو خلق أجواء ملائمة لتقديم وجهات نظرٍ مختلفةٍ إزاء موضوعٍ تاريخي".

وأوضح: "لسنا بصدد إثبات أو نفي هذه القضية. لكن، إذا أثيرت تساؤلاتٌ حول الهولوكوست بشكلٍ رسمي، فإن تساؤلاتٍ أخرى ستُثار حول هوية الكيان الصهيوني".

وأكّد متّكي: "إن أيّ شكلٍ من أشكال العنصرية، بما فيها النازية والصهيونية، مخالفٌ للطبيعة البشرية. والإسلام ضدّ العنصرية بأشكالها المختلفة".

ومضى يقول: "الذين يدّعون اليوم أنها معارضون للنازية، هم أنفسهم عنصريون استعماريون. وما فعلوه لا يختلف عن جرائم النازيين".

وأشار متّكي إلى التاريخ الطويل الأمد الذي تتمتّع به إيران، سواء قبل ظهور الإسلام أو بعده؛ وقال: "لا يوجد أيّ دليلٍ يؤكّد أن حالة واحدة من العنصرية بشكلها العامّ أو معاداة اليهودية بصورةٍ خاصّة قد حدثت في إيران، لأن هذه الأرض كانت تكنّ الاحترام لكافة الأديان"؛ مؤكّداً أن: "الأراضي الإسلامية لم تكن فيها أيّ ظاهرةٍ من معاداة اليهودية. ومن الممكن أن نجد الكثير من اليهود الذين تصدّروا مناصب رفيعة في الحكومات الإسلامية على مدى التاريخ.

وختم متّكي: إن الجدل الذي أثير على خلفيّة التساؤلات العقلانية التي قدّمها رئيس الجمهورية والعلل في الردّ عليها إنما حدث لهذا السبب، وهو أنهم يدركون بأن إثارة التساؤلات حول الهولوكوست ضمن خطابٍ رسمي سيجعل ماهيّة وهوية الكيان الصهيوني تحت طائلة التساؤلات أيضاً".

وكانت الخارجية الإيرانية قد حدّدت أسباب تنظيم المؤتمر بعدم الحصول على أيّ ردٍ على الأسئلة التي طرحها الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد بشأن المحرقة. بدوره، أوضح نائب وزير الخارجية منوشهر محمّدي، "أن أحمدي نجاد تساءل عمّا إذا كانت المحرقة قد حدثت أم لا؟ لماذا يُمنع الأكاديميون من القيام بأبحاثٍ حول الموضوع؟ ولماذا يُسجن الذين ينكرون حدوثها"[14].

وأشار الرئيس نجاد إلى التناقضات الكثيرة في شعارات وممارسات بعض أدعياء حقوق الإنسان

(14) http://www.arrasoul.org/arabic/akhba

والحرّية الغربيين، لاسيّما في الكيان الصهيوني. وقال: "هذا الكيان المزيّف يتشدّق بحقوق الإنسان والحرّية، في الوقت الذي خلق سجناً كبيراً في الأراضي الفلسطينية المحتلة للمسلمين واليهود والمسيحيين من السكّان الأصليين لهذه الأرض".

وأكّد نجاد أن اليهود المؤمنين بتعاليم النبيّ موسى(ع) يعارضون ممارسات وجرائم الصهيونية العالمية، ملاحظاً: "إن الأفراد الواعين والعادلين لن يكتبوا في حساب اليهود جرائم الكيان الصهيوني وحُماة هذا الكيان المزيف في فلسطين المحتلة وقتل النساء والأطفال الأبرياء والمظلومين".

وأشاد الرئيس الإيراني بالصحوة المتنامية لشعوب العالم في مسار الدعوة للعدالة والتوحيد، مؤكّداً إن اليوم الموعود قريبٌ لإقرار السلام والأخوّة والعدالة والتوحيد في كلّ العالم، كوعد جاء به جميع الأنبياء وكسنّة إلهية. وينبغي على علماء مختلف الأديان، ومن ضمنها اليهودية والإسلام، التعريف بوارث جميع الأنبياء وإعداد أذهانهم وقلوبهم لذلك.

وقد شارك في هذا المؤتمر عددٌ من الأكاديميين والمؤرّخين الغربيين، من بينهم الأميركي "ديفيد دوك"، وهو قيادي سابق في حركة كلوكلكس كلان" الأميركية التي تؤمن بالتفوّق العرقيّ للبيض؛ وأيضاً شارك عدد من الجامعيين الأجانب الذين يشكّكون في حدوث المحرقة، ومن بينهم البروفيسور الفرنسي "روبير فريسون" الذي أنكر وجود غرف الغاز، وحكِم عليه بالسجن 3 أشهر مع وقف التنفيذ في فرنسا، في شهر أكتوبر عام 2006.

كذلك شارك عددٌ من الحاخامات، ومن بينهم الحاخام البريطاني "أهورن كوهين" الذي قال أنه حضر المؤتمر ليعبّر عن وجهة نظر اليهود الأرثوذكس، حيث يؤمن هؤلاء بأن قيام دولة "إسرائيل" مخالفٌ لتعاليم الدين اليهودي.

وقد ارتدى الحاخامات اليهود معاطف وقلنسوّات سوداء، فيما وضع البعض شارة لعلم فلسطين، كتب عليها "أنا يهودي ولست صهيونياً".

وكان من نتائج المؤتمر الذي استمرّ لثلاثة أيام، تشكيل لجنة دولية لتقصّي الحقائق بشأن

المحارق المزعومة، وسط حملة انتقادات غربية للمؤتمر، حيث انتقد باحثون ومسؤولون غربيون بشدّة إقدام إيران على عقد هذا المؤتمر، معتبرين أن المحارق النازية هي حقيقةٌ لا يجب التشكيك فيها؛ وأن المؤتمر بمثابة إهانة للعالم المتحضّر و"صدمة يصعب تصديقها"!

أما رئيس لجنة تقصّي الحقائق التي انبثقت عن المؤتمر، الأكاديمي الإيراني "محمّد علي رامين"، فقد اعتبر أن "الأعضاء ليسوا عنصريين، أو أنهم يعارضون جماعة بعينها. إنهم يسعون فقط إلى الحقيقة لتحرير الإنسانية بحقّ".

ردود أفعال غربية غاضبة على المؤتمر

أثار المؤتمر الإيراني لمناقشة حقيقة الهولوكوست النازية ضدّ اليهود، ردود أفعال غربية شديدة. فقد قال توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، في بيانٍ مشتركٍ مع نظيره "الإسرائيلي" "إيهود أولمرت" والمستشارة الألمانية "إنجيلا ميركل": "أعتقد أن مثل هذا الأمر (عقد المؤتمر) رمزٌ للطائفية والكراهية تجاه أشخاصٍ يعتنقون ديانة أخرى. ووجدت أن هذا أمرٌ غير معقول"، وأنه "بمثابة صدمة يصعب تصديقها"[15].

أما ميركل، فأدانت بشدّة ما اعتبرته نفياً للمحرقة من خلال تعديل للتاريخ.

من جهته، رئيس البرلمان الألماني "نوربرت لامرت"، وجّه رسالة إلى الرئيس الإيراني "نجاد" اعترض فيها على انعقاد المؤتمر قائلاً: "أدين بشدّة أيّ محاولة لمنح الرّعاية المعادية للسامية منبراً بذريعة الحرّية العلمية والموضوعية".

أمّا إيهود أولمرت، رئيس وزراء العدوّ، فقد اعتبر أن المؤتمر هو ظاهرة مَرَضية تُظهر الكراهية التي يكنّها النظام "الإيراني الأصولي"، مطالباً العالم بعزل إيران والمشاركين في هذا المؤتمر.

كما أدان البيت الأبيض المؤتمر، حيث وصف المتحدّث الرّسمي باسمه "دانا بيرنيو" المؤتمر بأنه "إهانةٌ للعالم المتحضّر بأكمله، وللقيم الإيرانية التقليدية المتعلّقة بالتسامح والاحترام المتبادل".

---

(15) BBC Arabic. Com.

ولم تتوقّف الإدانات عند هذا الحدّ، فقد عُقد مؤتمر في برلين بالتزامن مع المؤتمر الإيراني، أدان المشاركون فيه مؤتمر الهولوكوست في إيران. وفي هذا الإطار، اعتبر الباحث الأميركي "راؤول هيلبرغ" الذي فرّ من النمسا عام 1939، ويُعتبر من أكثر المدافعين عن حدوث المحرقة، بأن هذا المؤتمر هو "تسجيل موقف" ضدّ الرئيس الإيراني.

أما رئيس مجلس "متحف ذكرى الهولوكوست" بالولايات المتحدة، "فرادس زايدمان"، فقد اعتبر أن "هذا المؤتمر يستحقّ استنكاراً عالمياً. إنه لا يعدو أن يكون مجرّد مساهمة أخرى في الساحة العالمية لإنكار الهولوكوست. وهو شكلٌ آخر من أشكال معاداة السامية".

وأضاف: "هذا المؤتمر هو هجومٌ مزعجٌ على حقائق تاريخية، وعلى ذاكرة ستّة ملايين يهودي، وعلى الملايين الآخرين الذين قُتلوا تحت النازية"(16).

يُذكر أن إيران هي موطن نحو 25 ألف يهودي.

"علاء الدين" وفانوس "المحرقة"

في شهر مارس/آذار 2009، ومن مقرّ منظمة اليونسكو في باريس، وبحضور 200 شخصية من العالم الإسلامي، ومن أوروبا، أُطلق مشروع علاء الدين لمواجهة إنكار المحرقة اليهودية على يد النازية (حسب التعريف اليهودي للمشروع).

وهذا المشروع الذي رعاه الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك، والأمير الحسن بن طلال، ولِد من "اكتشافٍ" رهيبٍ لانتشار إنكار المحرقة في فترة النزاع "الإسرائيلي – الفلسطيني"، بحسب مؤسسة إحياء ذكرى المحرقة، التي كانت تستعدّ لإطلاق المشروع منذ أربع سنوات.

وينصّ المشروع على إنشاء موقع إلكتروني متعدّد اللغات (العربية والفارسية والفرنسية والإنكليزية) ولاحقاً التركية، حيث يقدّم شرحاً لأحداث المحرقة (المزعومة)، فضلاً عن التعريف باليهود وتسليط الضوء على العلاقات التي ربطتهم بالشعوب الإسلامية. ويترافق

(16) www.ush.mm.org/museum/press/.../detail.php?

إنشاء الموقع الإلكتروني مع إنشاء مكتبة علاء الدين الرّقمية، حيث يمكن للمتطوّعين، وبشكلٍ مجّاني، تنزيل كتب ومراجع باللغتين العربية والفارسية حول "المحرقة".

وهناك اليوم بعض الكتب الكلاسيكية، مثل "دفتر يوميّات آن فرانك"، و"لو كان رجلاً"، "هتلر واليهود"[17].

وكان "ديفيد دي روتشيلد" رئيس المؤسسة قد تحدّث في كلمته بمناسبة إطلاق المشروع المذكور، عن أنه في مواجهة تدفّق إنكار المحرقة، النّابع بالخصوص من بعض الدوائر المحدودة، ولكن المؤثّرة في العالم العربي الإسلامي، قرّرنا الردّ أوّلاً من خلال سدّ نقص المعلومات الموثّقة تاريخياً عن المحرقة، سواء باللغة العربية أو الفارسية أو التركية[18].

أما "آن ماري ريفكوليفتشي" Revkolevitchy المندوبة العامّة للمؤسسة، فكانت قد صرّحت بأن "المؤسسة اكتشفت تكاثر المواقع المنكِرة للمحرقة باللغتين العربية والفارسية إثر تصريحات الرئيس الإيراني (أحمدي نجاد) والرسوم المسيئة للرسول محمّد (ص)، وأن الأمر لا يقتصر فقط على أداة لنزع شرعية دولة "إسرائيل".

وفي مقالٍ لها نُشر على الإنترنت في 5 نوفمبر 2008، تقول ريفكوليفتشي: "يعتقد الملايين أن المحرقة النازية هي من اختراع اليهود. وقد تفاقم الوضع لدرجة أنه في إحدى المرّات أجرى طالبٌ من الجنسية المغربية في خلال تواجده في حرم جامعي في مدينة "نيس" الفرنسية مداخلة عن حسن نيّة قائلاً، "لقد اختفى اليهود بالفعل. ولكنّنا نعلم أنه تمّ إرسالهم إلى مدغشقر". وهي تتابع... "هذا الاستنتاج مخيفٌ، وينبغي مواجهته. لقد اكتشفنا أننا لا نملك لمواجهة التضليل الإعلامي أيّ كتابٍ أو وثيقةٍ في اللغة العربية أو الفارسية أو التركية". وتضيف: "لماذا إلقاء اللوم على هؤلاء المسلمين البعيدين جغرافياً وتاريخياً وثقافياً عن هذا التاريخ الأوروبي، فضلاً عن عدم اطّلاعهم على الوقائع التاريخية وتصديقهم لكلّ ما يُقال في بعض الصحف والمواقع الإلكترونية والكتب والوسائل الإعلامية". ثمّ تكمِل: "نحتاج من أجل إنجاح المشروع إلى تعاون الجميع

(17) المصدر: موقع صهيوني: http://www.projectaladin.org/ar/homepage-ar/in-focus/562html

(18) www.ALQuds.htm

وتعاون المؤرّخين والجامعيين والمدرّسين"؛ مؤكّدة أنها قامت باتصالاتٍ مشجّعةٍ مع العديد من الشخصيات الأردنية والمصرية والمغربية والتركية والقطرية لإنجاح المشروع[19].

واللافت في كلّ هذه المواقف، هو التضليل الإعلامي المباشر لأهداف هذا المشروع الحقيقية. فقلب السيّدة "ريفكوليفتشي" ليس على العرب (المبهمين حسب ما تصفهم) من أجل إفهامهم حقيقة ما جرى في المحرقة. ووراء هذه "الإنسانية" المفرطة للسيّدة المذكورة يقف مشروعٌ خبيث، هو من أخطر المشاريع التطبيعية الثقافية - السياسية، وبالتالي الاقتصادية بين العرب والصهاينة؛ وذلك لما يتضمّنه هذا المشروع من معانٍ وخلفيّاتٍ تتعارض مع أسس ميزات الثقافة والحضارة العربية، خاصّة وأن "ريفكوليفتشي" ناشدت جميع المثقّفين العرب لمساعدتها في إنجاح المشروع عبر كتاباتٍ عربيةٍ تؤكّد حدوث المحرقة أو عبر إمداد مكتبة المشروع بكتبٍ قيّمةٍ تتناول مسألة الهولوكوست.

هل هذه وقاحة؟

... هي أكثر من ذلك بكثير.

وإذا كان المطلوب من العرب والمسلمين عدم إنكار الهولوكوست وتثبيته في الذاكرة العربية عبر مشروع علاء الدين، بل حتّى المساهمة في إنجاحه، فنحن نسأل هؤلاء العرب المثقفين المهتمّين بهذا المشروع، المتدافعين على بوّابته السوداء: من منكم يذكر قصف الطائرات الفرنسية لحيّ الميدان في دمشق، حيث سقط 1200 قتيل ودمّر 600 دكان و1500 منزل في ساعاتٍ قليلة؟ من منكم يذكر اجتياح بيروت ومجازر صبرا وشاتيلا ومجازر قانا؟ من منكم يستعيد ذاكرته ويقلّب في أوراق مجازر كفر قاسم ودير ياسين.. والشهداء الأطفال محمد الدرّة وإيمان... و...

أليس أولى بنا أن نوظّف وعينا أوحسّنا الانساني لصالح أبناء جلدتنا، بدلاً من أن نعيش أسرى وسجناء "أخلاقيات المحرقة" لعدوٍ يرتكب كلّ يوم محرقة بحقّ أهلنا الشرفاء في فلسطين؟

وبدل أن نرهن قلمنا لفانوس علاء الدين، فليكتب هذا القلم عن الهولوكوست الصهيوني

(19) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على شبكة الإنترنت.

بحقّ العرب والمسلمين، وعن تاريخ القدس، وقدس التاريخ المعاصر.. لنحمي ذاكرتنا ونروّج للأفلام التي تحمي الذاكرة العربية لا اليهودية.

تقول د. بيان نويهض الحوت:

في تاريخ المجازر يتكلّم الموت أوّلاً

ثمّ يتكلّم القتيل

ثمّ يتكلّم القاتل

لقد تكلّم الموت

وتكلّم القتيل

وتكلّم الشهود

وما زال الضحايا الأحياء ينتظرون القاتل كي يتكلّم.

وقد قيل: يخسر الإنسان وجوده، عندما يخسر كرامته.

نعم... هذا صحيح... فلنحيي كرامتنا من جديد.

الفصل الخامس

حوّل الإسرائيليون "ذكرى المحرقة" إلى مكوّنٍ مركزيٍ في الهوية الإسرائيلية. وحسب "إليعازر فيستوم" و"روث ملكينسون"، فإن المحرقة تتجلّى كصدمةٍ نفسيةٍ أساسية.

إن ذكرى فرن الصهر الذي أبيد فيه ثُلث أبناء الشعب اليهودي، تتسلّل إلى كلّ شيء. فأيّ تهديد، حقيقياً كان أم وهمياً، يتعاظم ويرتدي أشكالاً جديدة كما لو كان واقعاً تحت تأثير هذه الذكرى/الصدمة. لقد تركت المحرقة أثراً على النفس القومية لا يمكن أن يزول"[1].

أوّلاً: التخليد والذاكرة الجماعية اليهودية

إن مراسم التخليد هي وسيلةً مهمّةً في نقل الذاكرة الجماعية من جيلٍ إلى جيل. فهذه الطقوس تستحضر صوراً من الماضي تُشرعِن النظام الاجتماعي القائم، وتُقنع المشاركين فيها والمشاهدين لها بالنظر إلى مقولاتٍ رمزية، من قبيل أن الدول ككياناتٍ طبيعية هي جزءٌ في بديهيات العالم وليس من صنع الإنسان.

والطقوس لا تنعِش أفكاراً وآراءاً فحسب؛ بل وتمكّن أيضاً من خلق تضامنٍ جماعيٍ يتمركز في إطار الصيرورة الوحدوية لعديدٍ اجتماعي.

وقد اعتُبرت عملية "استذكار المحرقة" التي يقوم بها نشطاء يهود، أحداثاً مهمّة في تاريخ

(1) (Vistom and Malkenson 1993)

الطائفة اليهودية على مستوى المجموعة التي يستحضرونها في الحاضر. وشكّلت، أيضاً، عاملاً حاسماً في صوغ وتشكيل الذاكرة اليهودية المشتركة.

وتظهر المشاركة في الذاكرة الجماعية اليهودية تاريخياً، عامل توحيدٍ أقوى من التصريحات المشتركة عن مبادئ عقيدية. ويتجلّى الوعي بالمصير المشترك في التماثل مع أسرةٍ موسّعة؛ وهو ما يعبّر عن نفسه في أعمال التذكّر والاستحضار، من قبيل طقوس عيد الفصح[2].

وقد اختلق الزعماء والنّخب في الكثير من الدول القومية، أساطير مؤسسة تجذّر الهوية القومية في الموت، والهلاك. وتُدخِل هذه الأساطير حماساً دينياً إلى الولاءات القومية[3]. وقد استطاعت "إسرائيل" تبنّي العديد من هذه الأساطير من أجل ترسيخ أحداثٍ تاريخيةٍ في الذاكرة الجماعية اليهودية، وانتقال الفرد من العبودية إلى الحرّية، أو من الخراب إلى الخلاص (حسب الصهاينة). وقد استخدمت نماذج ورموزاً دينية بُغية حشد وتكتيل الأفراد اليهود حول أهدافٍ قومية[4].

وكجزءٍ من هذا التوجّه، قورنت المحرقة بخراب "الهيكل" وقيام "إسرائيل" بخلاص اليهود. وتطرح "إسرائيل" نفسها على أنها الردّ أو النقيض لـ"المحرقة اليهودية" في ألمانيا، كما صرّح "إيهود باراك" أثناء زيارته لمعتقل أوشفيتز النازي الذي شهد حرق أجساد اليهود (وجهة نظر صهيونية مفبركة) حين كان رئيساً لهيئة الأركان العامّة، إذ قال: "إن الذاكرة والحرّية والقول هي الردّ على أوشفيتز. إن قوّة جيش الدفاع الإسرائيلي هي الضمانة الحيّة لنفاذ قسمنا: أوشفيتز لن يتكرّر أبداً"[5].

وبمرور الزمن، قويت تأثيرات المحرقة "على العقلية الإسرائيلية. ويشير مراقبون نفسيّون إلى أنه كلّما ازداد الابتعاد زمنياً عن حدث المحرقة، تعاظم حضور المحرقة في الذاكرة الجماعية

---

(2) Yerushalmi, yosef hayim 1982.
Zakhor; Jewish History and Jewish Memory, Seattle. university of Washington Press.

(3) Kertzer, David 1988: NewHaven

(4) Liebman and Don-Yehiya (1983)
Civil Religion in In Israel. Berkeley: university of California at Berkeley Press.

(5) كسيي يؤاف · جيش الدفاع الإسرائيلي في أوشفيتز 50 سنة متأخر جداً ·مجلة بمحنيه. 15 نيسان 1992.

الإسرائيلية. وقد اعتُبرت المحرقة حدثاً تاريخياً أثّر بصورةٍ عميقةٍ جداً على حياة الإسرائيليين، حتى أكثر من إقامة دولة "إسرائيل"[5].

وقد وجدت "المحرقة" موقعاً مميّزاً لها في أجندة الاحتفالات والمراسيم الإسرائيلية. وفي معظم الأفلام السينمائية والرّوائيات والمسرحيات والقصص حتّى، بدا خطاب المحرقة عبارة عن ثقافةٍ تخليديةٍ اقتحمت مجال العملية التربوية أيضاً، حيث طرحت - وتُطرح - فيها السيادة والقوّة الإسرائيلية كردٍ على معسكرات "الإبادة".

كما اعتبرت القصّة والسرد عبر النصوص المكتوبة القناة الرئيسية لنقل الذاكرة إلى معظم الجيل الناشئ، الذي يتعرّف إلى "المحرقة" في مراحل تعليمه الأولى من الصّافرة التي تُطلق في يوم "المحرقة". يقول "جيمس يانغ:" تلفّنا الصافرة طوال دقيقتين بصوتٍ يجمع الجميع في حيّزٍ واحدٍ من الزمان، ويحوّل الأرض التي نقف عليها إلى حيّز ذاكرةٍ عامّة"[7].

ثانياً: "الحجيج" اليهودي إلى بولندا

في عام 1988، بدأت وزارة المعارف الإسرائيلية بإرسال وفودٍ شبابيةٍ لزيارة ما يسمّى بأنقاض "المحرقة" في بولندا. ولم يكن مسموحاً لهكذا زياراتٍ أن تنظّم قبل هذا التاريخ بسبب العلاقات الدبلوماسية المضطربة التي كانت سائدة بين "إسرائيل" و"بولندا". يقول عوديد كوهن، مدير قسم الشبيبة في وزارة التعليم (سابقاً)، وهو أيضاً من أهمّ منظمي الرّحلات إلى بولندا: (في أعقاب الرّحلات إلى بولندا، أضحت دولة "إسرائيل" مفهومة أكثر كتعبيرٍ عن نهضةٍ واستقلالٍ وقدرةٍ على الدفاع عن النفس)[8].

و"هذا يشكّل أيضاً الدرس الجديد حول المسؤولية في عصرٍ يسوده انحطاطٌ أخلاقيٌ وقيمي"[9].

---

(6) أورون يانير -1993 هوية يهودية إسرائيلية- إصدار سفريات بوعاليم تل أبيب. (بالعبرية).

(7) (Young, James, 1993, The texture of Memory: Holocaust Memorials and Meaning. New Haven: Yale University Press).

(8) محاضرة في 22 شباط 1944.

(9) نفس المصدر السابق.

وقد طُرحت هذه الزيارات أيضاً كحلٍ لخلق حالة انسجامٍ بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين، حيث يُفترض أن تتلاشى التناقضات الاجتماعية والطائفية والأيديولوجية أمام هول المأساة (وجهة نظر صهيونية). ففي تريبلينكا ومايدانك وأوشفيتز (أسماء "المحارق النازية") لم "يعد للفوارق أيّ وجود ... هناك صرنا شعباً واضحاً: الشعب الذي ذُبح"[10]..

في كلّ عام، يزداد عدد المشاركين في "الحجيج" إلى بولندا. وتُعتبر وزارة التعليم المنظّم الرئيس لهذه الرحلات، وهي التي تحدّد أماكن الزيارات ومواعيدها. أمّا الأهداف المعلنة لوزارة التعليم حول هذه الزيارات، فهي التعرّف على "الثراء الرّوحي والثقافي ... وعلى حيوية الحياة اليهودية في بولندا قبل الحرب العالمية، وتلمّس الانحدار الذي وصل إليه النازيون".

وتُعتبر هذه الرحلات جزءاً " لا يتجزّأ من العملية التربوية التعليمية داخل "إسرائيل".

"الحجيج" الديني إلى بولندا"

أجمع علماء الاجتماع والنفس على اعتبار أن الرحلات الإسرائيلية المنظّمة للشباب إلى بولندا للتعرّف إلى آثار المحرقة "هي حجيجٌ في إطار الدّين المدني". ووفقاً لـ"فيكتور ترنر"، فإن الحاج هو الإنسان الذي يغادر منزله ليقوم برحلةٍ ترتبط بمشاقّ ومخاطر إلى مكانٍ مقدّسٍ موجودٍ في الهامش يتحوّل في نظر الشخص ذاته في تلك الأثناء إلى مركز"[11].

في هذا المركز، يعيش الإنسان حالة الجماعة؛ ليس في ظلّ وجود جماعةٍ من الناس جنباً إلى جنب، وإنما بكونهم معاً. الشعور بالوحدة الذي يتكوّن عقب الاحتكاك مع مواضيع مقدّسة لمجتمع الشخص، "الحاج"، يجعله يشعر بأنه إنسانٌ مختلفٌ حين يعود إلى بيته. كما أن المكانة الجديدة التي يتمتّع بها "الحاج" بين معارفه كمنحةٍ شرعيةٍ اجتماعية تعزّز شعوره بأن التجربة العاطفية التي عاشها في المركز المقدّس أحدثت تغييراً لديه[12].

(10) كبرن. نيلي. محرّرة. 1933. جولة شبابية في بولندا (بالعبرية).

(11) Turner. Victor 1973. The center out There The Pilgrim's Goal, in History of religion

(12) (Turner 1978. Turner 1969 &1973). Image and Pilgrimage in Christian. Culture. Oxford University Press.

معسكرات الاعتقال أو "المحارق النازية" حسب التعبير الصهيوني هي محور الرّحلة. بادئ الأمر يوهَم الوافد إلى هناك بأن هذه الأماكن ليست من صنع الإنسان، وإنما هي مراكز مقدّسة؛ هي لقاءٌ بين السماء والأرض أو أماكن ("تجربة تعافٍ من جديد لتجديد الحيوية للسموّ بالنفس وحمداً لله")[13].

وتمثّل مراكز الاعتقال انجذاباً غريباً للشبيبة الإسرائيلية، حيث تجمع بين المفهوم والمبهم، وبين الغريب والجذّاب، فتبدو الرّحلة وكأنها نزولاً إلى مجاهل الموت.

إن هذا الحجيج يأخذ التلاميذ إلى اللاّمكان، إلى الأخر الشيطاني، الشرّير، بُغية زيادة وعيهم وإدراكهم للتهديد الوجداني لعالمهم؛ ومن خلال ذلك، إعطاء مغزىً جديدٍ لعالمهم البديهي المتمثّل بإسرائيل[14].

كما أن التجربة العاطفية للّقاء مع الموت تقوّض النظام الأخلاقي والشعور بالزمن الأفقي. يقول "جيمس يانغ" أن "البقايا" (في معسكرات "الإبادة")- تميل إلى طمس التمييز بين ما هي (ماهيّتها) وبين ما تولّده أو تطرحه في استحضارها". فهذه "الأماكن -النّصب- التذكارية لا ترمز إلى الماضي وحسب، بل تقدّم نفسها كبقايا للأحداث ذاتها[15].

هذا الطمس للزمن يتعاظم حين يروي "الناجي" قصّته، مشيراً إلى "البقايا" كشاهدٍ موثوق. إن التأثير الأوّل هو تبديد شعور التلميذ بالوجود في الزمن والفراغ، لاسيّما أن هؤلاء (التلاميذ) يُحشرون في أماكن ضيّقةٍ ومظلمةٍ في المعتقلات، حيث يسيرون كنعاجٍ مُساقةٍ إلى الذّبح، فينفجرون بكاءً ويعانقون أحدهم الأخر. ثمّ ينتهي البكاء بإنشادٍ حماسيٍ للنشيد الوطني "الإسرائيلي"؛ وتنتهي الطقوس برفع علم "إسرائيل" عالياً باعتباره الملجأ والمنقذ والمخلّص لليهود!

يقول د. "جاكي فيدلمان"، وهو أستاذٌ في جامعة بن غوريون في بئر السبع، حول ذلك، أن

(13) (Cohen, 1992).

(14) د. جاكي فيدلمان مجلّة قضايا إسرائيلية (العدد 36).
في أعقاب الاستغلال الإسرائيلي للمحرقة. الوفود الشبابية الإسرائيلية إلى بولندا والهوية القومية

(15) (Young, 1993).

"الطالب يدخل إلى الآخر الشيطاني في عالم الموت، كي يحيله ويسيطر عليه بواسطة رموز الدولة. وهو حين يفعل ذلك، يكتشف أن "أوشفيتز" ليس موتاً وهلاكاً فحسب، وإنما مكان (يتقاطع فيه الزمن والحيّز) سيءٌ يمكن التغلّب عليه؛ لكن بثمنٍ جسيم فقط. والانتصار على الآخر من طريق مظاهر ورموزٍ تمثّل الدولة هو الذي يحوّل معسكرات الإبادة إلى مراكز؛ إلى مهد ميلاد الدولة. إدراك التلاميذ المتزايد للخطر الوجودي، والشعور بالتغلّب على هذا الخطر- بفضل وجود الدولة- يولّد لديهم التزاماً تجاه قيمٍ قوميةٍ وثقافيةٍ أساسية"[16].

ثمّ يترجم فيدلدمان آثار هذه الرّحلات على التلاميذ، باعتبار أن إسرائيل تكتسب بواسطة اللقاء الطقسي مع مراكز الموت قيمة جذّابة وأخلاقية جديدة. فعودة التلاميذ إلى "إسرائيل" في نهاية الرّحلة تتحوّل إلى عملية هجرة، وتتحوّل بلاد الحياة البديهية إلى محجٍ ومركزٍ مقدّسٍ للحياة.

ويحظى التلاميذ بعد عودتهم بمكانةٍ أو وضعيةٍ جديدةٍ كـ"شهود للشهود"، تقع عليهم مسؤولية أن يقصّوا الرواية وأن يذكّروا أو يتذكّروا. وهكذا تُبنى الرحلة كمراجعةٍ طقسيةٍ لعملية البقاء"[17].

التحضير للرحلات...

قبل بضعة أشهرٍ من انطلاق الرحلة، يتمّ تسجيل المشاركين فيها، وذلك ضمن أماكن معيّنة، لاسيّما في الكيبوتسات. وتسافر صفوف دراسية بأكملها إلى بولندا. وتبلغ تكلفة الرّحلة للشخص الواحد بين (1000-1500) دولار يتولّى الأهالي دفعها. وتقدّم وزارة التعليم وبعض البلديات عدداً من المنح المعدودة لبعض التلاميذ الفقراء الذين لا يستطيعون دفع تكلفة الرّحلة. ولكن، يبقى أن معظم التلاميذ المشاركين في هكذا رحلاتٍ هم أشكنازيون من الطبقة المتوسطة وما فوق، في حين لا يشارك أبناء السفارادیم نظراً لفقرهم.

---

(16) د. فيدلدمان. في أعقاب الاستغلال الإسرائيلي للمحرقة.

(17) المصدر السابق.
وأيضاً. فيدلدمان. جاكي 2000 / رحلات أبناء الشبيبة الإسرائيليين إلى بولندا - بحثاً عن المحرقة - رسالة للقب الدكتوراة. الجامعة العبرية. القدس.

وبذلك تؤدّي الرحلة المفترض أن توحّد حال جميع المشاركين فيها في تجربة المصير المشترك إلى مزيدٍ من التشرذم الطائفي والطبقي الاجتماعي، وتسبّب شرخاً في التراتبية الاجتماعية لليهود.

وفيما تأخذ بعض المدارس وقتاً طويلاً للتحضير لرحلة "بولندا"... تقوم مدارس أخرى بالأمر في وقتٍ أسرع. ويعمل الجميع على تهيئة التلاميذ للصعوبات العاطفية المرتبطة بالرحلة، وتزويدهم بإرشاداتٍ أمنيةٍ تعزّز وعيهم وإدراكهم للمخاطر في بولندا.

كذلك تشمل عملية تحضير التلاميذ، تزويد المشاركين بخلفيةٍ تاريخية عن "المحرقة"، وعرض "البومات" صورٍ التقطها من سبقهم إلى هكذا رحلات.

وتُعتبر الرحلة تجربة حسّية وعاطفية للتلاميذ الذين يرافقهم رجال أمن "إسرائيليون" مسلّحون ومرشدون وطبيب وممرّضة، بالإضافة إلى مرشدين بولنديين يتولّون تنسيق الأمور اللوجستية وثلاثة "شهود" من "الناجين" الإسرائيليين المرافقين للمجموعة.

السفر إلى بولندا طويلٌ وشاقّ. والحافلات تسير بموافقة حرّاس إسرائيليين. يُطلب من التلامذة عدم الافتراق عن بعضهم البعض، والبقاء دوماً تحت مرافقة ومراقبة الطاقم الأمني. يرتدي المشاركون في الرحلة قمصاناً خاصّة بألوان العلم الإسرائيلي، طُبع عليها نجمة داوود وكلمة Israel بأحرفٍ لاتينيةٍ كبيرة. يتّخذ الحرس الإسرائيليون ترتيباتٍ أمنية خاصّة أثناء هذه الرحلة، وتُفرض قيودٌ معيّنةٌ على المشاركين فيها، تجعل التلامذة يشعرون بانعدام الأمن في الشتات؛ ومن هنا نرى تتراءى لهم الإبادة النهائية كاستمرارٍ طبيعيٍ لذلك. إنه لشيءٌ خطيرٌ أن يبقى المرء وحده. فلا وجود لفراغٍ خالٍ أو زمانٍ حرّ. الأمن الوحيد متوفّر في الفراغ الداخلي. في الحافلة والفندق. فقط اليد الطولى للدولة، الممثّلة في صورة رجال الأمن، هي القادرة على المحافظة على أمن وسلامة اليهود في العالم الخارجي[18].

وخلال الرّحلة، يشعر التلامذة أن رجال الأمن هم المثال الأعلى الذي يجب طاعته. يقول

(18) د. جاكي فيلدمان. قضايا إسرائيلية. العدد 36.

دون وليئا هندلمان أن "التجربة والمعرفة والعاطفة والولاء لدى الطفل تنبع كلّها فقط من المجموعة الأوّلية المحيطة، وهي الأسرة أو العائلة: فخلال سنوات ارتياده لمؤسسات التعليم، من المفروض أن يُعاد بناؤه في صورة وماهيّة المواطن الذي يعطي ولاءه الأوّل للفكرة المتجرّدة المتمثّلة بالدولة القومية"[19].

وصف مميز لأحد الطلبة:

قدّم أحد الطلبة الذين زاروا بولندا ضمن الرّحلات "التربوية" التي تُطلقها السلطات الإسرائيلية لتخليد ذكرى "المحرقة"، وصفاً مميّزاً لهذه الظاهرة بقوله: بولندا، يبدأ كلّ شيء من ساعة الوصول إلى الطائرة؛ هي شبة عربةٍ لزمانٍ يأخذنا إلى الماضي. في ذاك المكان، بدا العالم كأنه منقسمٌ إلى قسمين: الحاضر، والماضي. في النهار، كنّا نسافر بواسطة حافلة ركابٍ بولندية تسافر بنا إلى الماضي؛ ماضي اليهود. ماضٍ يتركّز في بولندا؛ في السهول المترامية التي كانت قد شيّدت عليها بيوتٌ فخمةٌ من الآجر الأحمر.

كانت توجد داخل هذه البيوت أرائك خشبية ومدافن. قسمٌ من هذه البيوت حوّل إلى متاحف عُرضت فيها أحذية وأكوامٌ من عدساتٍ طبيّة. أكوامٌ من أطرافٍ اصطناعيةٍ وتماثيل ومشاهد قاسية. كلّ شيءٍ في بولندا يرتبط فجأة بمعانٍ متداعية. هناك إحساسٌ بالضيق وشعور بالتكدّر وانقطاعٌ عن العالم.

ويضيف: في المساء، نغادر عالم الماضي إلى عالم الحاضر، حيث تقلّنا نفس الحافلة إلى الفندق. هناك نجلس ونرتاح بعد المشاهد التي رأيناها في النهار. نتحدّث عن الماضي ونُفرغ الشحنة المتراكمة ونهيّء أنفسنا ليوم جديد. نحاول استعادة حالةٍ مزاجيةٍ تلاشت. هنا في بولندا، الكلّ يؤازر الكلّ؛ فكلّنا في قاربٍ واحد، في بلادٍ غريبة"[20].

وعلى الرّغم من أن الرّحلة تشمل زياراتٍ إلى معسكرات الموت وأماكن تواجد اليهود قديماً

(19) The presence of Absence. The Memorialism of National Death in Israel-Don &Lea Handelman

(20) كتاب رحلة إلى بولندا، كريات غات 69، 1993.

في بولندا، إلاّ أنها تشمل أيضاً بعض الزيارات الخفيفة لأماكن سياحيةٍ بولندية، بُغية "التخفيف عن النفس". وتستمرّ الرّحلة لـ8 أيام، يُخصّص معظمها لزيارة أماكن الموت. أمّا عطلة السبت، فيمضيها المشاركون في "كركون"، ممّا يتيح لكلّ مجموعةٍ الاحتفال يوم الجمعة بطقوس استقبال عطلة السبت معاً في الكنيس اليهودي دون جمهورٍ محلّي.

الشاهد "الحي":

يرافق كلّ مجموعةٍ "ناجٍ" من معسكرات الإبادة. وهو ليس بالضرورة معلّماً، ولكنّه نموذجٌ يطرح نفسه كشخصٍ مؤثّرٍ يتحرّك ويقوم بأعمالٍ ونشاطاتٍ تجلب العطف. وهو يقدّم نفسه كبطل، قبل أن يباشر بسرد روايته. والملفت أن الشاهد هو دوماً صاحب وجه مملوء بالتجاعيد، منحني الظهر "لثقل حمولة السنين"، ويتكلّم كشخصٍ أتٍ من هناك، من عالم "المحرقة"؛ وكتجسيدٍ للموتى، فإن حضوره وتواجده في الأماكن التي عاش فيها تجاربه الشخصية يشكّلان شهادة أكثر أهمّية من فحوى قصّته. يصف أحد التلاميذ ما رآه في "بيركناو" (معسكر اعتقال) بالتالي: "رأينا الأشياء أثناء تجوّلنا في المكان حقيقية تماماً ... حتى الآن قالوا لنا: ستشاهدون هناك أسواراً... نُصباً تذكارية ... مراسم ... حين تأتي ترى أمامك كلّ شيءٍ بالضبط صحّة وحقيقة... يأتي شخص ويروي ماذا حدث وكيف ... لقد أثّر عليّ ذلك كثيراً"...

أما مهمّة الشاهد، فلا تقتصر على سرْد ما حصل وكيف وأين حصل. بل تتعدّى ذلك إلى الحديث عن هجرته إلى إسرائيل وكيف احتضنته (الدولة الأمّ) بعد عذابٍ طويل. وهو ما يوصف في الكثير من الأحيان على أنه ذروة الصراع البطولي من أجل البقاء. ويذكّر الشاهد التلامذة الحاضرين بضرورة نقل ما رأوه إلى أصدقائهم وأهلهم؛ وهو بذلك يضعهم في وضعية الوارث له ولضحايا المحركة كلّها. كما ويمجّد الطلاّب الذين أعطوه "القوّة والانتصار" بقدومهم إلى معسكرات "الإبادة". ثمّ ينهي: أنتم الردّ الملائم على النازية واللاسامية ... عليكم أن تُنجبوا أطفالاً كثيرين حتى يتمكّن شعبنا أن يحيا إلى الأبد[21].

(21) من كلام لأحد الناجين أثناء مراسم أقيمت في بيركناو في 17 أيلول 1995. وقد نقل هذا الكلام أحد الطلاّب المشاركين في رحلة بولندا.

مراسم "التخليد" في بولندا

لا تختلف مراسم "التخليد" في بولندا عن غيرها في إسرائيل لناحية الأسلوب، حيث تخلق هذه المراسم وحدة مشاركة وجدانية وشعوراً جماعياً، وذلك بتكرار النصوص والأغاني والقصائد المعروفة. وهذه المراسم مشابهةٌ للنمط المهيمن على مراسم إحياء ذكرى يوم الكارثة التي تُقام في جميع المدارس الإسرائيلية؛ إذ يبدأ الطقس بتلاوة قدّاس الترحّم، ثمّ نذر النذور، ثمّ قراءة رسالة "مردخاي أينلفيتش"، ثمّ مقطع من شهادة، أغنية (المغنّي الإسرائيلي يهودا) أه (دموع الملائكة). وفي الختام، النشيد الوطني الإسرائيلي (هتكفا).

غير أن ما يختلف في مراسم التخليد في بولندا، هو التواجد في مكان وقوع "المحرقة"، وبعد مشاهدة مناظر مروّعة، ممّا يضاعف التأثير العاطفي بحيث يتحوّل النشيد الوطني إلى صيحة انتصار، في حين يُنشده الطلاّب في المدارس "الإسرائيلية" بفتورٍ وعدم اكتراث".

إلى جانب هذه المراسم، تُجمع التذكارات، مثل: قطع من جدارٍ شائك، رماد، أحذية من مايدانك، وتُضاء الشموع في "المحارق" المزعومة. وفي منتصف الزيارة لمعسكر أوشفيتز، تُقام مراسم فردية لكلّ شخصٍ له إسم في "الجناح اليهودي المعتم"، والذي يتلو خلاله الطلاّب أسماء عائلاتهم. وتنتهي الزيارة بمراسم تشارك فيها جميع الوفود فوق "أطلال الموت" وتحت راية علم "إسرائيل" المرفوعة عالياً. ثمّ تُختتم الرحلة بمراسم تُقام في نصب "ربابورت" في غيتو "وارسو"، حيث يرفع الطلاّب أعلام الدولة عالياً قبل أن يصعدوا إلى الطائرات التي تعيدهم إلى "إسرائيل".

إعتراض وتمرّد:

رغم التأميم القومي لرسائل المحرقة، الشائع في كلّ أشكال هندسة وتصميم الزمان والمكان في بولندا، فإن هناك رسائل كسرت الأنماط القائمة، كما ظهر في "مراسم" أقامها طلاّب إحدى المدارس، قرب "حُفر القتل" في "مايدانك"، مباشرة بعد انتهاء المراسم الجماعية، لذكرى طالبين من أبناء صفّهم مات أحدهما في تدافعٍ أثناء حفلٍ غنائي وآخر في حادث إطلاق نار. فقد

جلس الطلاّب في حلقةٍ دائرية على الأرض يغنّون أغنيتين كتب كلماتهما أحد الطلاّب لذكرى زميله المتوفّى. لم ينشدوا "هتكفا"، مّما أوجد أستياءً من جانب أفراد الطاقم؛ وقال نائب رئيس الوفد: "لقد أصرّوا على هذه المراسم، مع أنني قلت لهم: لا يجوز الخلط بين حزنٍ وحزنٍ". وقد عبّر أعضاء الوفد عن رفضهم لإحياء ذكرى موتٍ غير مقدّس، في مكانٍ مقدّس. غير أن الطلاّب رفضوا الانصياع لأوامرهم وتابعوا "مراسمهم". يقول أحد المدرّسين عن ذلك: إنهم لا يبكون على الأموات فقط، بل يبكون على كلّ شيء"[22].

كبت وتهميش:

يعلّق د. جاكي فيدلدمان على الرّحلات إلى بولندا بأنها عالم "طقوسٍ مقفلٍ يهمّش أو يتغاضى عن رسائل أخرى، يصعب سماع صوتها في إطار نمط الذاكرة المهيمن، والمتمثّل بالانتقال من "الكارثة-المحرقة إلى النهضة". ثمّ يتطرّق إلى الرسائل التي تؤدّيها هذه الرحلات:

1- يكرّس للموت في المحرقة وقتٌ أطول ومراسم أكثر من الوقت والمراسم المكرّسة للحياة اليهودية السابقة في بولندا. كذلك، فإن جزءاً من أماكن الحياة اليهودية توحي بالموت، فالكنيس خالٍ من اليهود؛ وهذه الأماكن هي بمثابة موتٍ بوتيرةٍ منخفضة. فالموت يحجب الحياة. كما أنه لا تجري أيّ محاولة للالتقاء مع يهود أحياء، بحيث يساعدون في تخفيف حدّة صورة بولندا كمقبرةٍ يهوديةٍ كبيرة.

2- لا لقاء مع يهود الشتات، ولا يُبذل أيّ جهدٍ لذلك. فيهود الشتات هم الوحيدون الذين يحتكّ التلاميذ معهم بشكلٍ ملموس. هم الشهود النّاجون من المحرقة. صحيحٌ أن الشاهد يروي قصّة حياته؛ لكنّ هذه القصّة تُسرد داخل الفقاعة "الإسرائيلية" المسدودة في الحافلة. وفي معظم الأوقات، ينام الأولاد أثناء ذلك.

3- لا لقاءات مهمّة مع بولنديين. حتّى المرشدين البولنديين المرافقين للمجموعة يلتزمون الصمت أو يتمّ إسكاتهم من جانب المرشدين الإسرائيليين. ويصادف التلاميذ أثناء مكوثهم في

(22) بحث جاكي فيلدمان خلال 1992-1997، وشمل مرافقة سبع مجموعاتٍ شبابية إلى بولندا.

بولندا تعابير تُنعش وتدعم آراءهم المسبقة التي تُعتبر بولندا بموجبها بلداً خطراً ومعادياً للسامية. وبما أن معظم التلاميذ لا يملكون الخلفيّة التاريخية المطلوبة؛ فهم يستبدلون النازيين بالبولنديين في الحاضر... وفي أمسية الامتنان والتقدير ل"محبّي الشعب اليهودي" التي تُقام خلال الرّحلة، لا يظهر المنقذ البولندي على المنصّة إلاّ في وقتٍ متأخرٍ من الأمسية، كما أنه يظهر وسط فراغٍ داخلي إسرائيلي كشخصٍ مجهولٍ يحظى بالتقدير بفضل دولة إسرائيل.

وخلافاً للناجين الذين يروون قصصهم في معسكرات الإبادة، لا يُعطى "محبّ الشعب اليهودي" هيبة أو صلاحيّة المكان. يقول "الفيلسوف" عمانوئيل ليفيناس" أن "العلاقاتِ الأخلاقية الحقيقية لا تنبع من قبول منظومة ومبادئ مجرّدة، وإنما من لقاءات محلّيةٍ مع الوجه العاري والحسّاس للآخر، والتي تدفعنا إلى إجراء حوارٍ معه وتولّد لدينا شعوراً بالمسؤولية تجاهه[23].

لا يتضمّن برنامج الرحلة لقاءً مهماً مع آخر، بحيث يشكّل مثل هذا اللقاء موضوعاً للتماثل والتعاطف. وبالتالي، تضيع الفرصة لفهم الأحداث بواسطة الوعي التاريخي للآخر، والذي يمكن أن يؤدّي إلى مزيدٍ من الوعي والإدراك الأخلاقي وإلى قبولٍ أكثر للآخر في الحياة الخاصّة للطلاّب.

4- الجدول الزمني المزدحم، والإرهاق الناجم عن السفريات الطويلة في الحافلات، والانتظار الطويل للمجموعات الأخرى، والطابع المتوقّع للمراسم ... كلّ ذلك يؤكّد إغلاق الدوائر باستخلاص العبر وإنهاء الحديث. وفي إحدى القصائد، كتبت إحدى الطالبات: "إذا سألتني لماذا نسافر إلى هناك، سأقول لك: سافر إلى هناك وستعرف[24].

وهكذا يتبيّن أن الرّحلات إلى بولندا تمثّل عنصر تشكيلٍ قوي في بلورة الذاكرة الجماعية للمحرقة وللعلاقة بين "المحرقة" و"الدولة". وفي هذا الإطار يجب فهمها؛ ليس ضمن المراسم والطقوس، بل ضمن خطّةٍ صهيونيةٍ ثابتةٍ تصوغ وعياً وسلوكاً مستقبلياً لأجيالٍ تنشئ على الحقد

(23) Levinas, Emmanuel, 1982, Ethique et Infini: Dialogues avec Philipe Newo, Paris Artheme, Fayard.

(24) غورني داخل كيبرون 1993.

والكراهية تجاه الشعوب الأخرى، مقابل انصياع أعمى لـ"إسرائيل الدولة" وسقوط المساومات الأخلاقية والتعاون مع الشرّ والجريمة. وفي الختام، نورد ما قاله كلٌ من توم سيغف 1991، ودان بار أون 1994: "إن إسرائيل لم تُبدِ يوماً استعدادها للإصغاء لقصص الناجين".

ثالثاً: إسرائيل تلعب دور الضحيّة

يصف خبير النفس "الإسرائيلي" "دابليو تشارني" التجريد من الإنسانية بـ"خفض قيمة الأخر بشكلٍ عام؛ بل نزع القيمة عن شرعية قيام الأخر. وهكذا يصبح الأخر أقلّ جدارة بالحياة من غيره. وفي الخطوة السيكولوجية التالية، يتمّ تبرير المسّ بهؤلاء الأشخاص أو قتلهم... هناك دليلٌ على أن الأخرين يشكّلون تهديداً على حياتنا، وأنهم ينوون قتلنا. ولا شيء يمنعهم إلاّ إذا أقدمنا نحن بأنفسنا على منعهم من ذلك"[25].

بهذا الوصف تحدّث "تشارني" عن "مؤامرة لتجريد "إسرائيل" من إنسانيتها! لا عجب.. أجل؛ لا عجب من التمترس بدور الضحية. فهذا حال "الإسرائيليين" جميعاً، الذين يعانون من البارانويا اليهودية، والتي هي مرضٌ نفسيٌ يتميّز بنسْب نوايا عدوانيةٍ للآخر تجعل المريض يحذر ويخاف الأخرين، معتقداً بأنهم يتآمرون عليه ويلاحقونه لأنه الأفضل[26].

هذه البارانويا تبرّر أعمالاً عدوانية ووحشية، كما هو الحال عند ارتكاب الصهاينة للمجازر. فهم يبرّرون اعتداءاتهم بأن الفلسطيني أو العربي يريد قتلهم. وهنا نرى بوضوح إسقاط العدوانية الإسرائيلية على الضحية الفلسطينية.

وقد استمرّت "إسرائيل" في احتكار صورة الضحية عالمياً حتّى وهي تخطّط لغزو غزة. إذ أنتجت لذلك ثلاثة أفلام عن الهولوكوست قبل أن تضرب غزة وتقتل المئات من الأطفال والنساء وتدمّر البيوت والمصانع وكلّ شيءٍ حيّ. وكأن "إسرائيل" تريد بذلك أن تُشهد العالم بأن هذه المجازر تظلّ أقل مما تعرّض له اليهود أثناء الإبادة النازية المزعومة، أو لتقول "نحن نقتل للشعب الفلسطيني لا تنظروا لأيدينا... تذكّركم بالمجازر التي عانينا منها".

---

(25) موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على شبكة الإنترنت.

(26) د. مروان دويري/ عامل الخوف والشعور بالذنب في السياسة الإسرائيلية.

إن الهولوكوست الحقيقي هو ما جرى في غزة، من مجازر وحشيةٍ وقتلٍ وتدمير. أو لم يستعمل الفوسفور "الشواء" الأبيض لحرق أجساد هؤلاء؟ أوليست هذه هي المحرقة بعينها؟ لكن، قبل التحدّث عن ما جرى في غزة، لا بدّ من الإشارة إلى تقرير غولدستون الشهير، الذي أدان الكيان بارتكاب جرائم حربٍ في القطاع.

ففي الثالث من إبريل عام 2009، أنشأ رئيس مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة بعثة لتقصّي الحقائق حول الجرائم التي ارتكِبت أثناء حرب غزة الأخيرة. وقد عُهِد برئاسة البعثة إلى "ريتشارد غولدستون"، القاضي السابق بالمحكمة الدستورية لجنوب أفريقيا، والمدّعي السابق للمحكمتين الجنائيتين الدوليتين ليوغوسلافيا السابقة ورواندا.

وفي الخامس عشر من سبتمبر 2009، كشفت البعثة عن تقريرها النهائي المؤلّف من 600 صفحة، والذي يتناول نتائج عمل البعثة، خلصت فيه إلى أن "الجيش الإسرائيلي" ارتكب أفعالاً تصل إلى جرائم حرب، وربّما بشكلٍ أو بآخر جرائم ضدّ الإنسانية". واعتبر التقرير أن إطلاق قذائف من الفوسفور الأبيض على منشآتٍ لوكالة الأونروا، والقصف المتعمّد للمستشفيات، كلّ ذلك شكّل خروقات للقانون الإنساني الدولي. واتهم التقرير "إسرائيل" بفرض عقوباتٍ جماعيةٍ على سكّان غزة البالغ عددهم نحو (1.5) مليون نسمة، ليستنتج بأن العملية العسكرية كانت موجّهة ضد سكّان القطاع بشكلٍ جماعيّ (أي أنه كانت هناك نيّة إبادةٍ جماعيةٍ إسرائيليةٍ ضدّ الفلسطينيين تشابه الفكر النازي الهتلري).

وأوصى التقرير مجلس الأمن الدولي بمطالبة "إسرائيل" ببدء تحقيقاتٍ مستقلّة وتتّفق مع المعايير الدولية في ارتكاب جرائم حرب على أيدي قوّاتها، وتشكيل لجنةٍ من خبراء حقوق الإنسان لمراقبة مثل هذه الإجراءات، مع التشديد على أنه إذا تقاعست "إسرائيل" عن القيام بذلك يجب على مجلس الأمن (15 عضواً) أن يحيل الوضع في غزة إلى مدّعي المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي[27].

قد رأى كثيرون في هذه التوصيات فرصة نادرة لمحاكمة "إسرائيل" على جرائمها الوحشية

(27) المركز الفلسطيني للديمقراطية والدراسات والأبحاث. شبكة الإنترنت.

ضدّ قطاع غزة، لاسيّما ضدّ المدنيين والأبرياء من شيوخ وأطفال. لكنّ مطالبة السلطة الفلسطينية مجلس حقوق الإنسان الدولي بإرجاء مناقشة التقرير شكّل صدمة للفلسطينيين، رغم كلّ التبريرات التي تذرّعت بها هذه السلطة.

لقد تألّمت النائبة السابقة لرئيس "البرلمان الأوروبي" "لويزا مورغنشين" حين تحدّثت مع طفل غزّاوي، لدى زيارتها غزة مع وفدٍ برلماني أوروبي، قال لها أنه لم يبق له سوى أن ينتظر كيف سيموت... الفلسطينيون في غزة لم يكن بإمكانهم الهرب إلى أيّ مكانٍ في القصف الإسرائيلي الذي بدأ بمجزرةٍ دمويةٍ شاهدها العالم أجمع عبر الفضائيّات. ولكن، لم يكن هنا أية محاولةٍ دوليةٍ لوقف هذا العدوان حتى أو إدانته[28].

رابعاً: وشهد شاهدٌ من أهله

بتاريخ 27 كانون الأوّل 2008، أشعلت "إسرائيل" حربها على قطاع غزة، في وقتٍ كانت فيه معظم الفصائل الفلسطينية ملتزمة بالتهدئة. فجاءت هذه الحرب لتنسف الالتزامات؛ ونظراً لتفاوت القدرة العسكرية بين "إسرائيل" والفصائل الفلسطينية في غزة، كانت نتيجة هذه الحرب مروّعة، حيث ذهبت ضحيتها 1500 شهيد، بينهم حوالي 920 أسيراً مدنياً و281 طفلاً و111 إمرأة، و4336 إصابة بينها عددٌ كبيرٌ من الأطفال والنساء. كما خلّفت الحرب الألوف من ذوي الإعاقات الدائمة، فضلاً عن تدمير معظم المنازل والأحياء والمراكز السكنية والاستشفائية والجامعات ودور العبادة ومراكز حكومية ومؤسسات دولية، بما في ذلك مقرّ هيئة الأمم المتحدة. وقد استخدمت "إسرائيل" في هذه الحرب أسلحة عديدة محرمة دولياً من بينها الفوسفور الأبيض الحارق الذي أنتج محرّقة حقيقية في قطاع غزة وعلى أجساد أبنائها.

تقول الكاتبة اليهودية "سارة روي"، وهي باحثةٌ في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفرد، في مقالٍ نشرته صحيفة "كريستيان ساينس مونيتور" الأميركية أن اليهود كانوا يحتفلون بعيد "حانوكاه" أو عيد الأنوار اليهودي الذي يبشّر بالعودة للحياة: كيف لي أن أحتفل، بينما الفلسطينيون يتعرّضون للقتل!

---

(28) موقع الجزيرة نت، 2009/1/12.

وتتساءل: كيف يكون "ميثاق اليهود" مع الربّ حاضراً عند قيامهم بقمع واضطهاد وقتل الفلسطينيين... إن إسرائيل هي من بدأت الحرب وانتهكت الهدنة مع الفلسطينيين.

تضيف الكاتبة، وهي مؤلّفة كتاب (السلام الفاشل)، إنها لم تشاهد مثل تلك الصور المروعة لأجساد الأطفال الفلسطينيين المشوّهة والمحروقة في غزة منذ أكثر من 25 سنة من الصراع، موضحة أن تلك الصور بالنسبة للفلسطينيين ليست مجرّد صورٍ مرعبةٍ عابرة، بل هي واقعٌ يعيشونه ولا يمكن تحمّله. وتتابع: "إن "انتصارات إسرائيل" باهظة الثمن، وتعبّر عن قصورٍ كبير مثل عدم قدرتنا على العيش بلا جدرانٍ من حولنا، فهل تلك الجدران هي حياتنا بعد "المحرقة"؟ وتتساءل: كيف لنا أن نتخلّص من الخوف ونتصوّر شيئاً مختلفاً؟

وهل الحلّ يكمن في الاحتلال والسيطرة على أرض المرء وبيته ومصدر رزقه وتجاهل عواطفه واحتقار مطالبه؟ أم بقتل أطفاله وتشويههم. فماذا يحدث لمجتمع نُغلق أمامه كلّ الطرق والآمال والاحتمالات؟

خامساً: إستخدام الفوسفور الأبيض ضدّ المدنيين

إن أكثر أنواع الأسلحة المستعملة من قبل الإسرائيليين أثناء حرب غزة كان ذاك الذي يحتوي على الفوسفور الأبيض الحارق والمحرّم دولياً. فما هو الفوسفور الأبيض؟ الفوسفور الأبيض هو مادّة شمعية شفّافة وبيضاء مائلة للاصفرار، لها رائحة تُشبه رائحة الثوم وتُصنع من الفوسفات. وتتفاعل هذه المادّة بشكلٍ كبيرٍ مع الأوكسجين وتتحوّل إلى خامس أوكسيد الفوسفور بدخانٍ أبيض.

والمعلوم أن جسم الانسان مكوّنٌ من الخلايا. والخلايا تحتوي على الأوكسجين الذي يتفاعل بسرعةٍ كبيرةٍ مع الفوسفور؛ سواء عن طريق التلامس المباشر أو الاستنشاق. إنّ لقنبلة الفوسفور شكلٌ مميّز؛ فهي قد تبدو كألعابٍ ناريةٍ تضيء السماء وتتّجه نحو الأرض. وأما اللمعان الناتج عن تفاعل الفوسفور مع أوكسجين الجوّ، فيُنتج بدوره غازاتٍ حارقة ذات حرارةٍ عاليةٍ وسحبٍ من الدخان الأبيض الكثيف.

ويمتدّ أثر الفوسفور الأبيض إلى مدىً بعيد. فإذا تلوّثت منطقةٌ ما بهذا الفوسفور، فقد يترسّب في تُربتها وأنهارها وبحارها، ما يؤذي الكائنات البحرية كالأسماك، ويسبّب كارثة بيئية تهدّد سلامة البشر.

يُحرق الفوسفور الأبيض جسم الإنسان ولحمه، ولا يتبقّى منه سوى العظام. كما أن استنشاق هذه المادّة لفترةٍ قصيرةٍ يسبّب السعال الشديد ويهيّج القصبة الهوائية والرّئة. أما استنشاقها لفترةٍ طويلة، فيسبّب جروحاً في الفم تؤدّي إلى كسر عظمة الفكّ؛ والأجزاء أو الشظايا الصغيرة التي تحمل هذه المادة، تدمّر الأعضاء الداخلية وتسبّب نزيفاً حتى الموت، دون أن يكون هناك حلٌ لإنقاذ المصاب.

إضافة إلى ذلك، تنبعث من الفوسفور الأبيض أثناء اشتعاله سحابه دخانية كثيفة تستغلّها الجيوش للتغطية على تحرّكات جنودها. وتحرّم اتفاقية جنيف لعام 1980 استخدام الفوسفور الأبيض ضدّ السكّان المدنيين أو حتى ضدّ الأعداء في المناطق المدنية. ويُعتبر استخدامه بمثابة جريمة حرب. وتعرّف اتفاقية جنيف المذكورة الأسلحة الحارقة بأنها كلّ سلاحٍ أو ذخيرةٍ تشعل النار أو تحدث لهباً أو انبعاثاً حرارياً يسبّبان حروقاً للأشخاص.

استخدِم سلاح الفوسفور لأوّل مرّة في القرن التاسع عشر ضدّ ما كان يُعرف بالوطنيين الإيرلنديين، وكان على شكل محلولٍ عندما يتبخّر يُشعل حريقاً ويُسبّب دخاناً كثيفاً. ثمّ استُخدِم بعد ذلك في أستراليا ضدّ عمّالٍ موسميّين تظاهروا ضدّ السلطة لتحسين أوضاعهم. وفي نهاية 1916، تمّت صناعة أولى القنابل الفوسفورية في بريطانيا، حيث جرى استعمال هذه القنابل بشكلٍ كبيرٍ في الحرب العالمية الثانية من قِبل أميركا ودول الكومنولث. ثم استُخدِم الفوسفور من قِبل اليابانيين ولكن بشكلٍ أقلّ.

كما استخدم الجيش الأميركي هذه القنابل في حربه ضدّ الفيتناميين، وفي هجومه الوحشيّ على مدينة الفلّوجة العراقية في تشرين الثاني من العام 2004.

وكان شريطٌ وثائقيّ عرضته قناة إيطالية قد كشف عن استعمال الجيش الأميركي للفوسفور

الأبيض المحرّم دولياً، حيث أورد صوراً لضحايا معركة الفلّوجة، وشهاداتٍ لجنود أميركيين تُثبت استخدام هذا السلاح الحارق.

بدورها، "إسرائيل" استخدمت هذا السلاح الخطير أثناء اجتياحها للبنان عام 1982، وفي حربها على هذا البلد في تموز 2006، وأخيراً في حرب غزة (يناير 2008).

وكانت صحيفة "التايمز" البريطانية قد نقلت في عددها 2009/1/5 عن وفدٍ طبّي نروجي قوله أن عدداً من القتلى والجرحى الذي سقطوا في اليوم السابع والعشرين من شهر كانون الأوّل لعام 2008، قد ظهرت على جثثهم وأجسادهم علامات غريبة، بعضها حروق بسبب الفوسفور الأبيض. وبعضها تهتّك في الأعضاء الداخلية نتيجة "استخدام القنابل الحرارية الحارقة". كما أشار الوفد إلى أن أجساد بعض الضحايا تحمل آثار يورانيوم مخصّب وغير مخصّب، وهو من المواد المستخدمة في إنتاج الأسلحة النووية[29].

أما مبعوث منظمة العفو الدولية "كريستوفر غوب"، الخبير في الأسلحة المحرّمة دولياً، فقد أشار إلى استخدام "إسرائيل" للفوسفور الأبيض، وذلك أثناء زيارته مع وفدٍ أممي لقطاع غزة حيث قال: شاهدنا شوارع وأزقّة مليئة بالأدلّة على استخدام الفوسفور الأبيض؛ بما في ذلك بقايا قذائف وعبواتٍ أطلقها "الجيش الإسرائيلي". أما زميلته في الوفد "دونا تيلا روفيرا"، فقد قالت أن استخدام هذه المادّة بشكلٍ مفرطٍ كان عشوائياً، وإن ذلك يعدّ جريمة حرب.

من جهةٍ أخرى، أشار تقريرٌ يابانيٌ نشرته مجلّة (فرايدي) بعنوان "الجحيم بعينه في غزة" إلى أن القوّات "الإسرائيلية" استخدمت ذخائر فتّاكة تنفجر داخل جسم الضحية. ويقول كاتب التقرير بأنه رأى "مصابين لا توجد جروحٌ واضحةٌ على أجسامهم؛ ولكن، تبيّن أنهم يعانون من إصاباتٍ بليغةٍ في الأعضاء، كما أن عضلاتهم وعظامهم تتحلّل وتحترق بتأثير هذه القنابل الفعّالة".

وفي تقريرٍ آخر، أوردته "التايمز" البريطانية تحت عنوان (إسرائيل تُمطر غزة بالقنابل

---

(29) صحيفة التايمز 2009/1/5. موقع المنهجيون في الغربة - شبكة الإنترنت.

الفوسفورية) أن الجيش "الإسرائيلي" يستخدم بحرّية القذائف الفوسفورية، مع التأكيد أن هذه القذائف مكتوبٌ عليها (M625A1)؛ وهي من صنع الولايات المتحدة الأميركية!

في 2009/9/11، بثّت الإذاعة البريطانية خبراً مفاده أن الأمم المتحدة تفكّر في إدخال فصل عن "الهولوكوست" النازي ضدّ يهود أوروبا، في كتاب حقوق الإنسان الذي يدرّس لتلامذة مدارس الأونروا في مخيّمات اللاجئين الفلسطينيين.

إنها ليست نكتة على الإطلاق. ولا أمانع من مشاركتي ابتسامتي الساخرة عند قراءة هذا الخبر.

أجل!! إن ضمير الأمم المتحدة استفاق من تعفّنه وغيبوبيته؛ ولكن على ماذا؟!

بعد مرور أكثر من 62 عاماً، على رحلة التّيه والتشرّد الفلسطيني، تريد الأمم المتحدة تذكير الأطفال الفلسطينيين بـ"الهولوكوست النازي ضدّ من أجرم بحقّهم واحتلّ أرضهم وقتل وشرّد أهلهم... لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: هل ستعلّم الأمم المتحدة أيضاً "الهولوكوست الصهيونية" المستمرّة بحقّ الفلسطينيين لأبناء المخيّمات؟ وهل ستخبرهم عبر كتاب حقوق الإنسان عن الإبادات الجماعية التي ارتكبتها والعصابات الصهيونية في مختلف القرى الفلسطينية؟ وهل ستذكّرهم برحلة تشريدهم التي تُعتبر الأكبر في تاريخ الإنسانية عن ديارهم، وكيف سرِقت ممتلكاتهم وقطِعت أشجارهم على امتداد الأراضي الفلسطينية؛ وركّبت مكانها منازل استيطانية ليهودٍ جلبوا من كافّة أرجاء المعمورة؟

هل ستتحدّث الكتب الأممّية تلك عن الفوسفور الأبيض الذي أحرق أجساد الصغار والكبار في حرب غزة؟ وهل ستذكر أسماء الرضّع الذين استشهدوا في أحضان أمّهاتهم؟ وهل ستذكر إيمان ومحمّد و..إلخ؟ وهل ستشير كتب حقوق الإنسان إلى أن الصهيوني لا يختلف عن النازي؛ فكلاهما جلاّد قاسٍ، وأن هتلر يشبه شارون وأولمرت ونتنياهو وغيرهم من مجرمي الحروب، وأن النازية والصهيونية وجهان لعملةٍ عنصريةٍ استيطانيةٍ واحدة؟

الجلاّد لا يمكن أن يكون ضحيّة، والعكس صحيح

لقد شاهدنا عمر فضائيات العالم أطفالاً وقد سلِخت جلودهم جرّاء الفوسفور "الإسرائيلي"،

لكنّنا لم نشاهد أطفالاً يهود في غرف غاز هتلر كما يزعمون. ورغم ذلك، تبكي هيئة الأمم "لمظلوميّتهم" ولا يرفّ جفنها لأطفال العرب..

إن صحوة "ضمير" الأمم المتحدة هذه غير مرحّب بها، لأن من يتعامى عن القاتل هو شريك في جرائمه، ولا يمكن أن يكون حكماً عادلاً على الإطلاق.

وإذا كانت الأونروا ستُخبر أطفال فلسطين عن "الهولوكوست" النازي ضدّ اليهود، فمن سيُخبر الأطفال اليهود في الأرض المحتلة عن "الهولوكوست" الصهيوني ضدّ العرب والفلسطينيين؟

يقول "فردريك شريك" "Fredrick Shrek"

"إنه إجرامٌ أن تسرق محفظة، وبسالةٌ أن تسرق ثروة، وشيءٌ عظيمٌ أن تسرق تاج ملك. فكلّما كبرت الجريمة تناقص اللوم"!

الخاتمة

خاتمة

إن صراعنا المديد والمرير مع العدوّ "الإسرائيلي" هو صراعٌ حضاريٌ وثقافي، وتالياً إقتصادي واجتماعي ووطني وإنساني. وهذا ما كان قد أشار إليه رئيس وزراء العدوّ السابق "مناحيم بيغن" قبل موته، بقوله: "إن صراعنا مع العرب ومع المسلمين صراعٌ حضاريٌ وثقافيٌ وفكري في هذه المنطقة. ويجب أن تزول ثقافة وحضارة وفكر العرب والمسلمين من هذه المنطقة كلّياً لتبقى فقط حضارة وثقافة اليهود".

إن الثقافة العربية والإسلامية المطلوبة لمجابهة هذا العدوّ الذي يتربّص بنا ويحاول اقتلاعنا من أرضنا، لا يمكن أن تكون ثقافة المهرجانات والزغاريد والتصفيق. بل المطلوب ثقافة حقيقية مقاومة منحازة إلى القِيم الأخلاقية والإنسانية في مواجهة الظلم والفساد والتشريد والقتل. هذه الثقافة تكون عادة نتاج علاقة الإنسان اللصيقة بأرضه وتاريخه ودينه وشعبه. لذلك، هي تمنحه ملامحها بما يميّزه عن "الآخر".

وفي إطار الثقافة أيضاً، نتساءل: لماذا لا تقرأ الشعوب العربية والإسلامية المفاهيم التلمودية والصهيونية التي تتعلّق بجوهر اليهود من باب معرفة العدوّ: كيف يفكر، وماذا يريد؟ وفي هذا المجال، نستذكر قولاً خبيثاً "لموشي دايان" وهو "أن العرب لا يقرؤون. وإذا قرؤوا ينسون"! فتعالوا نقرأ ولا ننسى؛ تعالوا لنفشل مخطّطات العدوّ عبر معرفته جيّداً (فمن عرف عدوّه انتصر

عليه). تعالوا نتّحد معاً ضدّ هذا الكيان الغاصب الذي استطاع لمّ شمل "يهود" كانوا مشرّدين في أصقاع العالم وأقام لهم دولة قومية، فيما نحن نتشرذم ونتفرّق في أمم وقبائل متناحرة.

ولنأخذ العبر من الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي كانت أراضيها سابقاً وكراً للمعتدي الأميركي وحليفه الصهيوني في عهد الشاه. وقد أصبحت اليوم دولة قوية، إقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وعسكرياً وسياسياً، وحتى نووياً، بوجه الطغاة الذين حكموا العالم لقرونٍ من الزمن. وكلّ ذلك بفضل السياسة الحكيمة لقادتها الذين حدّدوا العدوّ من الصديق، ولم يغرقوا في مطبّات الحقد والعنجهية والتبعيّة للأجنبي.

إن عالمنا العربي والإسلامي بحاجةٍ اليوم أكثر من أيّ وقتٍ مضى إلى نهضةٍ عربيةٍ إسلاميةٍ صحيحة. فما يجمعنا من لغةٍ وتاريخٍ وطموحٍ وآمالٍ وأمانٍ وأهدافٍ ودين هو أكبر بكثير ممّا يفرقنا. ماذا ننتظر حتى نتخلّى عن أهدافنا الذاتية الفردية ونتمسك بهدفٍ جماعيٍ يُرضي الله تعالى ويحرّر رقابنا وأراضينا من قبضة عدوٍ لئيم طامحٍ متربّصٍ بنا.

ملاحق

ملحق رقم (1): مؤتمر بازل (سويسرا) 1897: قيام الحركة الصهيونية

يُعتبر هذا المؤتمر بداية إعلان قيام الحركة الصهيونية رسمياً. في هذا المؤتمر، قدّم تيودور هرتزل فكرته عن القومية اليهودية وتميّز الشعب اليهودي وأهمية أن يكون لليهود وطنٌ خاصّ بهم.

حضر المؤتمر 204 مندوبين، يمثّل جزءٌ منهم 117 جمعية صهيونية مختلفة، ومنهم 70 مندوباً من روسيا وحدها.. وإفتتح هرتزل هذا المؤتمر بخطابٍ قصيرٍ أكّد فيه أن الهدف هو وضع حجر الأساس للبيت الذي سيسكنه الشعب اليهودي!

وقد حسم المؤتمر موقع "الدولة" التي يعتزم الصهاينة إنشاؤها، وتقرّر أن تُقام هذه الدولة في فلسطين وليس في أيّ مكانٍ آخر. وفي المؤتمر، تمّ انتخاب هرتزل رئيساً للحركة الصهيونية وجرى تصميم العلم واختيار النشيد الوطني لليهود.

يقول هرتزل في يوميّاته أو مذكّراته عن هذا المؤتمر: "لو أنني أردت أن ألخّص أعمال المؤتمر في كلمة، ففي بازل أُسّست الدولة اليهودية. وقد يثير هذا القول عاصفة من الضحك هنا وهناك؛ ولكنّ العالم سوف يشهد بعد خمسين عاماً من الآن قيام دولةٍ يهودية".

وهكذا كان المؤتمر الصهيوني الأوّل نقطة التحوّل الأساسية في تاريخ اليهود، حيث تمّ تجميعهم من شتّى أنحاء الكون للسكن تحت سقفٍ واحدٍ وتوحيد جهودهم، بعد أن كانت الصهيونية تمثّل حلماً لليهود لعقودٍ مضت.

لقد سعى هرتزل للحصول على تأييدٍ من إحدى الدول الكبرى لمشروعه، حتى يضمن إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين؛ فقابل القيصر الألماني عام 1898، وعرض عليه القضية اليهودية ووجهة نظره فيها، حيث أظهر له القيصر التأييد، لكنّه لم يعطه الوعد الذي كان يريده.

ملحق رقم (2): نص وعد بلفور (المشؤوم)

وزارة الخارجية (البريطانية)

في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1917

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرّني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالته، التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرّته: إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين. وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يُفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتّع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتّع به اليهود في البلدان الأخرى".

وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علماً بهذا التصريح. المخلص

أرثر بلفور.

النصّ بالإنجليزية

The Balfour Declaration was a letter of November 2/ 9 /1917 from British foreign Secretary Arthur James Balfour, to lord Lionel Walter Rothschild a leader of the British Jewish community, for transmission To The Zionist Federation

Foreign office

November 2nd 19, 17

Dear Lord Rothschild

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of his Majesty's Government The Following declaration of Sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, The Cabinet His Majest'y Government View with Favour the establish ment in Palestine of a national home for The Jewish People and will Use their best endeavours to Facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice The Civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political. Status enjoyed by Jews in any other country I should be grateful if you would bring This declaration to the Knowledge of the Zionist Federation.

Yours Sincerely Arthur James Bal Four

ملاحظات موجزة حول وعد بلفور

في هذا الوعد إعترافٌ صريحٌ بوجود شعب غير يهودي يسكن في فلسطين (الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين - حسب النصّ)، ممّا ينقض النظرية الصهيونية التي تتحدّث عن فلسطين كـ"أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"!

وفي هذا الوعد أيضاً - تأكيد على ضمان حقوق المقيمين في فلسطين وعدم المساس بها. وهذا يتنافى مع كلّ ما حصل ويحصل داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وهناك بالطّبع التناقض الأساسي والأهمّ، وهو وعد من لا يملك الأرض لمن لا يستحقّ العيش فيها.

ملحق رقم (3): معنى علم الكيان الإسرائيلي

يحتوي علم "إسرائيل" على رمزين:

- نجمة داوود، وهي عبارة عن مثلّثين متداخلين - الأوّل يرمز للأرض (البشر)، والثاني يرمز للسماء (الإله). أما تداخل المثلّثين، فهذا يعني أن دولة "إسرائيل" هي خليفة لمملكة السماء في الأرض.

- الخطّان الأزرقان - هما الحدود الجغرافية من النيل للفرات (الأزرق يرمز إلى مياه النهر)؛ وهما يمثّلان حلم دولة "إسرائيل" الكبرى.

ملحق رقم (4): مقتطفات من رسالة الرئيس الإيراني نجاد إلى أنجيلا ميركل (المستشارة الألمانية)

إن الضمير العالمي مستاءٌ ومتعضٌ من الجرائم اليومية للصهاينة الغزاة، بما فيها تدمير المنازل والمزارع وقتل الأطفال والاغتيالات وعمليات القصف وغيرها. ويمرّ الآن نحو 60 عاماً على انتهاء الحرب العالمية الثانية؛ إلاّ أن تداعياتها ونتائجها ما تزال للأسف تطال العالم بأسره، لاسيّما بعض الدول. كما أن بعض الدول المتغطرسة والمجموعات المتعطّشة للسلطة والمثيرة للحروب ما تزال تتصرّف مثل تصرّف الدول المنتصرة والفاتحة مع الدول المهزومة. وإنّي لا أنوي أن أتحدّث عن موضوع الهولوكوست؛ لكن، أليس هذا الاحتمال عقلانياً بأن بعض الدول المنتصرة في الحرب أرادت خلق ذريعةٍ لتستطيع في ضوئها جعل شعب الدولة المهزومة في الحرب في خجلٍ دائم، حتى تقوّض بذلك دوافع التحرّك والحيوية والنشاط لديه وتحدّ من تقدّمه واقتداره.

إن الشعب الألماني، وشعوب الشرق الأوسط، بل جميع أبناء البشرية، تضرّروا من إثارة موضوع الهولوكوست، بحيث أن طرح قضية استقرار الناجين من الهولوكوست في أرض فلسطين تسبب في إيجاد تهديدٍ دائم في الشرق الأوسط، ليتمّ بذلك انتزاع فرص التقدّم والتطوّر من شعوب المنطقة". وأضاف: "إن السؤال المطروح هو أنه إذا كانت هذه الدول، لا سيّما بريطانيا، تشعر بالمسؤولية تجاه الناجين من الهولوكوست، فلماذا لم تستقبلهم وتحتضنهم لديها؟ ولماذا قاموا من خلال إثارة قضية معاداة اليهود بإرغام اليهود على الهجرة إلى أراضي الآخرين؛ وقاموا تحت ذريعة توطين الناجين من الهولوكوست بتشجيع اليهود في أرجاء العالم على الهجرة، بحيث نرى اليوم أن جانباً كبيراً من سكّان الأراضي المحتلة هم من اليهود غير الأوروبيين. هل الترسانات الذرّية في إسرائيل هي من أجل الدفاع عن الناجين من الهولوكوست،

أم أنها تشكّل تهديداً دائماً ضدّ شعوب المنطقة وأداة لممارسة الغطرسة والاحتلال؟ إنني آسف للقول أن أوروبا فقدت إلى حدٍ كبيرٍ دورها في التعامل الدولي، ولم تستطع في الحوادث الكبرى تسوية المشاكل من خلال الاعتماد على نفسها، لأنه يمكن تفهّم أن القوى الكبرى من خارج هذه القارّة بصدد إظهار أن أوروبا غير قادرةٍ على الاعتماد على نفسها. وهذه القوى تريد أن تومي بأن الأوروبيين لا يستطيعون المضيّ قُدماً إذا لم تتدخّل هي وتقدّم المساعدة لهم.

إن الشعب الإيراني عانى هو الأخر من تدخّل بعض منتصري الحرب، والذين تدخّلوا لسنواتٍ طوال في الشؤون الداخلية لإيران، ولم يكونوا يريدون أن يبلغ الشعب الإيراني قمم التقدّم والتكامل. إن هؤلاء كانوا يطمعون في الموارد والمصادر الهائلة للشعب الإيراني، بما فيها الطاقة، ومن أجل الحفاظ على مصالحهم؛ فأقدموا على الإطاحة بالحكومة الشرعية آنذاك ودعموا النظام الديكتاتوري حتى النهاية. وبعد ذلك، قدّموا الدعم لصدّام في حربه المفروضة على إيران. إن جانباً مهماً من شعوب العالم، وحتّى المنظمات الدولية ما تزال خاضعة لتأثير تصرّفات وسلوكيات منتصري الحرب العالمية الثانية.

هل أن الأعراف والقواعد السائدة، بما فيها القواعد المتّبعة في مجلس الأمن الدولي وحقّ النقض (الفيتو) تُعدّ عدلاً؟ ألم يحن الوقت كي تتغيّر هذه القواعد في ظلّ تعاون الدول المستقلّة، أو على الأقلّ أن تستفيد مجموعاتٌ أخرى من شعوب العالم من حقّ الفيتو لكي نكون قد اقتربنا أكثر من العدالة.

إن معاناة الشعب العراقي من الاحتلال وانعدام الأمن والإرهاب اليومي هي معاناة وآلام البشرية بأسرها، وإن تدخّل بعض القوى المتغطرسة في الشؤون الداخلية للدول ومعارضتها للحقوق المؤكّدة والشرعية للشعوب في الحصول على التكنولوجيا المتطوّرة، وإطلاقها التهديدات المستمرّة بالاعتماد على الترسانات الكيمياوية والذرّية وأسلحة الدمار الشامل، ومعارضتها للدول المنبثقة عن الشعوب في أميركا اللاتينية، ودعمها للحكومات الانقلابية والديكتاتورية، وعدم اكتراثها بالشعوب الإفريقية، ونهب المصادر الوطنية للشعوب، تشكّل كلّها المشاكل الحالية للعالم المعاصر. أليس هذا الاضطراب كامنة جذوره في ابتعاد بعض الحكّام

والقوى السلطاوية عن تعاليم الأنبياء. ونحن نؤمن بأن السلام والاستقرار الحقيقيّين يمكن أن يتحققا في العالم فقط في ظلّ عبادة الله واعتماد العدالة.

إن السلام والاستقرار والكرامة الإنسانية هي حقّ لجميع الشعوب. إن إيران وألمانيا بإمكانهما من خلال الاعتماد على الرؤى السّامية والرفيعة أن تضطلعا بدورٍ أكثر أهمّيةٍ على الصعيد الدولي. وهذا التعاون بإمكانه النهوض بالدور الأوروبي على الصعيد الدولي وتقديم نموذجٍ من التعاون بين شعبين وحكومتين. وبلا شكّ، إن التعاون بين الشعبين الإيراني والألماني المحبّين للسلام والقويّين وصاحبي الثقافة هو لمصلحة أوروبا.

يجب أن نعمل على إزالة الظلال المعتمة للحرب العالمية الثانية ودعم المجتمع الدولي لتوسيع الأمن والحرّية والشعور بالطمأنينة والاستقرار. إن شعبنا وبلدينا، إلى جانب أحدهما الآخر، بإمكانهما الاضطلاع بدورٍ أساسيٍ في إرساء السلام والأمن والتقدّم والكرامة الإنسانية على صعيد بلدينا والصعيد الدولي.


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

هذا الكتاب:

منذ اللحظة التي أطلق فيها «غوبلز»، وزير الدعاية الألمانية في عهد هتلر، مقولته الشهيرة: (Lie lie, bisdie anderen glauben, man)، وهي تعني (إكذب، إكذب حتى يصدّقك الآخرون)، عمل اليهود بكلّ طاقاتهم للاستفادة القصوى من هذه المقولة، لتتحوّل «المحرقة» أو أسطورة أفران الغاز المزعومة إلى حقيقةٍ ثابتةٍ في أدمغة ومشاعر اليهود وغير اليهود، لا تقبل الأخذ والردّ حولها. وإذا حاول أحدهم أن يتجرأ ويكذّب هذه الأسطورة، بالحقائق التاريخية الدامغة، فإنه يصنّف بالمعادي للسامية، ثمّ يكون مصيره لاحقاً: إمّا العزل والطرد من عمله، وإمّا القتل، أو المحاكمة بتهمٍ خرافيةٍ تشابه الأسطورة نفسها.

وقد تمكّن اليهود الصهاينة من تقديم أنفسهم للعالم على أنهم ضحايا النازية من دون الآخرين؛ وهذا لا يعني أنهم ضلّلوا الغرب فجعلوه يصدّق الكارثة المزعومة؛ وإنما نجحوا في إقناع النّخب الغربية بضرورة تسويق أكاذيبهم. واقتنع الغرب بذلك من باب تقاطع مصالحه الاستعمارية مع المشروع الصهيوني فحسب.

في الصفحات التالية من هذا الكتاب، سنضيء على الحركة الصهيونية العنصرية: أفكارها، معتقداتها، العوامل التي مهّدت لقيامها، وأبرز اتجاهاتها وتيّاراتها ومؤسّسيها، ثمّ نتحدّث عن مقولة معاداة السامية ومسألة الهولوكوست وقضايا أخرى ترتبط بشكلٍ مباشرٍ بطبيعة الفكر الصهيوني وثقافته الإجرامية، والتوظيف الصهيوني الخبيث لما يسمّى المحرقة في سبيل تحقيق أهداف الصهيونية، السياسية والاقتصادية والمعنوية، والتي لم تعد خافية على أحد؛ بل صار الصهاينة أنفسهم يجاهرون بها، في ظلّ دعمٍ أميركيٍ وغربيٍ مطلقٍ لسياساتهم وخططهم الإجرامية والتوسعية، التي تمّت قولبتها في إطار تاريخي وسياسي وأخلاقي مزيّف؛

MokdadGraphics 03/832611

بيروت / لبنان
هاتف: 842882-01 تلفاكس: 843882-01 ص.ب: 25/408
E-mail: baheth@bahethcenter.net www.bahethcenter.net